حكايتي مع الكتابة ... والكتب

نسيم مجلى

الإهداء

يرجع الفضل في جمع هذه الفصول المتفرقة وضمها في كتاب واحد إلى الأخ الحبيب **القس مايكل ملاك راعى الكنيسة الإنجيلية** بديتوانا بيتش- فلوريدا، إذ رأى بثاقب نظره وعمق ثقافته الأدبية الخيط الذى يربط بينها جميعا بروابط قوية وواضحة تجعل منها سيرة ذاتية كاملة لحياتي كإنسان وكاتب في عالم الفكر والأدب.

15ابريل 2025

==========

فهرس الكتاب

صفحة

القصم الأول – نشأتى فى القرية

1- طفولة ضائعة 5
2- سنوات الأحزان 13
3- زواج وافراح عائلية 21
4- شهوة الثراء السريع 27
5- أخى فى منصب شيخ البلد.....33
6- مشكلتى مع التعليم 36
7- الفيضان يغرق القرية 44

القسم الثانى- الإجتهاد والطموح

8- مع ذات الرداء الأخضر بالجامعة 46
9- عندما دخل الصعيدى هيلتون 61
10- كابوس الذبحة ومبتدأ الأوجاع 66
11- الأمل المنشود والأمل المفقود 72
12- مدرس لغة فى بيلا الثانوية ..... .75
13- مكتبة المدرسة ودورها فى تربية الشباب 79
14- أبو لمعة المصرى وأيام مع الكوميديا السوداء ... .87
15- لقاء مع المستشار أنور حبيب المدعى الإشتراكى 92

القسم الثالث -الإشتغال بالكتابة

16- البدايات والدوافع 98
17- خطاب الجائزة 112
18- محاكمة " فقه اللغة العربية" الكتاب والقضية.....133

19- اختلاف المصريين عن العرب إثنولوجيا وسلاليا...139
20 - حنين بن اسحق وعصر الترجمة العربية 147
21 - تقارير وشهادات..... ..152..

القسم الرابع – فى النقد والمصادرة

22 - تجربتى مع المصادرة..... . 166
23 - فى البحث عن مصادر أمل دنقل 174
24 - كيفية النظر إلى عناصر التراث فى القصيدة الشعرية 179
25 - نقاد ومصارعون 197
26- كلمة عابرة عن قراءة شعر أمل دنقل..... 202

27 - ملحق:
مسرحية الوادى الغضبان 205
The Angry Valley

28 - المؤلف – نسيم مجلى..... 213

Email: nasimmijalli@hotmail.com

القسم الأول: نشأتى فى القرية

1- طفولة ضائعة 5

إن الحديث عن النفس ثقيل وشاق ولكن حين يُطلب من الكاتب هذا العمل، فإنه يجد نفسه أمام ضرورة ملحة للتعريف بنفسه تعريفا يلقي الضوء على خلفيته الاجتماعية والثقافية ومعتقداته الفكرية، وهنا يحق لي أن أبادر وأقول كانت حياتي رحلة شاقة مليئة بالمصاعب فلا أكاد أخطو نحو هدفٍ قريب حتى تظهر أمامي فجأة صعاب أكبر تفوق قدراتي وإمكانياتي وتبعدني عن الهدف أميالا وأميالا.

مات أبى وسنى ثلاث سنوات وكنت أصغر أخوتى وأخواتي. كنا أربع بنات وأربعة أولاد، وكان أخي الأكبر في العشرين من عمره وكان الوحيد الذى يعرف القراءة والكتابة. وبهذا أصبح هو المتصرف الأول في شئون الآسرة، ولكنه لم يحسن تصريف الأمور فأدى ذلك إلى متاعب مادية شديدة للأسرة، وانعكس كل ذلك على شخصي بحكم صغر سنى. ولم أتنبه إلى ما يجري حولي إلا بعد أن بلغت العاشرة وبدأت أتساءل كي أعرف شيئا عما أراه حولي وما سمعت عنه.وكان هو كتوما لا يصارحنا بشيء حقيقي أبدا بل كان يلون الوقائع والأحداث ويحكيها بالطريقة التي تقنعنا بأن كل شيء على ما يرام. واستمر هذا الحال أكثر من عشريـن عاما لاحول لنا ولا قوة. هكذا تشابكت حياتنا معه بدرجة تجعل من الضروري أن أبدأ بالحديث عنه حتى تنجلي ظروف حياتي العائلية التي نشأت فيها.

كانت عقدته الأساسية أنه فشل في التعليم لأنه لم يعطه اهتماما كافيا فلم يكمل دراسته ووقف عند السنة الثانية الإبتدائية. كان دائم الرسوب فأخرجه أبوه من المدرسة على أمل أن يساعده في تجارته، لكن هيهات هيهات! "خائب الصيف خائب الشتا "كما يقول أهل القرية.

فقد كانت متابعته للدراسة عجبا، كان بطئ الفهم عنيدا ورافق أمثاله من ضعاف الفهم والكارهين للتعليم الذين ينتهزون الفرص للقفز من فوق الأسوار والهروب من الدراسة. وكان هو صاحب عبقرية خاصة في التزويغ فكان يخرج من البيت في طريقه ولكنه لا يكمل المسافة إلى المدرسة بل يتخفى في المزارع مع بعض زملائه أو في ماسورة المياه الضخمة التي تتوسط ترعتي الري التي تحيط بالقرية حيث ينزل إليها ويختبئ فيها حتى لا يراه أحد من المارة، هذا ما كان يحدث طيلة شهور الجفاف أثناء السدة الشتوية،

هكذا هجر الدراسة كارها لها مع الكارهين. وكان زميله يسى ساويرس هو مرشده وأقرب أصدقائه حيث كان يفلسف له ولبقية زملائه تصرفاتهم الطائشة. فيقول لهم أن الاستمرار في التعليم شيء ممل وغير مفيد. فقد قرر هو أن يكتفى بالقليل من

الدراسة حيث أصبح يفك الخط ويمكنه أن يكمل تعليمه في الحياة، فسوف يلتحق بأبيه كاتب المحامي لكى يتعلم منه ويرث مهنته.

" سوف أعمل مع أبى كاتب المحامي واتشرب منه الصنعة، أما زميلنا شاكر فسوف يرث صنعة أبيه وبعد مدة قصيرة يصبح بناءا عظيما يبنى البيوت والعمائر فما حاجتنا للمدرسة." كان هذا الأخير يغريهم بالهروب من المدرسة والتسكع فى الشوارع وعلى النواصى حتى وقت انتهاء اليوم الدراسي فيعودون إلى بيوتهم.

ومن الملاحظ أن يسى وشاكر قد حدد كل واحد منهما هدفه إلا ناشد الذى استمر يجاريهم في التزويغ من المدرسة دون تفكير في المستقبل حتى تكشف الأمر لأبيه فأخرجه منها، وأخذه معه لكى يساعده ووكل إليه العمل في تشغيل متجره المفتوح فى المدينة وإدارته.

صار عليه أن يستيقظ مبكرا في كل يوم كما كان يفعل في السابق وبدلا من الذهاب إلى المدرسة أصبح يذهب الى محل عمله بالمدينة، والتي تقع على مسافة ثلاثة كيلومترات من القرية. لكنه لم يصبر ولم يحتمل طويلا فأخذ يشكو ويتململ ويتكاسل عن الذهاب أياما يغلق فيها الدكان، ونتيجة لهذا انصرف عنه زبائنه وتضاءلت أرباحه وانتهى الأمر إلى إغلاق هذا المحل نهائيا.

تواكب هذا كله مع تدهور صحة أبيه وعجزه عن الإشراف الكامل على أعماله في القرية والمدينة، لكن ذلك كله كان يمكن علاجه والتغلب عليه لولا كارثة القطن التي هبطت عليه في يوم وليلة بصورة لم تخطر على بال أحد إذ نزل سعره الى النصف مرة واحدة. وهكذا وجهت الأقدار ضربتها القاصمة إلى هذا الرجل الطيب الذى لم يتحسب لكثير من الأمور، وكان يتحرك في كل اتجاه متوكلا على الله واثقا ثقة عمياء في الزمن، وفى كثير من المتعاونين والمتعاملين معه. وكانت هذه نقطة الضعف الخطيرة التي قادت الى خسارته الكبيرة.

ربما كانت غلطته أنه لم يحصر عمله في التجارة فقط، وتوسع في استئجار الأراضي والقيام بزراعتها لحسابه، لكن أبو بالين كداب. لقد كان الأمر مشجعا في البداية وكانت ثماره جميلة لكن الانسان له طاقة محدودة وعمر محدود، وانفراط العقد يؤدى الى ضياع كل شيء. وهذا ما حدث لرجلنا الهمام. فقد فشل في تربية ابنه الأكبر وتعليمه واعداده للوقوف بجانبه، وتوسع بطريقة تجهد قدراته وتشتت انتباهه. ولم يكن لديه ادراك بأساليب الادارة الناجحة. ويبدو ان نجاحه الكبير في البداية كان ضربة حظ أو نتيجة للتواكل والمغامرة، لكنه استطاع أن يكسب ثقة كبار التجار بصدقه في التعامل معهم. إلا أنه لم يحتاط بدرجة كافية لزبائنه الصغار الذين يأخذون بضاعته بالأجل دون أوراق تثبت حقوقه لديهم.

كانت الكارثة الكبرى هي الكساد الاقتصادي الذى أصاب العالم في الثلاثينات، وتسبب في خراب كبير وشامل ولم يترك عائلة إلا وتأثرت به. لكن ضربة الخواجة

مجلى كانت قاصمة لأنه كان يتاجر فى محصول القطن وكان يتوسع في شرائه عاما بعد عام ويجنى أرباحا طائلة. لم يتعرض أبدا للخسارة. لكن هذه هي الطامة الكبرى التي سحقت آلاف التجار والمزارعين في ربوع العالم والتي أصابته بالشلل الذى اقعده عن الحركة بضع سنين احتاج فيها لعلاج طويل لم يجده شيئا وانتهى بوفاته عام 1937. ترك أربعة أولاد وأربع بنات كان أكبرهم ناشد وكان فى العشرين من عمره ولم يؤهل لحمل أي مسئولية فما بالك بمسئولية هذه الأسرة الكبيرة. وخطأه أنه لم ينتظم في سلك التعليم ولم يستفد بتجربة أبيه في التجارة، ونتيجة لهذا لم يتمكن من معالجة المشكلات التي ترتبت على وفاة أبيه.

كانت التبعة ثقيلة جدا تثقل كاهل أي رجل. كان مرض أبيه محنة شديدة لكل أفراد العائلة، الأم والأولاد جميعا. بددت معظم الثروة. لقد تغير الحال وضاقت أبواب الرزق وانقلبت حياتهم من اليسر إلى العسر. كان أبوه يرقد عاجزا يتلقى العلاج وينتظر الموت بين يوم وأخر، وأصبح هو وأخوه الأصغر منه مسئولين عن ادارة المحل حتى يستمر ومتابعة الأرض وزراعتها لكن الملاحظ أن أخاه كان خاضعا تماما لإرادته ولأنه جاهل لم يحصل على أى قدر من التعليم فلم يحسن التفكير ولم يساهم بأي فكرة أو نصيحة لمساعدة أخيه على حل المشاكل التي كانت تواجههم،

كان يمكن تدبير الأمر والخروج من هذه الضائقة. كانت هناك ديون مطلوب سدادها وحقوق مستحقة لدى الزبائن يجب تحصيلها. كانت مشكلة الأخ الأكبر أنه لا يقبل أي نصيحة من أحد سواء من أمه أو عمه أو أعيان البلد المخلصين. كان يتسم بالعناد وبرود المشاعر في التفاهم مع الناس مما أغضب الكثيرين واستفز الكثيرين فراح يطالب الزبائن بسداد ما عليهم من ديون بطريقة جافة وصادمة لم يعتادوا عليها. لم يفهم أن هذه الديون غير مثبوتة بإيصالات أو كمبيالات ويمكن التملص منها، وكان يمكنه أن يجمع الكثير من هذه الأموال لو تفهم أوضاع هؤلاء الناس وتروى فى التعامل معهم. إلا أنه اندفع يطالب الناس ويلح عليهم بشدة وهم جميعا معذورون فقد كسدت محاصيلهم وتدهورت أعمالهم ولم يعد فى امكانهم سداد كل ما عليهم دفعة واحدة. لم يفهم ناشد أن الأزمة قد طالتهم أيضا ولم يحس بمشاكلهم أو مشاعرهم فتعامل بجفوة شديدة بدلا من التفاهم على تحصيل ما يمكنهم دفعه أى تقسيط المديونية على فترات إلا أنه لم يفعل ذلك واشتط في الطلب كما أحرج الكثيرين منهم بدرجة أثارت غضبهم وهيأت نفوسهم للرفض وانكار الديون.

كانت غلطته الكبرى أنه لم يراع هيبة الكبار في القرية وخصوصا عمدة القرية وشيخ البلد، كان الشيخ كامل صموئيل هو شيخ الناحية، وكان صديق العمدة ونديمه. كانا كلاهما من زبائن الخواجة مجلى وكانت عليهما ديون مقيدة فى دفتر اليومية بالدكان. كان أبوه لين الجانب لا يشتد مع أحد وكان يتودد لهؤلاء ويستجيب لطلباتهم. وفى وقت الحصاد يقوم كل واحد منهما بسداد المبلغ الذى يمكنه توفيره، سواء كان كافيا لسداد ما عليه من

دين أو لسداد جزء منه. وكان أبوه يرضى بما يقدم له عن طيب خاطر خصوصا من هذين الرجلين. بل كان يرخى الحبل للجميع.

كان يتصرف عن سعة لكن أبنه لم يتشرب هذه الحكمة فلجأ الى القضاء. وبدأ يرفع القضايا ضد هذا أو ذاك ولم يستثن العمدة او الشيخ. وكان استدعاء العمدة للمحكمة أمرا شائنا ومعيبا أغضب غالبية أهل القرية الكبيرة فانصب غضبهم على ناشد، هذا الشاب الطائش الذى لا يعرف حدوده ولا يعرف كيف يحترم كرامة الكبار وهيبتهم.

فقد كان العمدة في ذلك الوقت هو الحاكم الوحيد للقرية الذى يدير امورها ويسهر على أمنها وسلامتها. وكان يعاونه فى هذه المهمة الصراف والمشايخ والخفراء. بالإضافة إلى أن هذا العمدة ينتمى إلى عائلة من أكبر العائلات وأغناها في القرية كلها بل وفى محيط المركز كله. فكيف يقبل الناس من ناشد أن يطلب منه حلف اليمين أمام القضاء؟

في المحكمة وجد العمدة نفسه فى وضع محرج فأنكر هذه الديون المستحقة عليه، فلما طلب ناشد منه أن يحلف اليمين استنكر القاضي هذا وقال: " يا ناشد عيب عليك، لا تنسى أن عبد الله أفندي من عائلة كبيرة فأخوه لطفى بك مدير أمن الجيزة سابقا، وهو أيضا اخو صادق بك العوايسى المحامي الكبير المعروف ولا يمكن أن يكذب، فكان رد ناشد قاسيا وجارحا،

"إن أصابعك ليست واحدة يا سيادة القاضي"

وهكذا اضطر العمدة لأن يحلف اليمين ويخرج من المحكمة وهو يتصبب عرقا وحوله من يطالبونه بالانتقام من هذا الانسان السافل. حفظ له العمدة هذا الموقف وانتظر حتى تأتى الفرصة ويحين الوقت لتأديبه. وكانت هذه كارثة أخرى من نوع مختلف. فقد فتح ذلك بابا واسعا لضياع كل شيء، بابا يدخل منه كل من يريد أن يتملص مما عليه من ديون. فأهلا بالذهاب الى المحكمة وانكار الديون وحلف اليمين. قام العمدة والشيخ بدور مشهود في دفع الناس البسطاء إلى التملص من الديون وعدم الدفع لهذا الشاب المغرور. وهكذا ضاعت معظم الديون المستحقة لنا عند الزباين. وبقى علينا أن نقوم بسداد الديون المستحقة على أبينا باعتبارنا الورثة.

وهكذا تعقد الموقف وبدأت النزاعات تمتد وتتسع وهو يحاول ان يستخلص حقوقه من الناس فيواجه بالتنكر والمماطلة مما يثير غضبه ويدفعه أحيانا إلى محاولة الانتقام من الجميع بشتى الطرق. وقد أدى ذلك إلى تفاقم المشاكل مع الناس وحتى مع أعمامه وأقاربه بل وحتى أخوته الصغار الذين كانوا يحاولون الحد من اندفاعه فى الخصومة مع الآخرين، ويطالبونه بالتحلي بالهدوء والتسامح. لكنه لم يتوقف ولم يتراجع وصار ينتقل من قضية خاسرة إلى أخرى مما زاد إحساسه بالمرارة وزاد حياتنا العائلية صعوبة وقسوة. إذ تدهور مستوى معيشتنا وصارت إمكانياتنا تعجز عن متطلبات

المعيشة، فما بالك بالأمراض التى تهاجم البعض منا بين وقت وآخر وتتطلب الذهاب الى الأطباء وشراء الأدوية.

ومما زاد الأمور سوءا وفاة مرقس أفندي. فقد كان صمام أمان بالنسبة للجميع وكان يحنو على ناشد وعلينا إلا أن ناشد لا يطيق نصيحة من أحد حتى عمه باخوم شقيق أبيه والذى أصبح كبيرا للعائلة. لقد أفلت زمامه ولم يعد يثق فى أحد أو يرتاح ألى أحد وأخذ يبحث له عن أصدقاء بين الغاضبين والكارهين لأهلهم مثله، وقادته الصدفة أن يلتقى في المحكمة بخلف محمد عبد الصمد الذى يخاصم أخاه الأكبر الحاج عبد الصمد بحجة أنه طمع فى أرض والده وأخذ نصف الأرض لنفسه وقسم النصف الباقي بينه وبين أخيه محمد. وقد رضى هذا الأخير بنصيبه أما خلف فلم يقنع بالفدادين السبعة التي أخذها وانطلق يشكو أخاه ويقاضيه في المحكمة مطالبا بحقه الشرعي، بل وبدأ يهاجم أخاه ويشوه سمعته بين الناس. وقد أوقعه ذلك فى نزاع مع بعض أفراد عائلته نفسها لأنهم كانوا يحرصون على سمعة الأخ الأكبر كبير العائلة وشيخ البلد صاحب الهيبة والنفوذ الذى يعمل الجميع له ألف حساب.

ولم يكن خلف هو الوحيد المتمرد على الأوضاع في القرية. فهناك أخرون من الخبثاء الذين أخذوا يشجعون ناشد على الصدام مع العمدة والمشايخ كما كانوا يطلبون منه أن يكتب لهم الشكاوى ضدهم بدافع إساءة سمعة العمدة والمشايخ وبعض أغنياء القرية. بدأت مشكلتنا بعد شهور طويلة على وفاة مرقس أفندي الصراف، وبعدها ذهب الرسول يذكر ناشد بقطعة الأرض المرهونة للمرحوم مرقس، ورد ناشد في عنف وغرور:

" قل لنعيمة وأمها. لو شفتي النجوم في عز الضهر مش هاتشوفى شبر واحد من الأرض " واضح أن ناشد كان موتورا من نعيمة ويريد الإنتقام منها لأنها رفضته وفضلت عليه رمسيس أفندي ابن عمها الحاصل على الابتدائية والموظف ببنك باركليز وتزوجته.

لم يكد الرسول يرجع بجواب ناشد حتى تكهرب الجو عند خصومه. وكان أول من تلقى الجواب المستفز هو شخلول أفندي شقيق مرقس أفندي الذى أصبح وصيا على الأولاد بعد وفاة أخيه. وكان شخلول عائدا لتوه من السودان حيث كان يعمل مع الإدارة الإنجليزية هناك، ويبدو أنه قد تشرب برود الانجليز وجمود عواطفهم، بعكس أخيه الراحل مرقس الذى كان يتمتع بروح المودة وسعة الصدر وكان يحنو على ناشد وعلينا وفاء للصداقة والمحبة التي جمعت بينه وبين أبينا الراحل على مدى سنين طويلة.

وهذه خصال نسيها شخلول بسبب تغربه عن القرية وعن أهله ما يقرب من عشرين عاما. لذلك استفزه جواب ناشد واستغرب أن يكون هذا هو الرد الصحيح، وبصفته الوصي، فكر في الطريقة التي يمكن ان يستخلص بها حق أبناء أخيه الراحل. وحين أبلغ السيدة أم خميس زوجة أخيه بأن ناشد رفض عزل قطعة الأرض وتسليمها

لهم، غضبت وقالت إنها لا يمكن أن تفرط في حقوق اليتامى وتركت الأمر لشخلول أفندي لكى يتخذ الإجراء الذى يراه.

لم يهدأ لشخلول بال وظل جالسا على الكنبة أمام بيته في مدخل " درب النصارى "الذى يمتد من غرب القرية إلى شرقها، وكما يحدث في كل مساء، جاء بعض الأقارب والأصدقاء الذين اعتادوا أن يتسامروا معه، فأخذ يسألهم عن ناشد وكيف يتصرف معه؟ قال له بعض العقلاء أن ظروف ناشد وأخوته صعبة، وقد تدهورت أحوالهم الاقتصادية بعد وفاة أبيهم ومن الأفضل الصبر عليهم والتفاهم معهم. ورد آخر: "إذا كانت حالتهم صعبة كما تقول، ولا يستطيعون رد مبلغ الرهنية فعليهم أن يسلموا قطعة الأرض "

واقترح ثالث أن ينقل هذا الاقتراح الى عمه باخوم ليجلس معه ومع أخوته ويتفاهم معهم. وقام من تطوع بعرض الأمر على المعلم باخوم عم ناشد، وامهلهم باخوم وقتا حتى يتفاهم مع ناشد وأخوته، واستدعى الشيخ محمد أبو طالب، أحد أعيان البلدة ليفصل معه في هذا الأمر. وكانت حصيلة النقاش أن الأرض تستحق ثمنا أكبر من الدين المدفوع لأبيه، وتوصلوا لاقتراح بأن يدفع ورثة مرقس أفندي مبلغ عشرة جنيهات إضافية، وبالمقابل يقوم ناشد بتسليمهم قطعة الأرض، وكلفوا حكيم أخى بتبليغ هذا الاقتراح لعمه شخلول.

دخل حكيم على عمه شخلول فوجده يتناول افطاره الذى يتكون من فول مدمس وبدنجان مخلل وبصل، ودعاه ليأكل معه فشكره، ووقف صامتا انتظارا حتى يفرغ شخلول من طعامه، وفي نفس الوقت راح يتفرس في شخلول أفندي بكرشه الكبير الذى يترجرج مع كل تكريعة تخرج من فمه. لكن شخلول استغرق وقتا طويلا فى الأكل والتعبير عن استمتاعه به. فكان يقضم البصلة ويصيح " أللة حلو البصل ده ".

أحس حكيم بالغيظ وتصور أن الرجل يفعل هذا كنوع من الشعور بالانتصار عليهم. وتأكد لديه هذا الإحساس حين سمع الرد. قال شخلول أفندي، مين اللي حكم بالحكم ده أجاب حكيم الشيخ محمد أبو طالب. رد شخلول .

روحوا لمحمد أبو طالب عشان يعطيكم العشرة جنيهات. وكان هذا الجواب أشد استفزازا مما قاله ناشد عند رفضه تسليم الأرض.

واضح أن شخلول لم يعد يقيم حسابا لعلاقات المودة بين الأهل والأقارب. وعلى فرض أن العشرة جنيهات كانت شيئا كبيرا بحساب ذلك الزمان، لكنها لم تكن شيئا بالنسبة لثروة أبناء أخيه وميراثهم من المال والأراضي والبيوت. لكنه بحكم عمله عشرين عاما مع الانجليز في السودان حيث كانوا يعاملون المصريين من أمثاله بقسوة وغطرسة عاد الى قريته ليمارس نفس الأسلوب، بدرجة جعلته لا يعمل حسابا للشيخ محمد ابو طالب وهو شقيق العمدة السابق ومن عائلة كبيرة قوية النفوذ في القرية، وهى المنافس لعائلة العمدة الجديد بكثرة أفرادها وقوة سطوتها على الناس نتيجة ارتباطهم الشديد بعامة الناس فى القرية.

رجع حكيم بخفي حنين لكن أعماقه كانت تغلى بغضب مكتوم يريد أن يصبه نارا تحرق شخلول وكل من يسانده وحين حكى ما جرى لأمه وأخوته استشاطوا غضبا لأنهم كانوا يتمنون أن يضعوا نهاية لهذه المشكلة، قال ناشد، معلهش ما تشغلوش بالكم. أنا عارف إزاي ألاعبهم. لن يأخذوا أرضا ولا مالا والأيام بيننا.

جاء العمدة عبدالله ومعه الشيخ كامل صموئيل شيخ الأقباط بالقرية لزيارة شخلول وجلسوا حيث اعتادوا على الكنبة المفروشة أمام المنزل والتي يمر من أمامها كل عابر في درب النصارى سواء كان داخلا أو خارجا منه. وكان هذا الموقع محرجا لكثير من الناس وخصوصا السيدات إلا أن العمدة وشيخ البلد الذى يرافقه في أغلب الأحيان كانا يتلذذان برؤية النساء العابرات رغم أنهن كن يخفين وجوههن ويتحاشين النظر إلى هؤلاء الرجال. أكثر من هذا أن هذا الموقع يتيح لهما النظر إلى الخياطة سنيورة وهى جالسة خارج باب بيتها تعمل في النور حيث يمكنها ان تلضم الإبرة وتخيط الملابس، وهى سيدة حسنة الوجه بضة الجسم ناصعة البياض تسيل لعاب العمدة والشيخ الذين يحاولان التلطف معها ومغازلتها.

رحب شخلول بضيفيه وجلس بجانبهما على الكنبة ودارت فناجين القهوة بينهم وأخذ الحديث يتطرق من موضوع إلى موضوع حتى جاء ذكر ناشد ورفضه تسليم الأرض إلا إذا دفع له مبلغ الجنيهات العشرة. وهنا تكلم العمدة بحدة، هذا ولد فلفوس عايز يخرب البلد فلا تدفع له مليما واحدا. وانبرى الشيخ كامل يعزز كلام العمدة ويقول، هذا شخص مشاغب وسوف نجبره أنا وجناب العمدة على تسليم قطعة الأرض رغما عن أنفه.

تكررت المراسيل من جانبهم لإقناع ناشد بالتخلي عن عناده. ولكنه رفض وإمعانا في إغاظتهم سافر إلى حيث توجد الأرض في منطقة بعيدة الى الغرب من مدينة سمالوط وبحث عن خفير فى العزبة مشهور بأنه أحد الأشقياء وأجر له الأرض وطالبه بريها وزراعتها بالليل.

وفى اليوم التالي اتصل عمدتنا بزميله عمدة الغروب وأوصاه بأن يضع يده على قطعة الأرض ويزرعها تمكينا لورثة المرحوم مرقس منها. وحين أرسل عمدة الغروب رجاله إلى الأرض وجد أن عنتر قد سبقهم وقام بريها ليلا ونثر فيها البذور وحذرهم من الاقتراب منها لأنه استأجرها بعقد رسمي من ناشد، وهنا أسقط فى يد الجميع بما فيهم عمدة الناحية لأنه يعرف شراسة عنتر ويخشاه ولا يستطيع أن يدخل فى نزاع معه.

وهنا وجد الجميع أنه لا حل سوى الذهاب للمحكمة ورفع قضية لإثبات حقهم في قطعة الأرض واستردادها بالقانون. وفوجئ الجميع في المحكمة ان ناشد يملك عقد بيع من أبيه موثق من المحكمة حيث حصل على صحة توقيع بتاريخ سابق لوفاة أبيه. وهنا بدأت المراوغات القانونية بين الطرفين وكل واحد يحاول ان يثبت أنه المالك الحقيقي للأرض. لقد أدخلهم ناشد بمكره فى دوامة، ورغم أن قطعة الأرض لا تزيد عن نصف

فدان ولم تكن تستحق بأسعار تلك الأيام أكثر من خمسين جنيها إلا أن هذا الموضوع قد فتح ثغرة يدخل منها كل من يريد أن يزيد النار اشتعالا، وهكذا بدأ النزاع يتسع حتى شمل الكثيرين من عائلات القرية.

ظلت القضية أمام القضاء اكثر من ثمان سنوات. كانت العقدة الرئيسية هي توصيف وضع الخواجة مجلى، هل هو تاجر فقط؟ أم تاجر ومزارع؟ اشكالية قانونية دار حولها سجال المحامين طويلا، وكل منهم يتبارى في إثبات صحة موقفه. لقد ركز الخصوم على طلب نزع ملكية الأرض مقابل الدين، على أساس أن الخواجة مجلى كان تاجرا كبيرا ولديه سجل تجارى مؤكد، ومن الجائز قانونا نزع ملكيته لصالح ورثة مرقس أفندي. وكانت هذه عقدة أخرى فالإصرار على نزع الملكية ورفض استرداد مبلغ الرهنية قصد به إذلال ناشد وأخوته مما ضاعف من عناده والتمادي في المواجهة. وكان هناك من المحامين العباقرة الذين يساندونه ويدفعون بأن الخواجة مجلى كان تاجرا ومزارعا وبناء عليه لا يجوز نزع ملكيته خصوصا وأن ورثته مستعدون لدفع قيمة الدين. وهذا ما حدث بعد هذه السنين الطوال.

2- سنوات الأحزان

في غضون هذه السنين الصعبة مرت على الأسرة أحزان كثيرة. فقد مرضت أختنا الكبرى (حبيبة) مرضا شديدا وبعد شهور من المعاناة رحلت إلى العالم الآخر، وتركت خلفها ولدان وطفلة رضيعة إسمها (معزوزة) بقيت في رعاية أمي ورعايتنا حتى بلغت سن الشباب وتزوجت. كان موت أختنا الكبرى شيئا قاسيا على الأسرة ترك أحزانا عميقة نتيجة الشعور بالعجز وقلة الحيلة. فقد كلفتنا القضايا أموالا كثيرة أفقرت الأسرة وأعجزتها عن مواجهة مطالب الحياة الأساسية من مأكل ومشرب وعلاج. فالحسرة التي أعقبت الوفاة كانت نتيجة لإحساس بالتقصير في علاج أختنا بصورة كافية. كما أن مرضها كان سببه صدام مع زوجها الذى فوجئت به يطالبها بأن تحصل على حقها في ميراث أبيها المتوفى دون تقدير لظروف العائلة، فأحست بالغدر والجحود نتيجة لتنكره لكل أفضال أبيها الراحل عليه. ودفعها الغضب أن تترك له البيت وتأتى إلينا، ثم أصيبت بالمرض الذى لم يكن في مقدورنا الانفاق على علاجه وأدى إلى وفاتها.

اشتدت الضغوط على العائلة وبدأ كل فرد فيها يحاول أن يعمل أي شيء يقدر عليه، فباستثناء ناشد الذى تفرغ للقضايا والمنازعات، اتجه حكيم وفوكيه لزراعة الأرض المملوكة لنا، وهى ثلاثة قطع صغيرة لا تزيد في مجموعها عن فدانين ولا تكفي غلتها سوى استهلاك العائلة. تولت أختنا الصغيرة اعتماد هي وأخوها الأصغر فوكيه رعاية البهائم وتغذيتها في حقول البرسيم أو حقول الذرة حسب المواسم المختلفة. وفى احد الأيام أشعل الأولاد النار في الحطب لشوى كيزان الذرة كما اعتادوا فى كل يوم لكن يبدو أن شرارة اشتبكت بملابس الطفلة الجميلة ولم يستطع أحد من الأولاد والبنات المحيطين بها أن يطفئ النار التي علقت بثوبها وأحرقت جسدها وأودت بحياتها في يوم وليلة. وانتصبت المآتم والأحزان مدة طويلة: لكن توابع الحريق خلقت شكوكا كثيرة فيمن كانوا معها واتجه الاتهام إلى ابن عمها ملاك وكان أكبرهم وقيل إنه هو الذى ألقى بالشرارة التي اشتبكت بملابسها لكن الأمر تم قبوله على انه قضاء وقدر ولم يأخذ طريقه الى القضاء.

لكن الأيام أثبتت أن ملاك كانت لديه ميول عدوانية وإجرامية، ظهرت واضحة في سنوات الشباب وبعد أن بلغ الرشد، فقد دفعه الحقد على الشيخ مليكة شحاته جارهم في الحقل أن يتربص له ويفتعل معه معركة ويضربه بالشومة على رأسه، وكان يمكن أن تقتله لكنها أصابته إصابة شديدة خلفت له عاهة مستديمة. وحوكم ملاك عليها وقضى عامين فى السجن. وكانت الغيرة والحسد هما السبب.

فقد كان مليكة شحاتة فلاحا مجدا وحكيما في تصرفاته وفى تربية أولاده، واستطاع أن يتقدم في حياته ويقتصد في معيشته ويشترى بعض قطع الأراضي الزراعية، حتى أصبح يمتلك عدة فدادين يجتهد هو وأولاده في زراعتها وتنميتها بدرجة اتاحت لهم

أن ينعموا بوفرة من المال ظهرت في أيدى أبنائه الشباب وهم يبارون أولاد القرية في اللعب ويتظاهرون عليهم مما أوغر صدور البعض ومنهم ملاك الذى دفعته مشاعر الغيرة والحقد للتفكير في الاعتداء على هذا الرجل الطيب المستقيم.

وقد أخذ ملاك جزاءه لكن السجن لم يغير طباعه أو يهذب ميله إلى العنف الذى ظهر بعد ذلك في معاملته لزوجته وكانت سيدة بارة وبسيطة. لكنه دأب على إهانتها وضربها حتى بعد أن أنجب منها ثلاثة أولاد وبنت، اضطرت أن تحملهم وتذهب بهم إلى بيت أبيها حيث عاشت فى وسط رعاية أخوتها الذين احتضنوها بحب هي وأولادها ووقفوا إلى جانبهم حتى تخرجوا من الجامعة وحصل الأربعة على شهادات جامعية.

لكن جريمة حرق اعتماد أختي تم التسامح بشأنها مراعاة لعمى وعائلته واعتبرت المسالة مجرد لعب عيال كما يقولون، وهزار بريء والأولاد الذين شهدوا هذه الحادثة كانوا فى سن الطفولة البريئة لم يزد أكبرهم عن أثنتى عشر عاما وكانوا معتادين على إشعال النار وشوى كيزان الذرة كل يوم واللعب مع بعضهم ولم يكن أحد يظن أن تصل الأمور أبدا إلى هذا الحد خصوصا أن هؤلاء الأولاد كانوا أصدقاء محبين لبعضهم البعض. وكانت المأساة صدمة شديدة لهم ولكل فروع العائلة الكبيرة وعلى رأسهم العم الأكبر باخوم والد ملاك. كانت الفقيدة هي بنت اخيه الراحل وهى طفلة بريئة عزيزة عليه وكان هو كبير العائلة وكان يحاول أن يلم الشمل دائما إلا أن تصلب ناشد وعناده كان يحول دون ذلك وكان يترك للمنغصات أبوابا كثيرة.

كان هذا العم فلاحا بسيطا ومجتهدا في عمله وفى تربية أولاده. وقد منحه الله موهبة في تربية البهائم ومعرفة أمراضها بل وعلاجها وتوليد البقر والجاموس. كان بمثابة الطبيب البيطري في زمنه. فإذا عرفنا قيمة البقرة او الجاموسة عند الفلاح وأولاده عرفنا أهمية هذا الرجل بالنسبة لأبناء القرية جميعا سواء الفقراء أو الأغنياء. كان معدودا من الأعيان وحكماء الرأي بينهم، يحرص الكثيرون على توقيره واحترام كلمته.

كان رجلا ودودا هادئ الطبع يسعى إلى السلام بين الناس، وكان الناس يحبونه ويلجأون إليه فيما يحدث من خلافات بين بعضهم بعضا أوبين جار وجاره. وكانت كلمته مسموعة عند الجميع ولم يخرج على طاعته إلا ملاك ابنه وناشد ابن أخيه، وكان هذا بسبب غباء ناشد وعناده الذى تحدثنا عنه. وقد أوجد هذا الموقف جفوة لدى العم وأبنائه الكبار من أنداد ناشد فاصبحوا يبتعدون عنه ويتبرأون من كل مشاكله مع الناس ومع العمدة والشيخ بصفة خاصة. لقد أوجد ناشد شرخا خطيرا في جدار العائلة الكبيرة وأساء إلى علاقات التحاب والمودة التي كانت سائدة قبل وفاة أبيه.

وقد انعكس ذلك بشدة على ناشد نفسه وضاعف من عزلته، فبعد أن رفضته نعيمة فكر في الزواج من منيرة ابنة عمه باخوم وحاول ان يتقرب منهم إلا أنهم رفضوه باعتباره مشاغب وغلاط ولا يؤمن جانبه، وفضلوا عليه غالى عزيز لأنه شخص مسالم ولديه هو وأخوته الأربعة؛ عشرة فدانين أرض ويمكنه أن يضمن لها حياة مريحة. وهكذا

توالت الضربات على ناشد وكان ذلك كله من توابع تلك القضية اللعينة وجنوحه ضد التيار العام في القرية.

شهدت هذه السنوات شدا وجذبا وتقلبا في أحوال القرية وناسها. فالحياة لا تتوقف وعمليات الأخذ والعطاء فى الزراعة والتجارة لا تتوقف. انعكست هذه الأوضاع على حياة العائلة بقسوة شديدة. فالقضية أجهدتهم ماديا ومعنويا، وأضاعت الكثير من الوقت الذى كان يمكن أن ينصرف فى عمل منتج. فقد تفرغ ناشد تقريبا للقضية وما يتبعها من منازعات فى محيط القرية. فكان يذهب مرات كثيرة إلى البندر، وكان الناس يرونه إما ذاهب للمحكمة أو للمحامي، وهنا أخذ البعض يستشيره في بعض مشاكله وكانت مشورته تنتهى غالبا بدفعهم لرفع قضايا فى المحاكم، فيطلبون منه ترشيح المحامي المناسب لتولى هذه القضية أو يأخذهم لواحد ممن يعرفهم. بدأ ناشد يوثق علاقته ببعض المحامين واستهوته هذه الشغلة حتى أدمن الذهاب إلى المحكمة ومكاتب المحامين معظم أيام الأسبوع وكأنه موظف يواظب على عمله. وكان هذا يتم دون سبب او مبرر معقول.

من جانب آخر فإن منازعاته مع العمدة وشيخ البلد وتحديه لهم جعلت بعض البسطاء يرون فيه بطلا يمكن ان يتكلم بلسان الضعفاء ويعبر عن مطالبهم. فالتف حوله بعض المظلومين وكذلك بعض الموتورين والمغرضين وأخذوا يشجعونه على التمادي في تحدى العمدة والشيخ والتحريض ضد بعض ملاك الأراضي بدعوى أنهم يستغلون الفلاحين ويسرقون ثمرة عرقهم.

كان موقف العمدة والمشايخ بالطبع في صف ملاك الأراضي ومن ثم كان الصدام مع ناشد أمرا محتوما. أصبح ناشد في نظرهم هو رأس الحربة فى هدم سلام هذه القرية الصغيرة. هكذا يقولون لأن هذه النزاعات التي يحركها أخذت تستدعى بعض الخصومات والحزازات القديمة وتفتح جروحا كانت قد اندملت منذ عشرات السنين.

ففي الماضي البعيد كانت عائلة أبو طالب هي التي تحكم القرية، وهى عائلة لها جذور عميقة يقال إنها كانت من أول العائلات التي سكنت هذه الناحية، وأصبحت لها فروع كثيرة ممتدة في نواحي القرية بحيث أصبحوا يشكلون أغلبية السكان، وكان من الطبيعي أن يكون حكم القرية حقا لهم يمارسونه جيلا بعد جيل عن طريق احتلالهم لمنصب العمدة.

كانت لهذه العائلة مكانة فى نفوس الناس بحكم اعتبارات كثيرة تربطها بأهل القرية. أهمها أن معظم أفرادها كانوا من صغار الملاك فكانوا يتعاملون مع بقية المزارعين والفلاحين بروح التآخي والمودة وكأنهم أصدقاء للجميع لا يتعالى أحد منهم على عامل أو فلاح، وكان هذا سر قبول الناس لهم لكن تزايد أفراد هذه العائلة بسبب كثرة الإنجاب كان له تأثير سلبى خطير، فقد أدى إلى تفتيت ملكياتهم الصغيرة وإضعاف قدراتهم المادية خصوصا وأن زيادة المواليد عندهم لم ترتبط بزيادة عدد المتعلمين بينهم وكان لهذا أثر سيء على مستقبل العائلة ونفوذها في القرية.

لكن سنة الحياة هي التغيير والتبديل والتطور. وكان طبيعا أن يترك التعليم تأثيره على أحوال الناس. فكانت عائلة لطفى بك تكبر ويزداد وجودها قوة بحكم وصول بعض أفرادها إلى مناصب عليا ومراكز هامة في الدولة. فقد وصل لطفى بك إلى منصب وكيل لمديرية أمن الجيزة، وأصبح أخوه صادق بك من أكبر المحامين في مصر فضلا عن الأملاك الشاسعة التي اشتراها مما جعله الآن واحدا من الإقطاعيين الكبار. كذلك اتسع نفوذه السياسى بحكم انضمامه لحزب السعديين الأحرار. وكان معظم أفراد هذه العائلة موجودين فى القرية وكانوا جميعا يتمتعون بأخلاق طيبة وبروح التواضع الجم وكانوا يتقربون إلى أهل القرية يشتى الطرق. كانت الإمكانيات المادية المتوفرة لديهم تساعدهم فى تحقيق بعض الخدمات اللازمة للناس، وكذلك استضافة رجال الإدارة وكبار المسئولين عن الزراعة والري والتعليم.

وهكذا ظهرت وجوه جديدة تساهم في عملية التغيير والتطوير في القرية. فأصبح كل من له حاجة يتجه أولا الى هذه العائلة ذات القدرة المادية الهائلة في الوقت الذى باتت فيه أحوال عائلة أبو طالب تتدهور ماديا بدرجة تعجزهم عن المنافسة. وجاءت فرصة التغيير الحاسم بعد وفاة العمدة أمين رأس هذه العائلة الكبيرة. وكان رجلا محترما ومحبوبا من الجميع وكانت عائلة لطفى بك بكل أفرادها يحترمونه ويحملون له كل محبة وتوقير، وكانوا يعتبرون الخدمات التي يقدمونها لأهل القرية هي واجب عليهم تجاه الجميع وليس وراءها أغراض أو مصلحة شخصية.

هذه هي الروح التي سادت القرية منذ أجيال طويلة ومازالت تسودها حتى الآن باستثناء فترات قليلة وقصيرة كانت تنتفض فيها روح العصبية وتتسبب في بعض الأحداث غير المحببة بين بعض الأفراد والتي كانت تؤدى إلى تعكير صفو الحياة قليلا في هذه القرية الوادعة. لكن سرعان ما كان يتم تسويتها وتعود الأمور ألى طبيعتها.

بدأت ازمة القرية هذه المرة نتيجة لسعى بعض الحاقدين والحاسدين لتحريك الأحقاد بين الناس. واستغلوا إعلان عبدالله أفندي أخو لطفى بك للترشيح لمنصب العمدة الخالي. وهنا أخذت بعض النفوس تسعى في الظلام لإثارة الفتنة رغم أن الأمر يبدو عاديا ولا يثير العداوة فمجال الخدمة مفتوح لكل من استطاع إليه سبيلا، ومنصب العمدة ليس استثناء. وعلى هذا كان يمكن أن يتم الاختيار بالتراضي بين الجميع إلا أن الخلافات اشتعلت وجرت البعض إلى الغضب والتحدي وكان من نتيجتها معركة بين بعض الأشخاص نتج عنها قتيل واحد من عامة الناس لا شأن له بهذا أو ذاك. وكما يقول المثل (مالوش فى التور ولا في البقرة)، لأنه فلاح أجير أخذه الحماس للمشاركة في فض خناقة مع آخرين من الناس الطيبين وكانت نتيجة الشجار هذه الثمرة المرة، تم توصيف الجريمة بأنها قتل عن طريق الخطأ، واستطاع عقلاء القرية تسوية المسألة والاتفاق على إجراء الانتخابات فى القرية ونجح فيها عبدالله أفندي أخو لطفى بك وباتت القرية تلملم جراحها من جديد وتستعيد هدوءها الذى استمر سنوات .

ظلت القرية تنعم بالهدوء والسلام لا يعكر صفوها شيء حتى اصبح الناس يضربون بها المثل، وكان أبناؤها يتفاخرون بما تتمتع به قريتهم من هدوء وسلام بين الجميع مسلمين ومسيحيين بصورة يندر وجودها فى أي بلدة أخرى. تمت أثناءها بعض الإصلاحات الهامة. فقد تم توصيل المياه النقية إلى القرية ودخلت معظم البيوت وتم توصيل الكهرباء أيضا حتى أصبحت الطرق التي تربطها بالبندر تضاء طوال الليل ووصلت إلى مستوى القرى المتطورة خصوصا بعد أن فتحت بها مدرسة ووحدة صحية. وتم ذلك كله في بداية الأربعينات.

مضت سنوات عديدة ومازالت قضية المطالبة باستلام قطعة الأرض المرهونة منظورة امام المحاكم، وفى هذه الأثناء اتخذ ناشد خطوة جريئة فقام ببيع الأرض فقد كان فى موقف صعب وأوشك أن يفوته سن الزواج وهو لا يملك مالا لتحقيق هذه الغاية. وقد ساعده هذا الحل على أن يتخذ خطوة إيجابية في هذا الشأن وسرعان ما وجد الخاطبة تعرض عليه عروسة جميلة بنت تاجر أقمشة في البندر وتم كل شيء سريعا وتم الزواج وهو زواج موفق لأن هذه العروسة الجميلة كانت تتحلى بهدوء وبساطة لا تسأله ماذا يفعل ولا أين يذهب. وهكذا سارت الحياة فى يسر ورضاء جعلتها محبوبة ومقبولة من كل أفراد العائلة. وقد أتاح هذا لناشد فرصة كبيرة للسير في طريقه المعتاد والجري وراء القضايا التي تخصه والتي تخص الآخرين.

اكتشف الخصوم أن ناشد باع الأرض موضوع النزاع بحكم الحجة التي وقعها أبوه له قبل وفاته، وأصبح الموقف شديد التعقيد. أصبحت فكرة التمسك باستلام الأرض جريا وراء السراب. وكانت نصيحة بعض المحامين أن يتنازل ورثة مرقس أفندي عن مطلب تسليم الأرض ويعلنوا استعدادهم لقبول مبلغ الدين مقابل انتهاء الخصومة. ولم يكن هناك مفر من قبول هذا الحل إلا أن ناشد طلب من المحكمة أن توافق على تقسيط المبلغ على عدة دفعات فرفض خصومه وأصبح عليه أن يقوم بتدبير المبلغ كله في غضون شهور قليلة. وهنا بدأ ناشد يقلب فى دفاتره القديمة والجديدة عمن يقبل أن يقرضه مبلغ خمسين جنيها وهذا مبلغ كبير بحساب تلك الأيام. وما هو الضمان الذى يمكن أن يقدمه للدائن. وفجأة قفز إلى ذهنه أسم المقدس حنا أبو عيش، هذا الرجل يملك ثروة عريضة لكنه رجل شديد الحرص ولابد من خطة للاحتيال عليه.

تمساح البحر الصغير يخدع تمساح البحر الكبير

كانت علاقة ناشد قد توثقت بهذا الرجل بعد لقاء تم صدفة فى المحكمة، إذ رآه مع اولاده الذين أقاموا دعوة ضده يطلبون فيها الحجر عليه باعتباره مختل العقل. كان ناشد يعرف أن هذا الشيخ الكبير هو شقيق جده جرجس يوسف فدعاه ليقضى ليلة عندنا يستريح فيها من عناء السفر، خصوصا وأن قرية العوايسة التي نعيش فيها تقع على مسافة ثلاث كيلومترات من المحكمة، وفعلا جاء معه إلى بيتنا حتى يتجنب مواجهة أولاده في طريق العودة لأنه يشعر أنهم يتربصون به ويريدون التخلص منه. فجاء ليستريح قليلا ووجدها فرصة ليرى بنت أخيه التي لم يرها منذ سنوات طويلة لأن علاقته

مع أبيها ليست على ما يرام. المهم أن أمنا رحبت به - وقامت على خدمته طوال الليل. وفى صباح اليوم التالي أخذ طريقه إلى البندر ومن هناك ركب أوتوبيس إلى قريته (الطيبة) وهى تبعد حوالى خمسة وعشرين كيلومترا من البندر حيث توجد المحكمة.

أحس الرجل في وجوده عندنا فرصة للراحة والتقاط الأنفاس، فأعتاد ان يأتي ليقضى الليلة معنا كلما دعي لحضور إحدى جلسات القضية بالمحكمة. وفى أحاديث السمر معه عرفنا أن أولاده وهم ستة رجال انقلب حالهم بعد وفاة والدتهم، واشتدت خلافاتهم معه بعد أن تزوج بسيدة أخرى تقوم على خدمته. فهم جميعا متزوجون ولهم أولاد وكان لابد له أن يتزوج بزوجة ترعاه وتسهر على خدمته في هذه السن المتأخرة. لكن أولاده لم يعجبهم هذا الأمر وأخذوا يتمردون عليه، حين رأوا أن هذه الزوجة في متوسط العمر وتتمتع بصحة جيدة وقادرة على الإنجاب فأكلتهم الغيرة خوفا من أن تنجب طفلا أو طفلة تشاركهم الميراث. فبدأوا يسرقون المحاصيل من القطن والغلال ويتنافسون على من يحصل على النصيب الأكبر. فأراد أن ينتقم منهم فكتب الأرض باسم الجنين الذى لم يولد بعد، فقاموا برفع دعوة فى المحكمة يطالبون بالحجر عليه باعتباره مختل العقل ولا يحسن التصرف في أمواله ولابد من رفع يده عن الأرض التي يملكها والتي تبلغ مساحتها خمسة وعشرين فدانا من أجود أنواع الأراضي في زمام القرية.

ورأى الرجل أن يستعين بخبرة ناشد ليدله على محامى شاطر إلى جانب المحامي القائم على القضية الآن. فأخذه إلى محامية شابة تتميز بطلاقة اللسان والبراعة فى كتابة المذكرات اسمها، نعمت بدر. يقولون رغم حداثتها فأنها لم تخسر قضية. لكن الرجل لم يفصح أبدا عن الأسباب الحقيقية التي دفعت أولاده لسلوك هذا الطريق، وكيف بدأت هذه المشاكل. .لكن مصاحبة ناشد له عند المحامين أثارت اهتمام أولاده فسعوا لمعرفة السر وجاءوا إلى بيتنا أيضا ورحبت بهم أمى فهم أولاد عمها. وكان لابد أن نسألهم عن سر ثروة عمها هذا، كيف أصبح يملك كل هذه الأراضي فى حين أن أباها مازال رجلا فقير الحال لا يملك إلا ما يكفى قوته.

قالت أمي ما سمعته من أبيها، أن عمها هذا عثر على كنز كبير. حين كان يحفر هو وابنه الأكبر سليمان فى كوم تراب خارج البلدة، تراب قديم مختلط بالرمل يقولون إنه من أيام الفراعنة ويسمونه الكفراوى. لكن الناس اعتادوا أن يأخذوا هذا التراب لتسميد الأرض قبل زراعتها وكان له تأثير كبير فى تخصيب التربة. وأثناء الحفر وجد سليمان مسخوطا كبيرا يظهر أمامه فجأة من بين التراب فظنه عفريتا فضربه بالجاروف الذى كان يغرف به التراب فتهشم التمثال، ووقع سليمان مغشيا عليه من هول الصدمة، وأصيب بمرض خطير توفى على أثره بعد شهور. لكن أبوه كان رجلا قويا متين الأعصاب فتحقق من الأمر واكتشف انه تمثال من الذهب فجمع أجزاءه المهشمة في جوال وغطاه وحمله مع أبنه على ظهر الحمار وذهب به سرا الى البيت فى جنح الظلام بعد حلول الليل حتى لا يراه أحد من أهل القرية.

ولم يعرف أحد حتى الآن كيف تصرف في هذا التمثال؟ هل باعه جملة أم قطعه قطعة. المهم أن الثروة فاضت معه ولأنه رجل حريص وكتوم لم يعرف أحد سره إلا بعد انفجار الخصومة بينه وبين أولاده. كان يشترى الأرض قطعة قطعة حتى يبدو الأمر وكأنه نتيجة عملية اجتهاده هو واولاده في فلاحة الأرض وتربية الماشية وبيعها بعد تسمينها. المهم لم تمر سنوات كثيرة حتى وصلت أملاكه إلى خمسة وعشرين فدانا من أجود أنواع الأرض. كان الأولاد يطيعونه ويفرحون بنمو الثروة وزيادة الأرض على أمل أن ذلك سوف يمكنهم من المعيشة المستريحة فى المستقبل.

وكانت أمهم سيدة قروية فاضلة تتفانى في رعايتهم وتحكى لهم عن أخيهم الأكبر الذى دفع حياته ثمنا لهذه الثروة وتحضهم على طاعة والدهم والعمل معه بإخلاص حتى يبارك الله لهم ويسعدهم هم وأولادهم. وتذكرهم بأن أخاهم الأكبر مات وهو يعمل مع أبيه وهو الذى وجد الكنز. وفى وجود هذه الأم الحنون كان الأولاد يعملون بجد ونشاط في زراعة الأرض وتنميتها. وسارت الأمور سيرها الطبيعي وتزوج الأولاد واحدا بعد الآخر، وبدأ كل منهم يستقل هو وزوجته في جزء من البيت. وكان ذلك سببا في ظهور بعض الخلافات بين الزوجات نتيجة الطمع وقلة القناعة، او قل بسبب التمييز بينهم في بعض الأمور.

ظلت الخلافات في حدود الاحتجاجات البسيطة ضد الأب وكانت الأم تقوم بدور الوسيط المحبوب والمطاع من أولادها. فالرجل يوزع عليهم جزءا من المحصول بالتساوي ليعيشوا منه ويحتفظ بالباقي ليستثمره، لكن كان بعضهم يتذمر بحجة أن الحصة التي أعطيت له لا تكفيه لأن عائلته كبيرة، ورغم هذا ظلت الأمور تحت السيطرة إلى أن ماتت الأم وبدأ العقد ينفرط والخلافات تشتد. عند ذلك أقدم أبوهم على الزواج، وكانت الزوجة الجديدة سيدة في متوسط العمر لا يزيد سنها عن خمسة وثلاثين عاما، يعنى سيدة قادرة على الإنجاب مرة ومرتين وستأتي لهم بشركاء جدد في الميراث فأخذوا يوحدون صفوفهم معا في تحدى واضح لأبيهم ويطالبونه بتقسيم الأرض بينهم، مما أغضب الوالد ودفعه إلى تصرفات هوجاء فأخذ يضيق عليهم الخناق ويقتر عليهم بصورة شديدة جعلتهم يتفننون في نهب الزرع وسرقة المحصول بشتى الطرق،

قيل إنه كان يخزن الغلال في الأدوار العليا بالمنزل ويغلق عليها الأبواب بالمفاتيح مما دفع أولاده لابتكار حيلة غريبة يحصلون بها على ما يريدون، فقاموا بعمل ثقوب واسعة في السقف ومنها بدأت الحبوب تتدفق عليهم بكميات كبيرة واستمر الحال مدة طويلة حتى جاء الوقت الذى قرر فيه أن يفتح هذه المخازن وفوجئ بما حدث وأحس بصدمة أخرجته عن وعيه فقرر أن يحرم أولاده من كل ثروته. وكانت زوجته الثانية التي تزوجها بعد وفاة والدتهم حامل في شهورها الأولى فذهب للمحامي وكتب الأرض كلها باسم الجنين وسماه نبيل، وخذله الحظ فجاء المولود أنثى سماها نبيلة. فقام اولاده برفع قضية يتهمونه فيها بالجنون ويطالبون بالحجر عليه.

هذا هو الرجل الذى قفز اسمه فجأة إلى ذهن ناشد وبدا يفكر في طريقة للاحتيال عليه حتى يستدين منه المبلغ المطلوب. وتمهيدا للأمر نبه علينا إذا سؤلنا عن الجاموسة

أو البقرة نقول إن الماشية حتى الحمار باسم والدتنا. وفعلا حاول الرجل بعد أن فاتحه ناشد في أمر السلفة أو الدين أن يستقصى عن كل شيء نملكه وأخيرا وافق على أن يكتب له ناشد حجة رهنية بنصف فدان أرض. وبعدها بأيام ذهب ناشد إليه في بلدته على أمل أن يتأكد من قبوله للعرض فأعطاه الرجل مهلة يومين لتدبير المبلغ. فذهب ناشد ليقض الليلة مع جدى جرجس في بيته، وأثناء الحديث معه عرف جدى الهدف الذى يسعى أليه ناشد، فهز رأسه تهكما وراح يتغنى ببعض أبيات الشعر الشعبي ويغنيها بصوته قائلا:

جاء تمساح البحر الصغير يضحك على تمساح البحر الكبير، يروح فين تمساح البحر الصغير مع تمساح البحر الكبير.

كان جدى جرجس يعرف أخاه جيدا. فهو رجل ماكر وحريص أشد الحرص ولن يستطيع أحد خداعه، لكن ناشد خدعه فعلا وباع له الهواء فاخذ المبلغ منه وكتب له حجة بمساحة وهمية، نصف فدان بحدود تجعلها محصورة في وسط الماء داخل ترعة الإبراهيمية. وانطلت الحيلة على الرجل ودفع المبلغ وبهذا استطاع ناشد ان يدفع الدين ويضع نهاية لتلك القضية المشؤومة.

3- زواج وأفراح عائلية

هدأت الحياة قليلا بالنسبة لعائلتنا. وجاء عريس يخطب أختي فكتوريا وتم الزواج بعد وقت قصير، وانتقلت إلى بيت زوجها في درب النصارى. كان زوجها يعمل جمالا وراعى غنم مثل ابيه واخوته، وكانت حالتهم المادية ميسورة. كان عياد زوجها شابا هادىء الطبع حسن الطلعة يواجه الحياة بابتسامة دائمة. عاش هو وزوجته وسط العائلة وقتا طويلا وبعد ذلك قسم الآب ثروته بين أولاده الثلاثة وانعزل كل واحد منهم في بيت خاص به. واستقلت أختنا في منزل قريب منا حيث أنجبت أولى بناتها طفلة جميلة سموها جمالات، ويعدها جاءت نظاكة ثم ناريمان وزوزو ونعناعة وأخيرا أنجبت ولدين جمال وصفوت. ففي ظرف سنوات كونوا اسرة كبيرة من ولدين وخمسة بنات واستمرت الحياة في طريقها المعتاد وتم زواج ابنتهما الكبرى واختها الثانية وأصيب الأب بفيروس (س) اللعين الذى دمر كبده وقضى عليه.

جاء الدور على معزوزة بنت أختي الكبرى حبيبة التي توفيت وتركتها رضيعة، فقد كبرت وأصبحت شابة وافرة الصحة والجمال، وجاء عمها زاخر يخطبها لأبنه الوحيد عدلي. وكان هذا الشاب مثالا للخيابة والتفاهة. كان شابا متلافا لا يعرف للمسئولية حدودا. وكان الناس يتندرون عليه بأنه دلوعة أمه وأبيه لأنه ابنهما الوحيد، وكان والده رجلا هادئ الطبع فلاحا مجدا يهتم بأرضه وبماشيته ويعيش هو واسرته عيشة طيبة. لم يذهب عدلي إلى المدرسة ولم يتعلم فأرسله أبوه ليتعلم صناعة الأحذية في محل الخواجة مقبل زوج خالته، وصار أحد الصنايعية الذين يعملون وأصبح يتقاضى أجرا أسبوعيا، لكنه كان متلافا وكفه مخرومة فلم يكفه الأجر وظل يحصل على مصروفه من أبيه،

وحين عرفت أمه أنه تعلم وأصبح يعمل ويتقاضى أجراً مثل زملائه نصحته بأن يعتمد على نفسه، فكف عن طلب المصروف من أبيه واتجه عقله إلى أن يقوم بعمل إضافي يحاول عن طريقه زيادة دخله، ففكر في اكتساب زبائن من أبناء القرية عن طريق إغرائهم بنوعية الأحذية التي يصنعونها في المحل وفى نفس الوقت يعرض عليهم استعداده أن يفصل لمن يريد حذاءا ممتازا وبتخفيض كبير في الثمن. وأقبل عليه بعض الشبان فى البداية وفعلا صدق معهم في وعوده، وجاءه زبائن أخرون، الواحد بعد الأخر يدفعون له مقدم الثمن أو العربون إلا أن وعوده في تسليم البضاعة لهم بدأت تتخلف وتتأخر مددا طويلة وبعضهم فقد الأمل في الحصول على حذائه وفى استرداد العربون الذى دفعه،

لكن عدلي عجز عن الوفاء تماما وأخذ يتهرب من مواجهة الناس لأنه كان ينفق ما يأخذه أولا بأول قبل أن يدفع ثمن الخامات الجلدية وغير الجلدية اللازمة لصنع الأحذية فوقع في حيص بيص، ولم يعد قادرا على الوفاء بأي شيء. ظل يمهل زبائنه أسبوعا

وراء أسبوع دون طائل ويتهرب من مقابلتهم في بيته أو في الطريق فاخذوا يطاردونه من مكان إلى أخر وهو يتهرب ويتخفى في الذهاب والعودة.

كان الطريق المعتاد الذى يربط القرية بالبندر هو طريق ترعة الحلفاية، وهو جسر ممهد لسير الناس والسيارات وكذلك عربات النقل. والجميع يعتمدون عليه ويلتمسون فيه الأمان لأنه يضاء طول الليل ويعتبرونه الطريق الأمن لكل أبناء القرية. ونتيجة لاختفاء عدلي وعجز الزبائن عن العثور عليه بالنهار في وقت ذهابه للعمل. فكر بعضهم في أن يتربصوا له بالليل فى هذا الطريق المضاء، لكنه كان يغافلهم ويأخذ الطريق الشرقي، طريق طرادي النيل وهو طريق بعيد عن نور الكهرباء. وهكذا يفلت كل ليلة من فخ المتربصين به كما لوكان يلبس طاقية الخفاء، ويضطر الزبائن بعد ذلك للذهاب إلى أبيه يشكونه فيدفع لهم المبالغ الذى أخذها أبنه ويعتذر لهم عما حدث، وينتهى الأمر.

كنا نعرف كل هذه الأمور عنه، فرفضناه كلنا في البداية. كيف نسلم هذه البنت اليتيمة لهذا الشاب المستهتر، هذه الطفلة تركتها أمها رضيعة في حضن أمي وتربت بيننا حتى أصبحت ناضجة تتمتع بدرجة كبيرة من الجمال والنضارة. لجأ والد عدلي ووالدته إلى بعض الناس الطيبين من أهل القرية وطلبوا منهم أن يتوسطوا في الأمر، وألح هؤلاء الوسطاء علينا وحجتهم أن عدلي هو ابن عم معزوزة وهذا يعطيه الحق شرعا في التمسك بها،

كذلك فإن أباها، الذى لم تره طوال حياتها سوى مرة أو مرتين، قد جاء يذكى ابن أخيه ويدعونا للموافقة، وجاء معه ولداه الكبيران نعيم وموريس الذين يرجون منا أن نوافق على هذا الزواج وهم يتعهدون بالوقوف إلى جانب أختهم إذا حدث أى خلاف مع زوجها، ويطمئنوننا بأن عدلي هو الأبن الوحيد لأبيه وسوف يضمون معزوزة في أحضانهما كأنها ابنتهما أيضا. الكل يرى إن عدلي ابن عمها وهو أولى بابنة عمه من الأخرين دون تفكير في قدرة هذا الشخص على تحمل هذه المسئولية أو في لياقته البدنية وصلاحيته للزواج بمثل هذه الشابة الفارعة. فقد كان قصير القامة نحيل الجسم باهت الوجه حتى تظنه مريضا.

كانت أمي تعارض بشدة وترفض وكنا جميعا معها، لكن الناس استطاعوا بعد وقت طويل من الأخذ والرد ان يقنعوا حكيم بالموافقة فرضخنا أخيرا. كان حكيم يحاول أن يخفف العبء عنا بأن نترك مسئوليتها لزوجها ولأبيه وأمه، خصوصا وأن عدلي ليس له أخوة وستكون معزوزة في رعاية عمها وزوجته، وتم الزواج وعاشت في وسطهم عدة سنوات فى هدوء واطمئنان أنجبت خلالها نادية أولا، وعيد بعد سنتين ثم اكتشفنا أنهما من المعوقين. فأجسامهما ضامرة لا تنمو بدرجة طبيعية وكذلك قدراتهما العقلية ضعيفة أيضا. كانت صدمة شديدة تحملتها المسكينة فى صبر وأناة على مدى ربع قرن أو يزيد، بعد ذلك رزقهما الله بطفلة جميلة وسليمة صحيا وعقليا سموها شوقية وهى التي

تحملت مسئولية أخيها واختها بعد وفاة الأم. كانت تجربة مريرة جدا تحملت فيها المسكينة كثيرا من الألآم والأحزان نتيجة لعجزهم عن مواجهة هذه الأمراض.

كانت المشكلة أن عدلي لم يعتد تحمل المسئولية، وربما كان هذا مقبولا في السنوات الأولى على أساس ان مسئولية البيت كان يتحملها ابوه وأمه التي كانت تحب معزوزة واطفالها وكانت تساندها وتخفف عنها. لكن المأساة تفاقمت بعد وفاة الأب والأم. وعاد عدلي ليجد نفسه يتيما قليل الحيلة قليل الجهد فبدأت الخلافات تدب بينهما. وكانت مشكلة الطفلين العاجزين تحتاج إلى أب حساس ومسئول يبحث لهم عن علاج او تدريب يساعدهم على الحياة في وسط الناس العاديين. لم يكن عدلي من هذا النوع من الرجال فضاقت به الحياة وسافر الى ليبيا ليبحث عن عمل يناسب قدراته لأنه لا يقوى على شغل الغيط كفلاح أو رعاية الماشية. وليته اهتم بزوجته وأولاده لكنه ذهب ونسى الجميع وبقيت معزوزة تناضل وحدها. إلى أن ماتت وغادرت الدنيا بعد معاناة شديدة مع المرض ومتاعب الحياة وتركت الولد وأخته المعوقين في رعاية أختهما الصغرى وزوجها اللذين تحملا المسئولية بكل حب وإخلاص عدة سنوات حتى ماتت نادية وبعدها مات عيد.

وأنا ما زلت أتألم كلما تذكرت مأساة العجز أمام هذه الأمراض الغريبة. والحكاية كلها سببها زواج الأقارب، بالإضافة لعدم اختيار الزوج المناسب. المهم أنه سافر إلى مدينة بنغازي وارسل خطابا أو خطابين من هناك ولم يرسل لأبنائه العجزة مالا أو ملابس كما يفعل الأباء عادة ولم يواصل ارسال الخطابات ليطمئن عليهم او يطمئنهم عنه واختفت أخباره سنوات طويلة، وظلت زوجته المسكينة تقوم بالعمل في البيت وأحيانا في الغيط من أجل رعاية أطفالها، حتى أنهكت صحتها وبدأت تعانى من الضغط والسكر وألم العظام.

كان اخي الثاني حكيم يتولى هو وأخي فوكيه تصريف أمور البيت والغيط في غيبة الأخ الأكبر ناشد الذى اعتاد الذهاب كل يوم تقريبا للبندر كما قلنا من قبل. وكانت أمي تساعد في تدبير شئون البيت حيث تقوم بحلب الجاموسة وعمل الجبن والزبدة بالإضافة إلى تربية الطيور. كما تقوم هي وبناتها بتجهيز حبوب الذرة أو القمح للطحن في ماكينة الطحين الموجودة خارج القرية، وهى مهمة كان يقوم بها حكيم وأخوه فوكيه معا. وفى البيت تتم عملية الخبيز في الفرن البلدي داخل المنزل لإنتاج الخبز، وبتوفير الطعام من خبز ولبن وجبنة وبيض وفراخ كان يتحقق للأسرة نوعا من الأكتفاء الذاتي.

كانت أمي سيدة بسيطة لم تذهب إلى مدرسة ولم تكن تعرف القراءة والكتابة لكنها كانت تحفظ الصلاة الربانية " أبانا الذى في السموات " وترددها في الصباح وفى المساء عندما تذهب للنوم. كنت أنا أصغر أبنائها وأنام في حضنها وأنا صغير فتقرأ فوق رأسي بعض الأيات وترسم علامة الصليب وتدعو الملائكة لحراستي، الملاك غبريال على الشمال والملاك ميخائيل على اليمين. وعندما كبرت وأخذ وعيي يتفتح كنت أضحك معها وهى تردد هذه الدعوات وأقول لها، هم الملايكة دول ماعندهمش حد تاني غيرى فتضحك

وتدعو لي ولجميع أخوتى وأخواتي أن يحفظنا الرب من كل سوء ويمنحنا الصحة والسعادة وطول العمر. وكان من أجمل الدعوات التي ترددها عند خروج أي واحد منا من البيت هي، "روح ربنا يجعل لك في كل طريق رفيق وحبيب". وبالنسبة لي فإنني أشهد أن هذه الدعوات استجيبت وتحقق منها الكثير لشخصي.

كانت أمي تكره الشر والعنف وتدعونا دائما لأن نحب بعضنا بعضا ونحب أخونا الكبير ونوقره ولا نهينه، واستطاعت بهذا الأسلوب أن تبقى هذه الأسرة متماسكة سنوات طويلة متجاوزة العثرات والنكسات التي كانت تحدث لنا بسبب عناد ناشد، فتمتص غضبنا وتعيدنا إلى الهدوء كلما جد جديد. وكنا نستجيب لها في أغلب الأحيان. كانت تركز دائما على روح المحبة واحترام الصغير للكبير. لكن الشيء المحزن أن ناشد كان ينحني للعاصفة حتى تمر وبعدها يعود الى تصرفاته المعتادة دون أن يتعظ بما حدث ولم تزده الأيام شيئا غير الأنانية والقسوة واللامبالاة حتى بعد أن صار أبا لستة أولاد وتضاعفت أعباء الأسرة. كان يعيش بيننا في البيت وكأنه يسكن في فندق لا يشغل باله بما نحتاج أو حتى بما يحتاجه أولاده أيضا. كان يترك الحمل علينا وكنا نستغرب موقفه هذا، ولكنه لم يكن يهتم بغضبنا أو فرحنا وكان هذا يملأنا بالغيظ أحيانا،

لقد كبر حكيم في السن وأوشك أن يفوته سن الزواج. وكان هو يحاول أن يدبر الأمور حتى يتمكن من تحقيق هذه الغاية، وهذا ما دفعه للموافقة السريعة على زواج أخته فكتوريا وزواج معزوزة لشاب لا يعرف المسئولية. كان يريد تخفيف الأعباء على الأسرة حتى نتفرغ له. على أي حال، فقد تحمل حكيم المسئولية حوالى عشرين سنة، مسئولية الأسرة كلها حتى رعاية أولاد ناشد الذين يعيشون معنا فى نفس البيت، وكنا جميعا نحبهم ونرعاهم ،أما ناشد فكان يخرج من البيت لا يعرف ماذا سيأكلون أو ماذا يفعلون. وكانت الأسرة تأخذ الأمر على انه مسألة مفروغ منها وتترك له كما يقولون فاضية إلا أنه لم يكن يتركهم فى سلام بل يطب علينا من وقت لأخر ببعض التصرفات التي تهدم ما بنيناه وتعيدنا إلى الوراء. وكانت المشكلة الأساسية التي تمكنه من التسلط علينا هي خضوع حكيم له بدرجة أثرت على حياتنا كثيرا فلم نتنبه إلى خطورة سيرنا وراءه إلا بعد خراب مالطة، وهذا ما أدركناه بعد سنوات طويلة.

في ذلك الوقت انتشر مرض غامض في قريتنا وفى القرى المجاورة لم نكن نعرف له اسما في البداية، وكان طبيب الصحة يزور القرية لمعالجة المصابين بالمرض وكنت أسير معه إلى بعض المرضى من أقاربنا. والحمدلله تم شفاء كل الحالات التي نعرفها تماما ولم تحدث أي وفيات. حينئذ بدأ الناس يتكلمون عن هذا المرض ويذكرون أن اسمه الكوليرا وأنه مرض خطير ينتقل عن طريق العدوى فحمدنا الله مرة ثانية أننا لم نأخذ هذه العدوى وأنني وغيرى كنا نزور الناس ونتصرف بتلقائية معهم ولوعرفنا هذه الخطورة في البداية ربما كنا خفنا وأحجمنا عن تلك الزيارات. لكن هذه الحقيقة لحسن الحظ جاءت متأخرة وجعلتنا نسأل عن بعض المرضى الذين تم لهم الشفاء لنطمئن على شفائهم النهائي، وكيف مضت الحياة بهم فوجدناهم على خير ما يرام. كانت أحدى

قريباتنا ممن مرت بهذه التجربة المرضية، وكان بيتنا بجوار بيتهم لا يفصلنا عنه سوى مدخل حارة صغير لا يزيد عرضها عن ثلاثة أمتار. وكان اهتمامنا بها شيء طبيعي بحكم الجيرة والقرابة. وظهرت بعد هذه التجربة شابة جميلة وافرة الصحة والنضارة مما لفت نظر أخي حكيم إليها فأخذ يتودد أليها ويتكلم معها وهى ترحب باهتمامه بها ووصل الأمر إلى حد الاتفاق على الزواج.

وكنا نتابع هذا الأمر ببساطة ولا نجد فيه شيئا من الغرابة حتى عرفت أمي بالأمر فانفجرت في ثورة عارمة لم نعرف لها سببا. فوالد روحية ابن عمتنا وهو يعمل بناء يبنى البيوت ويساهم في مجال العمران. مهنة شريفة وعظيمة توفر له ولأولاده حياة كريمة ولم يحدث بيننا وبينه شيء يعكر الصفو، وكثيرا ما كان يتعاطف معنا في صراعنا مع الأخرين، كان له ثلاثة بنات جميلات وولد واحد اسمه وديع وهو اصغر الجميع سنا وقد أحسن تربية بناته على الاحتشام والأخلاق الفاضلة. تزوجت الكبرى من ابن عمها، ونضجت الثانية وأصبحت تلفت انظار الشباب وهى التي اختارها أخي وكان اختيارا موفقا حقا.

فهي تتميز بجمال وافر معتدلة القوام لا يعيبها شيء ولم نعرف سر غضب أمنا على هذه الشابة ووجدناها ترفض بعنف وبأسلوب لم نألفه منها أبدا، وكان الأمر محيرا وحين أفصحت أمي عن هذا السر بدا الأمر وكأنه نكتة سخيفة أضحكتنا وأحزنتنا فى نفس الوقت. فأمي تبغض أمها لأنها مهملة في ملابسها وشكلها يخلو من الجمال وان العائلة ليست فى مستوانا، ورغم تفاهة هذا السبب فلم نستطع أن نغير موقفها فقد جعلت هذا الموضوع مسألة حياة او موت، وأخذت تهاجم أخي بصوت مرتفع حتى وصل الأمر الى الجيران والى روحية وأمها وأبيها فقرروا قطع هذه العلاقة، وأعلن أبوها رفضه لأخي حكيم وتزويج روحية لابن عمها، وهكذا أضاعت أمي فرصة حكيم فى زواج موفق.

مرت بعض الشهور حتى هدأت هذه الأزمة التي تسببت فيها أمي، وفجأة هبط علينا ناشد كالرخ بخبر جديد. لقد خطب مريم أخت زوجته لحكيم فقد جاءها أحد الرجال يخطبها وأحس أن والدها موافق على زواجها منه فتدخل وأوقف هذا الإتفاق، وقال إن حكيم أولى بها من ذلك الرجل الغريب. لم يكن لدينا أي اعتراض بل كان الاعتراض الوحيد على المفاجأة. فلم يسبق لنا الحديث فى شأن هذه الزوجة. وأمي لم تكن مسرورة بهذا الأمر، وقالت، كفاية من الديست مغرفة. وهذا يعنى أنها لم تكن راضية تماما عن زوجة ناشد لأنها لا تعرف شيئا عن عملية خبز العيش أو عجن الدقيق ولا حلب البهائم. فقد نشأت هي وأخواتها في المدينة فى جو رفاهية وحياة ناعمة فلا حاجة بهم للتفكير في هم الخبيز أو العجين، وكل شيء كان يشترونه جاهزا ولا عمل لهن أكثر من اعداد الخضروات وطبخها مع اللحم او الفراخ. والعروسة تتميز بأنها هادئة الطبع مثل أختها فلم نعترض وتم الزواج وجاءت العروسة لتعيش معنا ومع اختها الكبرى فى نفس المنزل، وبدأنا نحس بشيء من الراحة ونفكر في مشاكلنا وأمور حياتنا.

4 - شهوة الثراء السريع

لكن عدو الخير لا يريد لنا الراحة، فلم تمض ثماني شهور على زواج أخي حكيم حتى فوجئنا بناشد قادم علينا مثل العاصفة، ومعه عربة كارو وشخصين آخرين لا نعرفهما ومعهما مجموعة من الجوالات الفارغة. وفتح لهم باب الدكان حيث كنا نخزن الغلال، وبدأوا في تعبئة القمح في هذه الجوالات. وفوجئنا بهذا كله دفعة واحدة. كيف يحدث هذا دون مشورتنا وإخبارنا، لأن هذه الكمية من الحبوب هي خزين البيت اللازم لطعامنا طول العام. وليست للبيع. لقد كانت المفاجأة شديدة الوقع بدرجة أفقدت أخي حكيم أعصابه فأمسك بقطعة حديد وزنها خمسة ارطال وقذفها على رأس ناشد ولحسن حظنا أن الضربة أخطأته ولولا عناية الله لقتلته وحدثت المأساة. وصرخت أمي صرخة قوية جمعت عددا كبيرا من الأهل والجيران الذين منعوا حكيم من الاشتباك مع أخيه.

توسط الناس لتهدئة الموقف وحاولوا أن يفهموا سر هذا التصرف المفاجئ من ناشد، فأخبرهم إنه استأجر دكانا في مدينة المعصرة لتشغيله بقالة وخمور وهو يعرف أن هذا مشروع ناجح وسوف يربح كثيرا، ووجد أنه محتاج إلى المال لتأسيس المحل وتشغيله ولم يجد أمامه غير هذا الحل دون أن يفكر لحظة واحدة في حاجة البيت لهذه الكمية من الحبوب، وكيف يمكن أن توفر الخبز الذى نحتاجه. وهكذا كان دائما يضعنا أمام الأمر الواقع ويوقفنا معه على حافة الهاوية. كانت هذه طريقته التي لم تتغير حتى آخر لحظة في حياته. لا ينظر إلا تحت قدميه ولا يعمل حسابا لأحد. وكان هذا الأسلوب من أهم العوامل التي قضت على فرص نجاحه في مشروعات كبيرة وعظيمة كان يمكن أن تجعل منه مليونيرا.

لقد باع القمح وقبض العربون ودفعه في إيجار الدكان ولم يعد لديه فرصة للتراجع عن الصفقة. وهنا توسط الحضور لكى نسمح له بنصف الكمية ويترك النصف الأخر لحاجة الأسرة علما بأنه هو وزوجته واولاده يعيشون معنا ويشاركوننا المشرب والمأكل لكنه لم يفكر فى ذلك لحظة واحدة وكأنه شاب طائش لا يعرف المسئولية.

ورغم هذه التصرفات التي كانت تحرق أعصابنا إلا إننا كنا نتمسك بالأولاد وندللهم دون اعتبار لتصرفات أبيهم. ولم نفرط فيهم أبدا. وبعد عدة شهور جاء ناشد ليحمل زوجته واولاده في تاكسي ويذهب بهم للسكن هناك في المدينة ليعيشوا في حجرة واحدة في الدور الأرضي بجوار أحد العمال وزوجته ويستعملون دورة مياه مشتركة. وهو تصرف لا يقبله عاقل يحرص على راحة أبنائه وحمايتهم. استغرب حماه وحماته هذا التصرف واحتاروا في تفسيره. كيف يفعل هذا الأن؟ هل ضاق هو وزوجته بمن في البيت. فزوجة أخيه هي أخت زوجته وتشاركها الاهتمام بالأولاد طول الوقت. لكن ناشد ركب رأسه، فالرجل يتطلع إلى الثراء ولا يريد أن يشاركه أحد. وهذه هي مشكلته. أنه غبى بصورة بشعة ضيق الأفق يتصرف بدافع اللحظة ولا يعطى اعتبارا للرأي الأخر،

ولا يسمع لأحد وهو يحس دائما بأنه مظلوم، وأننا ظلمناه. ففي رأيه أنه ربانا بعد موت أبينا وتعب من أجلنا. وكنا نطيعه ونصدقه في البداية، ولم نتنبه لكل ما جلبه علينا من مشاكل إلا بعد سنوات وسنوات وبعد خراب مالطة.

كان مشروع افتتاح محل لبيع الخمور موضوعا مثيرا للتساؤل، كيف ينتقل هذا الانسان من تجارة البقالة التي اشتهر بها والده ونجح فيها ودمرها هو بتصرفاته الهوجاء. كيف ينتقل من حياته الريفية إلى حياة أبناء المدينة والاتجار في الخمور؟ السبب أنه كان دائما يبحث عن النجاح السهل والربح السريع. وقد اشتدت في نفسه الرغبة بعد أن خالط والد زوجته، تاجر الأقمشة وكان رجلا سكيرا. يغلق محله في أخر النهار ويذهب إلى بيت أخته زوجة وكيل المحامي زكى الطحان. وكان زكى هذا رجلا ذكيا وماكرا عرف كيف يستثمر مصاهرته للخواجة ملك القماش وساعدته زوجته على ذلك. فشجعت أخاها على الحضور للسهر معهم ودعوة أصحابه من التجار الأخرين لقضاء السهرة في الشرب ولعب القمار.. وقد استمر هذا الحال سنوات طويلة.

رأى ناشد هذا الجو ورأى كيف يلعب هؤلاء الناس بالفلوس وفكر أن يخوض التجربة معهم، فاقترح على حماه وكان ذلك في أيام العز، أن يشاركه في أقامة محل لبيع الخمور بدير جبل الطير في وقت إقامة مولد السيدة العذراء، وكان من عادة هذه الشلة أن تذهب في كل عام الى المولد بدير جبل الطير لقضاء أسبوع كنوع من الفسحة والاستجمام أثناء الاحتفالات. عرض ناشد الفكرة على حماه فأعجبته ودعا بعض أصحابه للمشاركة في تمويل هذا المشروع على أن يقوم ناشد بإدارة المحل مقابل أن يأخذ نصف الأرباح ويأخذون هم النصف الباقي نصيب رأس المال. وطلبوا منه أن يقوم بتوفير كل أنواع المشروبات التي اعتادوا عليها. وتوقعوا أن تغطى نسبة الأرباح نفقاتهم أيضا وتكون النتيجة لعب وشرب. والواقع أن المشروع كان رابحا. والتجار الآخرون الذين يمارسون هذه التجارة من عشرات السنين يربحون الكثير ولا يتخلفون عن المجيء أبدا. ولو كانت هذه التجارة خاسرة لأحجموا عن المجيء. هذا واقع معروف للجميع لأن مكاسب الخمور لا تقل عن ثلاثين بالمائة، وهذا ما شجع حماه وأصحابه على مشاركة ناشد وتمويل المشروع.

مضى ناشد في تنفيذ الاستعدادات ونصب شادرا كبيرا وجهزه بالكراسي والتربيزات لزوم العمل وأحضر جمادانات الخمور وأصناف المزة التي يحبونها، وكان محله في موقع متوسط من المولد، وأقبل عليه الزبائن بكثرة, كنا نساعده أنا وأخي حكيم ومعنا بعض العمال الأخرين. مرت أيام المولد سريعة وكان الاقبال جيدا وباع معظم الكميات التي احضرها معه إلى الدير. كان كل من يرى الرواج الظاهر يؤكد أن هناك ارباحا كبيرة قد تحققت إلا أن الحساب النهائي الذى قدمه ناشد يشير إلى أن النفقات والمصروفات أكلت القدر الأكبر من الأرباح ولم يكسب سوى القليل.

وكان الأمر مذهلا لمن لا يعرفون ناشد وأسلوبه في الحياة. فقد كان يتحلى بعبقرية في ترتيب الحسابات بحيث لا يسمح لأي شريك أن يشاركه فى الربح أبدا، فخرج

الأخرون من المولد بلا حمص وحصد هو كل أرباح المشروع. وهو يبرر ذلك بأنهم شوية حرامية ويقول، دول ما بيتعبوش في الفلوس ومفيش أحلى من سرقة السارق. هذه فلسفته في الحياة تشربها من بعض الناس الذين كان يخالطهم، وكان لديه ميل غريزي لقبول هذه الفلسفة واتباع هذا الأسلوب. فقد كان أيام انشغاله بالقضايا يلتقى بأنواع غريبة من البشر ويرتاح لصحبتهم. ومن هؤلاء الناس الذين أثروا فى تفكيره الحاج دكرورى.

كان هذا الرجل فارع الطول ممتلئ الجسم، وجهه أبيض مشوب بحمرة يكاد الدم أن يتفجر من خدوده، وكان عليه شنب يقف عليه الصقر كما يقولون. كانت هيئته تطفى عليه مهابة قوية فضلا عن انتمائه لعائلة كبيرة هي عائلة الحاج خالد العمدة الراحل. وكان الحاج دكرورى يعمل مقاولا للأنفار، حيث يقوم بجمع الصبية من البنين والبنات للعمل فى محلج القطن بسمالوط بناء على أتفاق مسبق على الأجر الذى يدفع لكل عامل أو عاملة. وفى ختام كل عملية او مقاولة يتسلم هو من المحلج المبلغ كله، ويقوم بدفع أجور الأولاد والبنات حسب اتفاقه مع كل واحد منهم. كان الحاج يكسب الكثير من هذا العمل. وقد مكنه ذلك من بناء بيت كبير وجميل وأسسه بأثاث فاخر.

ولم يكن لدى الحاج دكرورى أولاد أو بنات حتى ينشغل بمستقبلهم. وكان خالي البال من هذه الهموم. يعيش هو وزوجته في هدوء وانسجام وينعمان برغد العيش. وبعد سنوات طويلة فى هذا العمل قرر الحاج دكرورى أن يتقاعد، وقد تعدى عمره الستين بقليل. وقبل أن ينهى عمله جمع الأولاد كالعادة وأخذهم للعمل بالمحلج كانت آخر وردية في موسم القطن، فقرر الحاج دكرورى أن يختم حياته بتصرف غريب جدا وهو أن يقبض المبلغ كما اعتاد، ويكتنزه لنفسه ويماطل في دفع أجور هؤلاء الغلابة المحتاجين، ويصرفهم بالقول إن المحلج لم يصرف له هذه الأجور وظلوا يطالبونه مدة طويلة حتى أصابهم اليأس وتركوا أمرهم لله. سأل ناشد الحاج دكرورى عن موقفه من الصبية الذين يصرخون طلبا لحقوقهم فأجابه فى هدوء وهو يضحك ويقول،

يبقى يعوضوها السنة الجاية، والأيام ما خلصتش. يشتغلوا كم يوم زيادة ويقبضوا بدلهم. تصرف إجرامي وخسيس يدل دلالة قاطعة على انعدام الضمير والوازع الأخلاقي أو الديني.

والعجيب أن ناشد ارتاح لهذا المنطق البشع، وأظن أنه تشرب هذا الأسلوب وطبقه مع كل من عملوا عنده أو عملوا معه فيما بعد حين أخذ يعمل فى مجال المقاولات . فكان يماطل ويراوغ في دفع أجور بعض العمال، وحين عرف العمال هذا عنه، أخذوا يتفننون في خداعه واستغلاله بأن يتوقفوا عن العمل فجأة وفى منتصف الطريق ويضعونه أمام الأمر الواقع، إما أن يدفع أو يتركوا العمل ناقصا. أحيانا كان يرضخ وأحيانا كان يركبه العناد فلا يدفع فينصرفون عنه، ويتركونه حتى تركبه الحيرة فيأتي واحد منهم ويستدرجه بكلمات معسولة، بأنه سوف يتوسط لدى زملائه ويأتي بهم لإكمال العمل الذى تركوه. لكنه محتاج الى مبلغ يدفعه مقدما من أجل إقناعهم بجدية موقفه، فيعطيه ناشد المبلغ وبعدها يختفى الرجل تماما عن الأنظار ويترك ناشد فى حيص بيص. وكان هذا مثار

تندر جعل البعض يتهكمون عليه ويقولون، اللي يشتغل مع ناشد ما يقبضش، واللي يقبض ما يشتغلش.

كان عند البدء في أي مشروع، يأخذ في التخطيط للطرق التي يمكن بها أن يحصل لنفسه على أكبر قدر من فوائده، دون الاهتمام بكيفية تنفيذ المشروع بمستوى مشرف، وتسليمه وفى موعده حسب العقود التي وقعها مع المسئولين عن المشروع. وكان إذا استعان بشريك أو كثر، يصبح جل همه أن يستغل هذا الشريك حتى يتمكن من تنفيذ المرحلة الأخطر، ويتمكن من السيطرة على المشروع، ثم يبدأ في التخطيط للطريقة التي تدفع هذا الشريك لترك المشروع والاكتفاء بأقل الخسائر.

وأنا شاهد عيان على ارتكابه هذه الجريمة مرات ومرات وعدم الحرص على الاحتفاظ بثقة الناس فيه، وهى ميول تخريبية يغذيها الطمع والجشع وضيق الأفق. وكان ينشغل بتحقيق هذه الغاية أكثر من الانشغال بنجاح المشروع وضمان استمراريته. وقد لاحظنا أنا وأخوتى أنه يحمل فى جيبه محفظتين، ويضع لكل مشروع حسابين، حساب حقيقي يثبت فيه المكاسب التي تحققت، وحساب أخر يبين فيه مقدار الخسارة التي يجب ان يتحملها الشركاء. وبعد أن أبلغ ناشد حماه وشركاه أن المصروفات أكلت الأرباح، أسرع كل واحد منهم إلى أخذ بقية حسابه وقرروا جميعا، عدم التعامل مع ناشد او الدخول معه في أي تعاملات أخرى.

وهذا ما كان يسعى إليه، وهو يشعر الآن في قرارة نفسه بالانتصار. لقد خدعهم واستغل أموالهم حتى يصل إلى هدفه. لم يعد يهتم بثقة هؤلاء الناس التي خسرها أو بصلة المصاهرة التي تربطه بحماه واقاربه. المهم عنده أنه خدعهم وخرج وحده بكل فوائد التجربة المالية والعملية حيث تعرف على أماكن استيراد الخمور في القاهرة وطرق البيع ونوعية الزبائن التي ترتاد الخمارات، فقرر ان يكرر التجربة ولحسابه الخاص. وهو واثق أن أخوته لن يتخلوا عن الوقوف إلى جانبه ومساعدته ودون إنتظار لأجر أو مكافأة فالذي يهمهم هو أن ينجح ويربح من اجل أولاده. فحبهم للأولاد يدفعهم إلى نسيان جشعه وأنانيته وجحوده.

وبعد الذهاب إلى المولد مرة واثنين قرر ان يفتح محلا لبيع الخمور في المدينة. فذهب الى القاهرة وأعلن ذلك لبعض أصحاب مصانع الخمور الكبار ووجد منهم ترحيبا باعتباره موزع جديد لهذه السلعة فقدموا له التسهيلات اللازمة وأعطوه بضائع بالأجل. وبدأت تجارته تروج وأرباحه تزداد. ولم تتغير معاملته لي أو لأخوته. فهو يحتاج إلى من يقف معه ويساعده في المحل، بل وكنا نحمل له الخبز والجبن والسمن وحتى الفراخ المذبوحة، كل ما تعده أمي نحمله له ولأولاده لنضمن توفير هذه الأطعمة لهم. لكنه كان مشغولا بنفسه لا يشكر ولا يذكر ولا نعرف منه إن كان راضيا أم غاضبا؟ فوجهه الأسود دائم التكشير لا تنفرج أساريره إلا نادرا، ولا يفضفض معنا بأي كلام عن تجارته لكى نعرف إن كانت ناجحة أم لا. ولا يصرح بأي شيء يهمنا أو يسعدنا كما يفعل الأخوة

دائما، بل يتكتم كل شيء وكأننا أعداء له. ولا يكشف لنا عن نجاحاته أبدا بل يشعرنا رغم ما نراه من رواج وانتعاش أن العالم كله يحاربه.

كان أشبه بصندوق مغلق لا يصارحنا بحقيقة وضعه ولا تعرف كيف نشاوره او تنصحه. كان شديد البخل يصعب عليه أن يكافئ انسانا أو يرد جميل انسان، وكان حين يضطر لدفع حق إنسان ما، يتململ وكأنه يقطع الفلوس من لحمه الحى، والمصيبة أنه كان يندد ببعض الناس الذين نعرفهم ويصفهم بالبخل، لكن الذى ثبت لنا مع الأيام أن ناشد هو المثل الأعلى في الشح والبخل. وقد ظهر هذا الأمر بوضوح شديد بعد أن خرج من البيت وأصبح يعيش في بيت مستقل. وقد انعكس هذا الشح على تجارته وهبط به إلى الحضيض لأنه لا يحسن تقدير الناس الذين يتعامل معهم وينظر للأمور نظرة انتهازية وقتية دون حساب للعواقب أو بمستقبل علاقاته مع الناس، فهو لا يذكر إلا ماله أما حق الأخرين وما قدموه من معروف معه ينساه سريعا وكأن ذاكرته مخرومة.

ففي أحد المعامل الكبرى للخمور بالقاهرة استقبله أحد كبار الموظفين ورحب به وقدم له التسهيلات التي لولاها ما كان يستطيع أن يفعل شيئا. وكان من الطبيعي أن يراعي هذه الأمور ويجامله بما يعبر عن تقديره واهتمامه. ويتعامل معه بدرجة من الكرم والسخاء التى تشجعه على التواصل معه لكن داء ناشد كان يستعصى على العلاج. فهو لا يحب ان يعطي أبدا بل يحب أن يأخذ فقط. ففي إحدى زياراته لهذا المعمل طلب منه هذا الموظف مبلغا على سبيل السلفة فأخرج ناشد المحفظة الفارغة وأخرج منها ثمانية جنيهات وقال إن هذا المبلغ هو كل ما معه، ومرت سنوات والأمور تسير سيرها المعتاد تأتيه البضاعة في وقتها والكمبيالات يسددها على راحته، وفى يوم من الأيام ذهب الى القاهرة وزار المحلات التي يتعامل معها وغاظه ان رئيس الحسابات لم يرد له مبلغ الجنيهات الثمانية . فذهب للخواجة مارماراس صاحب الشركة وشكا له رئيس الحسابات وقال إنه مرتشى، فقد أخذ منه مبلغا لم يرده. وضحك الخواجة ضحكة ساخرة وقال له : "نعم خبيبي، هذه موش رشوة. دي إكرامية أشان هو بيخدمك، إن ما اخدش منك أمال يأخذ من مين؟ ". كان الخواجة حكيما في إجابته وأعطاه درسا عظيما لن يجد وقتا للإنتفاع به. لأن الخطأ التراجيدي وقع فعلا ولا مفر من وقوع المأساة.

عاد ناشد الى دكانه بعد أن ارتكب هذا الخطأ، وهو لا يدرى رد فعل هذا الموظف الذى وشى به لصاحب العمل وأساء إلى سمعته، لقد قرر هذا الرجل أن ينتقم لنفسه من ناشد فلم يرسل البضاعة التي طلبها، بل أخذ يطارده لسداد الكمبيالات القديمة والمؤجلة وأحيانا الإنذارات التي تهدده بعمل بروتوستو، وتوقف ارسال البضاعة كلية من هذا المعمل وأخذت الأمور تنقلب رأسا على عقب حتى مع المعامل الأخرى، وأدى ذلك كله إلى تدهور تجارته وانصراف الزبائن عنه. وعجز عن سداد ديونه حتى قام بعد الدائنين بتوقيع الحجز على المحل واضطررنا أنا وأخي لأن ننتشله من هذه الورطة ونعيد أولاده وزوجته إلى بيت العائلة ليعيشوا معنا بعيدا عن هذه المشاكل، وتركناه يكابر حتى إنصاع

أخيرا وقرر أن يتنازل للمالك عن المحل ويسلم بجلده، رغم وجود بعض الديون التي ظلت تطارده على مدى سنوات طويلة.

5- أخي في منصب شيخ البلد

تصادف في ذلك الوقت ان توفى الشيخ كامل صموئيل شيخ البلد فوجدناها فرصة ننتهزها لكى نحفظ ماء وجهه بعد هذا الفشل الذريع، فأعلنا أننا أقنعناه بالعودة لكى يتفرغ لخدمة القرية وبتولي منصب المشيخة الذى أصبح خاليا. والمعروف ان هذا المنصب مخصص لشخص قبطي ليحل محل الشيخ الراحل. فالبلد يتولى أمرها العمدة ومعه أربعة مشايخ أحدهم مسيحي والثلاثة الأخرون مسلمون، يمثل كل منهم إحدى العائلات الكبيرة. وكما قلت سابقا كانت قريتنا رغم هذا التقسيم أو ربما بفضله من أكثر القرى أمنا وسلاما. وكانت من أكثرها تقدما وربما كانت من أوائل القرى التي دخلتها الكهرباء والمياه النقية. وكانت فترة الانتقال هذه تمثل مرحلة تنافس وقلق في حياة القرية. وكل تغيير في مناصب الإدارة سواء كان يتعلق بمنصب العمدة أو المشايخ في القرية كان يفتح الباب للتنافس بين العائلات، وكانت العادة أن يتم حسم الأمر بطريقة قانونية وسلمية عن طريق الانتخاب. لكن هذا لم يمنع قيام بعض الخصومات والحزازات بين هذا وذاك. كان المنافس الأخر على منصب المشيخة هو حبيب أفندي معوض، وكيل دائرة مراد بك الشريعى، وكان يتمتع بشخصية وقورة مهذبة على درجة عالية من الذكاء واللباقة. وكان هناك كثيرون يرون إنه أكثر صلاحية للمنصب من أخي ناشد.

لكن ظهور ناشد واعلان رغبته للترشح وجد قبولا عند كثيرين ممن تحركهم العصبية العائلية او ممن يهتمون بالتوازنات في إدارة شئون القرية. فعائلة حبيب معوض يقال أنها عائلة غريبة وطارئة على القرية وجاءت من (الشيخ فضل) عند اختيار مؤسسها صرافا للقرية منذ عشرات السنين. وبعد وفاة هذا الأب المؤسس، تولى هذا المنصب مرقس أفندي حنا وبعد وفاته تولاه ناشد أفندي معوض وأصبح هو صراف القرية وكبير عائلة معوض وهكذا توطد نفوذهم في القرية،

والجميع يعرف أن الصراف هو أقوى سند لعمدة القرية. وكانت هذه العائلة تنحاز تقليديا لعائلة العمدة عبدالله. فإذا وصل حبيب معوض إلى منصب شيخ البلد عن المسيحيين فسوف يكون دعما مضافا للعمدة. وهذا لا يرضى عائلة الشيخ خالد، عائلة العمدة الراحل. وهكذا انقسمت القرية ليس بين مسلمين ومسيحيين. ولكن بين شرقيين وغربيين. فعائلة حبيب معوض تسكن بجوار ديوان العمدة عبدالله فى غرب البلد، وعائلة ناشد مجلى تسكن في الجانب البحري بين أغلبية الأقباط وتنحاز الى عائلة الشيخ خالد التي تجاورهم من ناحية الشرق. وهناك بعض المسيحيين الذين يرفضون عائلة معوض لأسباب أخرى. فالمقدس غطاس سريان يرأس عائلة البراغثة التي منها الشيخ كامل صموئيل المتوفى، يرفض رفضا باتا أن يكون شيخ البلد من عائلة طارئة على البلد حتى

ولوكان عمرها مائة عام في القرية، وهكذا انحاز غطاس لاختيار ناشد لهذا المنصب وراح يدعو الجميع إلى انتخابه.

وكان ذلك بداية علاقة قوية توثقت بين غطاس وناشد عن طريق اللقاءات الكثيرة التي تتم بين وقت وأخر لمتابعة سير المعركة الانتخابية، عند اقتراب وقت الانتخابات ارتفعت سخونة المعركة وتضاعف نشاط المقدس غطاس وتضاعفت اللقاءات أيضا. كان المقس غطاس قد تخطى السبعين لكنه يتمتع بصحة جيدة ولياقة بدنية تمكنه من الحركة والنشاط. وكان الكثير من الناس يهابونه لأنه كان معروفا بأنه يمارس الأعمال السحرية ويشيعون عنه أنه يمكن أن يكتب أعمال تنفع الناس او تضرهم، وهى خرافات يتأثر بها الجهلاء والبسطاء. ورغم هذا فإنه كان يحمل مرارة شديدة في نفسه نتيجة إحساسه بتقدم السن وتدهور أحواله المادية. وكان يصب هذه المرارة على أخيه الأصغر صادق. فقد كان غطاس يتمتع في مقتبل حياته بالوفرة المادية وكان يملك بيتا كبيرا ويتحكم في مساحة كبيرة من الأرض بل وفى كل ميراث أبيه الذى تركه له ولأحيه صادق وأخواته البنات. كان غطاس اكبرهم وتولى مسئولية الأسرة بعد موت أبيه.

وكان أخوه الأصغر صادق يكمل تعليمه حتى حصل على شهادة التجارة والتحق بوظيفة صغيرة بأحد البنوك بالقاهرة، وترك كل شيء أخر لغطاس وأخواته. وانشغل الرجل يعمله الجديد ليثبت وجوده في الوظيفة ويبنى مستقبله عن طريق الجد والمواظبة والإخلاص حتى يتمكن من تدبير أمور حياته وتكوين اسرة مثل كل الشبان فى سنه وفى وضعه. ومع الأيام كبرت الأسرة إلى خمسة أفراد الزوج والزوجة وولدين وبنت يذهبون الى المدارس ويعيشون في شقة بالإيجار في القاهرة.

وكان غطاس يعيش فى بحبوحة من العيش هو وزوجته واولاده وينفق ببذخ على ملذاته وعلاقاته النسائية وأعمال السحر والشعوذة ومحاولة السيطرة على عقول النساء والرجال، وانصرف جهده بعيدا عن رعاية الزراعة والمحاصيل فأخذ دخله يتناقص شيئا فشيئا على مدى ثلاثين عاما او يزيد حتى باع أكثر أملاكه واقترب من الفقر. وبعد وفاة زوجته لم يتخل عنه بناته الثلاثة وأولادهم الذين يرعونه ويوفرون له احتياجاته. وبدلا من أن يلوم نفسه على تدهور أحواله من الغنى إلى الفقر راح ينقم على أخيه لأنه لا يساعده بالصورة الواجبة.

لم يكن هذا الأخ جاحدا وماذا يستطيع أن يفعل لأخيه الفاجر المتلاف.، وهو مجرد موظف عنده عائلة وأولاد يحرص على مستقبلهم خصوصا وانه لم يأخذ من ميراث أبيه شيئا منذ ان تزوج وترك كل شيء لغطاس. لكن المشكلة أن غطاس وأمثاله من الأخوة الفاسدين يفيقون فجأة بعد تخريب كل شيء ليبحثوا عن كبش فداء لتحميله مسئولية الفشل والفقر الذى حاق بهم. لقد ادعى غطاس بانه كان يكافح من أجل أخوته وأنه انفق الكثير جدا على تعليم أخيه صادق وزواجه وكذلك على أختيه مما أدى إلى ضياع ماله، ونسى أن كل ما أخذوه كان جزءا صغيرا من حقهم في ثروة أبيهم وأملاكه التي كانت تحت إدارة غطاس والتي بددها على مدى سنوات. فغطاس لم يتعب ولم يعمل على

صيانة الثروة وتنميتها وإنما انحرف وسار فى طريقه الخاص الذى اختاره لنفسه دون حرص على حقوق أخيه وأخواته التي جار عليها. وبدلا من الاعتذار عن سفاهته أصبح يلقى باللوم كله عليهم ويا ليته استحى واكتفى بكتمان الحقيقة، وتوقف عن التنديد بأخيه واتهامه بالجحود والنكران.

كان غطاس يصب نقمته على أخيه في أذان أخي ناشد كلما تطرق الأمر إلى ذكر هذا الموضوع. ووجدت سمومه تربة خصبة في ذهن أخي. وكان ناشد من نفس هذه النوعية الكئيبة، فاختزن هذه الصورة في عقله وراح يعكسها على أنا. ويقول، آدي نتيجة التعليم والمتعلمين، كان صادق سريان نفع غطاس علشان ننتظر من نسيم أن ينفعنا.، وأقنع نفسه بأنني سوف أكرر هذه الصورة التي رسمها غطاس لأخيه. وكان يعيد هذا الكلام كثيرا ليقنع أخوتى الآخرين.. والواقع أنه وقف فى طريق تعليمي منذ البداية. ولم يكن له أي فضل على لا ماديا ولا معنويا. ومع ذلك يجلس في كل محفل ليقول ويردد دون خجل بأنه رباني وأنفق على تعليمي ولا يذكر أخوته حكيم وفوكيه أصحاب الفضل الحقيقي لأنهما وقفا بجانبي طوال تلك المراحل. وسوف أحكى لكم حكايتي مع التعليم كما حدثت فعلا لتعرفوا أين كان ناشد من هذه الملحمة الطويلة والناجحة. وبعيدا عن هذه الأكاذيب التي وحدت بين عقله وبين عقل غطاس سريان فأصبحا يصدقان أنفسهما، وكان سبب التوافق والتلاحم بينهما خيط رفيع لا يراه الكثيرون.

6- مشكلتي مع التعليم

فقد كان ناشد من الكارهين للتعليم والمتعلمين نتيجة فشله في الدراسة. لذلك لم يترك فرصة لأحد من أخوته لدخول المدرسة وشغلهم معه بمحاربات فاشلة لأهلنا وأهل القرية. وظل الأمر كذلك بالنسبة لي حتى فتحت المدرسة الأولية في قريتنا فذهبت إليها بدلا من السباحة في الترع والمجاري التي كانت تحيط بالقرية والتي أصابتني بمرض البلهارسيا الذى رافقني حتى سن الثلاثين ولم أتخلص منه إلا بعد تخرجي من الجامعة وتعييني مدرسا للغة الانجليزية في بيلا الثانوية في سنة 1960،

هناك ذهبت للدكتور أنطون سيدهم لأسأله عن أسباب تكون الحصوات في الحوالب فطلب عمل تحليل للبول، ورأى تحت الميكروسكوب جراثيم البلهارسيا وهى تتحرك بوضوح ودعاني للنظر فرأيت بعيني سبب مأساتي الطويلة مع حصوات الحوالب والمثانة، التي لم أتخلص منها إلا بأربع عمليات جراحية في مستشفى الجامعة والخامسة في مستشفى كليفلاند بأمريكا لإزالة الكلى اليمنى.

أعود لأقول دخلت المدرسة الإلزامية وتفوقت في القراءة والكتابة وحفظ النصوص الأدبية وآيات القرآن الكريم وكنت أصر على حضور حصة الدين الإسلامي مع زملائي المسلمين وأنافسهم في الحفظ وأتفوق عليهم في بعض الأحيان. وكان ذلك يلقى ترحيبا من بعض زملائي وتشجيعا من الشيوخ الفضلاء الذين أولوني اهتمامهم مثل الشيخ محمد أبوهارون من سمالوط البلد، والشيخ محمد عبد الظاهر من بلدة الشراينة القريبة منا. والغريب أن هذه الرابطة تواصلت وامتدت عبر أولادهم أثناء الدراسة الثانوية وكذلك في المرحلة الجامعية، امتدت بيني وبين أحمد عبد الظاهر من ناحية، وبيني وبين عفت محمد هارون من ناحية أخرى. وحتى بعد ان تخرجنا ظلت العلاقة مع أحمد عبد الظاهر الذى تخرج من كلية الآداب قسم الدراسات الاجتماعية، وأهتم في دراساته العليا بدراسة النظام التعاوني وقضايا العمال، وتقدم في هذا المجال حتى حصل على درجة الدكتوراه وترقى في المناصب حتى تولى منصب أمين عام الاتحاد التعاوني المصري وأخيرا أمينا لفرع الحزب اوطنى بالجيزة فى السنوات الأخيرة لحكم مبارك وكان من الشخصيات النزيهة التى لم تشارك فيما كان يحدث من حالات الفساد. كذلك تقدم عفت هارون فى كلية العلوم وتخرج فيها بتقدير ممتاز وأصبح واحدا من الباحثين المتميزين فى المركز القومى للبحوث وحصل على منحة لدراسة الدكتوراه بالخارج. هكذا كان جيلنا وفيا لأساتذته وللصداقة لم يبدأ التدهور الأخلاقي إلا حين تولى السادات المسئولية بعد وفاة عبد الناصر وأخذ يقود الثورة المضادة.

وهكذا بذر السادات بذور الفتنة التي استفحلت بين الشعب المصري وهددت أمنه واستقراره وكادت أن تقضى على الأخضر واليابس بمجرد وصول الأخوان المسلمين الى الحكم فى سنة 2012. والحمد لله أننا تخلصنا منهم في نهاية العام بفضل وعى

الشعب المصري العظيم الذى خرج بالملايين في مشهد لم يعرفه التاريخ من قبل، وهو يصرخ في صوت واحد "يسقط. يسقط حكم المرشد " وتقدم الجيش لحماية هذه الثورة وتحقيق مطالبها وأنهى حكم عصابة الأخوان المسلمين وتم ذلك بفضل حكمة وشجاعة قائد عظيم هو عبد الفتاح السيسي. وهكذا تم التلاحم بين الشعب والجيش والشرطة للقضاء على هذه الجماعة الفاشية والتي حاولت الإنتقام وأخذت تقتل الأبرياء وتخرب في مؤسسات الدولة بل وقامت بحرق ثمانين كنيسة وانتهى الأمر بعد سنين طويلة وتضحيات عظيمة من رجال الشرطة والجيش إلى هزيمة هذه الفلول ودحرها.

وحين أكملت المرحلة الأولى بمدرسة القرية طالبت بأن أذهب للمدرسة الابتدائية في البندر مع أصدقائي مكرم وتوفيق يعقوب اللذين كانا يرتديان البدل الأفرنجى ويدرسان اللغة الإنجليزية، وكنت أجلس معهما في كثير من الأحيان وأسمع الكلمات وأحفظها، لكن ناشد كان يرفض ويقول إن سنى كبر على التعليم، وحين ألح في طلبي وأبكى كان يمسك حكيم من ذراعه ويذهب به بعيدا خارج البيت حتى لا أسمعه ويهمس له ويقنعه بان يقول لي" إننا ذهبنا عند الصراف وكشفنا على تاريخ ميلادك وعرفنا إن سنك كبر وزاد عن السن المحدد للقبول". وهكذا تعطل تعليمي سنوات طويلة نتيجة حيل ناشد وألاعيبه، وبقيت عاطلا أذهب أحيانا إلى الحقل أو أذهب للسباحة والعوم فى مياه الترع مع أصحابي. وهكذا حتى بلغت الخامسة عشر وأنا أبحث عن شيء نافع أعمله إلى أن فتحت مدرسة الأقباط الإبتدائية بسمالوط البلد وعين بها الأستاذ خميس مرقس خصم ناشد القديم فساعدني على الإلتحاق بهذه المدرسة في السنة الثالثة. وقد وجد الأستاذ فريد أفندي مدرس اللغة الإنجليزية أن مستوايا في كل المواد أعلى من مستوى طلبة السنة االثالثة فدعاني للإنتقال للسنة الرابعة إلا أنني ترددت وقلت أنا عايز أسس نفسى، وهو تصرف ساذج أضاع على فرصة توفير سنة دراسية. المهم أننى حصلت على الشهادة الأبتدائية سنة 1951 وعمرى سبعة عشرة عاما،

ودخلت السنة الأولى الثانوية وفى السنة الثانية قررت الوزارة أن تكون هذه السنة نهاية لمرحلة يؤدى الطلاب في نهايتها امتحانا عاما ويحصلون على شهادة تسمى الشهادة الإعدادية. وهي أول مرة تعطى فيها هذه الشهادة في تاريخ التعليم. وبعدها تم إلغاء شهادة الثقافة وشهادة التوجيهية وحلت محلهما شهادة الثانوية العامة. وكان بعض زملائي يسخرون من هذه التغييرات ويقولون إن وزارة التربية والتعليم تستعملنا حقل تجارب. وبعد أن حصلت على الإعدادية بتفوق التحقت بمدرسة سمالوط الثانوية وأظهرت تفوقا في كل المواد في امتحان الفترة الأولى والفترة الثانية وكان ترتيبي الثاني على فصل المتفوقين، لكن في الشهر السابق على إمتحان آخر العام حدث إجراء غريب يثير الدهشة ويستحق وقفة لأرويه هنا باعتباره حدث تاريخي لم يحدث من قبل.

فقد حدث أنى مرضت قرب نهاية العام وتغيبت عن الدراسة نتيجة تكرار المغص الكلوي أياما كثيرة زادت عن نسبة الغياب المسموح بها وهى خمسة عشر يوما، وكنت أتلقى علاجا متواصلا عند بعض الأطباء لكن حين وصلني الإنذار الخاص بالغياب أراد

أخي ناشد ان يأخذ شهادة مرضية ويوصلها للمدرسة فقلت له لا تشغل بالك لأنني من الأوائل على الفصول الثلاثة وليس من المعقول إنهم يفصلوني. والمؤسف أنه تم فصلى فعلا مع مجموعة من البلطجية والمتشردين، والشيء المحزن أن المشرف على الفرقة الأولى والمتابع لحالات الغياب كان الأستاذ ابراهيم الملاح وهو من أبناء دسوق بمحافظة كفر الشيخ، وكان شابا وسيما جميل الوجه خفيف الظل وكنا نحبه ونحرص على حضور حصته. كان يدرس لنا اللغة العربية وكان يعرفني شخصيا على مدى العامين السابقين ويقدر تفوقي مثل الشيوخ المحترمين الذين تحدثت عنهم من قبل، ولكنه قام بهذا الإجراء غير المبرر، فقدم اسمى ضمن الطلبة الذين يستحقون الفصل من المدرسة، وتم ذلك بضمير بارد. وكان الموقف يقتضيه أن يبحث حالتي جيدا.

فحتى لو أننى لم أقدم عذرا أو شهادة مرضية في وقتها فكان عليه أن يفترض ان الإنذار لم يصلني، ويرسل إنذارا آخر أو يكلف أحد زملائي الذين يعرفونني أن يبلغني ذلك حتى يتيح لى فرصة الحضور للمدرسة وتقديم العذر. لكنه لم يفعل شيئا من ذلك. وحين تكشف الأمر استاء كثير من أساتذتي وتحمسوا للدفاع عنى عند الناظر لأن القرار ظالم سيحرمني من دخول الامتحان وضياع السنة الدراسية، لأن الوزارة قررت إلغاء امتحانات الدور الثاني وكانت أول مرة يحدث فيها هذا الإجراء في تاريخ التعليم المصري، ولكن الناظر كان رجلا ضخم الجثة مستبدا ينطبق عليه المثل الذى يقول، أجسام البغال وأحلام العصافير، فرفض كل وساطة وكل دعوة لإعادة النظر في قراره. وهكذا دفعني إلى الضياع بقسوة وانعدام ضمير، فقد ضاع على العام وفصلت من المدرسة وأصبحت فى الشارع.

لقد ترصدني الحظ السيء فلم يكفه ابتلائي بالمرض وآلامه فأضاف إلى مصائبي ضياع الإمتحان وفصلي نهائيا من التعليم. لم نكن في حالة مادية تسمح لي بضياع عام من عمرى واحتار عقلي في تفسير هذا الموقف العدائي والمفاجئ منى، هل كان ابراهيم الملاح ينتمى للإخوان المسلمين سرا؟ وكان ينفذ سياستهم في اضطهاد طالب مسيحي ولا تفسير عندي لموقفه وموقف الناظر المتشدد إلا أنهما كان ينتميان فعلا إلى هذه الجماعة المجرمة التي تستحل قتل المخالفين ونهب أموالهم.

ومرت ثمانية وعشرون عاما على هذا الحادث الذى وقع في سنة 1954، وتشاء الصدفة العجيبة أن التقي بالأستاذ ابراهيم الملاح في بنغازي بليبيا عام 1982، وكنت أعمل مدرسا للغة الإنجليزية بمدرسة بنغازي الثانوية، وعرفت منه أنه يعمل بمدرسة البنات الثانوية المجاورة لمدرسة بنغازي الثانوية بنين، وتعارفنا بمجرد اللقاء وكان كل منا يعرف الأخر. ولم أشأ أن أذكره بهذا الموضوع أبدا مع أن لقاءاتنا تكررت كثيرا. وكنت في بعض الأحيان آخذه في سيارتي واوصله حيث يشاء، لأنه لم يكن يملك سيارة وكان يضطر لانتظار الأوتوبيس وقتا طويلا.

ومن دردشتنا معا عرف أننى أمارس الكتابة وأنشر بعض المقالات النقدية في المجلات الثقافية، وقد أطلعته على نماذج منها فأخذ يتحدث معي حول هذه الكتابات ويثنى

عليها. وكثيرا ما فكرت في أن أذكره بعمله في مدرسة سمالوط الثانوية وتدريسه اللغة العربية لي لكنني كنت أحجم في كل مرة حتى لا اذكره بهذه الواقعة المحزنة أو حتى أجرح مشاعره ، كما أننى لم أشر أبدا إلى شكوكي في انتمائه للإخوان المسلمين، وكان هناك آخرون أعرف انتماؤهم لهذه الجماعة، وكان أحدهم يحرض على الطلبة الليبيين ويقول لهم إن نسيم مسيحي وانجيلهم مزور وينكر رسالة محمد، ورغم هذا لم أسمح لنفسي بأن أذكر انتماءه الإخواني لأى شخص خوفا على حياته، لأن نظام القذافي لم يكن يرحم أحدا، وكان يأخذ الناس بالشبهات. لكن هذا النوع من أهل الفتنة لا يكف عن نشر سمومه حتى تأتيه اللطمة الموجعة وينقلب عليه المكر السيء

ففي يوم من الأيام فتح الطلبة هذا الموضوع معي في الفصل وقالوا إن الأستاذ حمدي يقول إن أنجيلكم محرف، فابتسمت ورددت في هدوء:

" إذا كان الأستاذ حمدي واثق من كلامه فعليه أن يحضر لنا الإنجيل الأصلي حتى يمكننا ان نقارن بين النسختين، اما إذا كان لا يملك النسخة الصحيحة فلا يحق له ان يقول هذا." واقتنع الأولاد بهذا ويبدو أنهم لم يكونوا راضين عن مستوى حمدي في تدريسه للغة العربية، فراحوا يواجهونه بكلامي ويشتدون عليه في النقاش فثار في وجههم ودخل في صدام معهم، وهكذا انقلب السحر على الساحر.

وفى اليوم التالي دخلت عليهم الفصل فوجدت على السبورة قصيدة شعر، فأخذت في قراءتها لأنني أحب الشعر منذ الصغر، وقد أعطيته اهتماما كبيرا فى مراحل الدراسة المختلفة وكتبت بعض التجارب الشعرية. وأثناء قراءتي للقصيدة سألني أحد الطلبة عن معنى بعض الأبيات لأنه غير قادر على فهمها، فشرحتها لهم بأسلوب مبسط ففرحوا جدا وبدأوا يطعنون في حمدي ويعبرون عن عدم قدرته على الشرح، وفاجأوه بهذا عند دخوله الفصل بعد ذلك، فاستشاط غضبا وأخذ يهددهم بإنقاص درجات أعمال السنة وامتحان الفترة فازداد الصدام بينه وبينهم. وتربصوا به حتى اوقعوه فى شر أعماله.

وقد شكاني حمدي لناظر المدرسة ولزملائه الشيوخ من مدرسي اللغة العربية فدعوا لاجتماع عام للمدرسين برئاسة الناظر طبعا وطالبوني بالرد على اتهام حمدي لي بالتعدي على تخصصه في التدريس، وهويسأل هل نسيم مدرس إنجليزي أم مدرس عربي؟ وأمام ما يقرب من ستين مدرسا قلت اسمحوا لى أن أسال الأستاذ حمدي إن كان الأولاد شكوا له من اللغة الإنجليزية؟ لكنهم طلبوا منى أن أشرح لهم بعض أبيات في قصيدة فشرحتها لهم، وأحب أقول للأستاذ حمدى أنا معلم ومهمتي أن اجيب من يسألني في حدود ما توفر لدي من معرفة وقدرات علمية دون قصد أو إساءة لأحد. وأنا أدعوا الجميع أن يفعلوا هذا ولا يضنوا بعلمهم على سائل في أي وقت من الأوقات، فمهنتنا المقدسة تملى علينا أن ننشر المعرفة والتنوير بين الناس جميعا. وأنا لن يغضبني أن يقوم أحد زملائى بمساعدة أحد طلبتي على فهم درس في مادة اللغة الإنجليزية لم يفهمه منى، فصفقوا لي واقتنعوا بهذا التوضيح لأنه ينفى وجود نية للإساءة.

ويبدو أن حبى للغة العربية جعلني أحب أساتذتها وأصاحبهم في مودة وتفاهم متصل، ولقد سعدت فى مدرسة بنغازي بصداقة ستة شيوخ فضلاء مثل عبد المحسن الورداني وعبد المقتدر والشيخ سيد وآخرين سوف أحاول أن اتذكر أسماءهم لتسجيلها في هذا الكتاب. وأشهد أنى قضيت سنوات هادئة ومريحة في بنغازي سعدت فيها بالحياة فى داخل المدرسة وخارجها، وأحببت الليبيين بصدق لأن معظمهم يتصرفون ببساطة وحسن نية، وأثبتت الأيام لي أنهم يميزون جيدا بوعى عميق بين من يهتم بهم ويحرص على تعليمهم وبين من يستهين بهم ويخدعهم ويحاول استغلالهم.

لم أنس تلك المشكلة التي تسبب فيها ابراهيم الملاح أبدا، ولم أذكرها لأحد لأنني كنت حريص على ألا أسبب حرجا أو ألما لأحد، رغم أن هذه المشكلة هددت مسيرتي في التعليم بالانقطاع. فقد حرمت من الامتحان وفصلت نهائيا من المدرسة وفشلت كل الجهود والوساطات في إرجاع الناظر عن قراره الظالم ولكن ربك لا يرضى بالظلم وقد دعت عليه أمي ان يذوق الحزن والألم الذى سببه لنا والذى أثبت أنه لا يحسن التمييز بين طالب بلطجي متشرد وفاشل في التعليم وبين طالب مجتهد ومتفوق وربما كان متعصبا دينيا والتعصب يدفع أصحابه دائما إلى الضلال.

لم تذهب دعوات أمي عليه هباء، لأن دعوة المظلوم تصل إلى مسامع الرب. وفعلا لم تمض شهور طويلة حتى سمعنا أن إبنه الضابط سقط تحت عجلة دبابة أثناء إحدى التحركات العسكرية ومات، فبالكيل الذى تكيلون به يكال لكم أيضا. هذا قول الانجيل. وهذا إنذارا لكل من تسول له نفسه أن يظلم أو يستغل سلطته لظلم الفقراء والضعفاء. والحمدلله لم نستسلم ولم نيأس وتحملنا فوق طاقتنا، وفى يوم قررنا أن نذهب إلى القاهرة لكى نبحث عن مدرسة خاصة تقبلني لإعادة قيدي تمهيدا للحصول على تحويل منها لمدرستي بسمالوط.

وفعلا ذهبت أنا وأخى ناشد إلى القاهرة ونزلنا في محطة الجيزة وقصدنا شقة صديقي كمال جليل وكان كمال بشوشا في استقباله لنا وكان يحبني جدا لأنني كنت زميل هتلر أخوه، وبعد أن عرف مقصدنا أخذنا إلى صديق له هو الاستاذ أنور فهمى قليني ليدلنا على مدرسة خاصة تقبل أوراقي. وتشاء الصدف أن نلتقى في بيت أنور بعدلي ابن خالتي لبيبة من الطيبة ونعرف أنه يقوم بزراعة أرض الأستاذ فهمى قليني وعرفنا أيضا بأن فهمى قليني هو ابن خالة أمي. وهكذا أحسسنا بالراحة والاطمئنان في بيت أحد أقاربنا الذى لم نكن نعرفه. المهم ان الأستاذ أنور كتب لنا توصية لصديقه الأستاذ أحمد ناظر مدرسة السكاكيني الثانوية الخاصة. الذى أحسن استقبالنا وأستلم الأوراق وقيد إسمي بالسنة الأولى وتم ذلك في وقت قصير جدا وبدأت الدراسة في اليوم التالي. كنا نقيم أنا وأخى ناشد بلوكاندة في ميدان رمسيس وطرأت لنا فكرة أن أعمل بجانب الدراسة وكنت مستعد لذلك. وقال أخي انه سيكلم الأستاذ زكى الطحان وهو موجود في اللوكاندة أن يساعدني فى الحصول على عمل، ولكنه لم يتابع الأمر وتركني فى اليوم التالي وسافر دون أن يذكر شيئا عن هذا الموضوع معي، وهكذا تركني وفى جيبي جنيه ونصف جنيه

لأعيش منه، دون أن يفكر لحظة واحدة هاعيش فين، وأنا أنام عند نصر فهمى في شارع سعد زغلول بالجيزة، وأذهب في الصباح الباكر إلى المدرسة بالعباسية في أتوبيسات مزدحمة ومختنقة. لم يفكر الأخ ناشد في سكن أسكنه أو فى العمل وكيف أحصل عليه لكى أستمر في هذه المدرسة، وأشتغل بعد الظهر كي أعول نفسى في هذا المكان كما نصحني.

ورغم أنه تردد على القاهرة عشرات المرات من قبل وعرف متاجرها ومعاملها وتعامل معهم إلا أنه لم يوجهني في أي اتجاه، ولم يدلني على طريقة أو على باب أطرقه للحصول على عمل ولو بائع في محل، فقضيت حوالى اسبوعين بالمدرسة صباحا في العباسية ومساء أعود الى حجرة صديقي نصر فهمى لأنام هناك. والواقع أننى كنت أتمنى ان اجد عملا لكن كيف؟ في هذه الظروف الملخبطة. ربما لو أهتم بالبحث عن سكن لى بالقرب من المدرسة لساعدني ذلك على البحث عن عمل، لكن بهذا الوضع اظلمت الدنيا في وجهى خصوصا وان المبلغ الذى تركه لا يكفى ولا يتيح لى فرصة للتصرف، فلم أفصح عن رغبتي لأحد لأنني خفت أن أمرض ولا أجد أحدا حولي. وكان هذا من أكبر أخطائي لأننى لم احسن الاستفادة بهذه الفرصة التي أتت بي إلى القاهرة، عاصمة مصر حيث الحياة مليئة بفرص العمل والكسب الشريف خصوصا وأنني كنت أعيد السنة الدراسية، ولم أكن فى حاجة كبيرة للمذاكرة وكان يمكنني أن أختار عملا يساعدني مستقبلا في دراستي الجامعية. ولكن هذا لم يحدث لأن أخي لم يقف الى جانبي في تحديد هذا الاتجاه وكان يهمه ان يعود متعجلا على غير عادته لآسباب عرفتها بعد عودتي الى القرية.

حين سألني بعض الناس عن المدرسة التي دخلتها في القاهرة وكيفية وصولنا إليها فحكيت لهم القصة ببساطة كما حدثت. إن صديق لنا أرسلني بتوصية للمدرسة بالعباسية وقبلت أوراقي فى الحال وأخذوا المصاريف وهى ثلاثة جنيهات ونصف تقريبا. وفوجئت بأخوتى والناس الآخرين يضحكون، ويقولون إن ناشد أخبرهم أنه ذهب إلى جمال عبد الناصر الذى رحب به وأرسله إلى كمال الدين حسين وزير التربية الذى استقبله على باب الوزارة مرحبا به، أهلا يا شيخ ناشد. أطلب ونحن فى خدمتك. فشرح له الموضوع وفى الحال أصدر قرارا بعودتي للدراسة وإعادة قيدي بمدرسة العباسية الثانوية. يا للهول!! فانتازيا خيالية لا أساس لها من الواقع اختلقها بخياله الخصب وأشاعها بين أهل القرية. فهو يميل دائما إلى تصوير نفسه في صورة البطل الجريء القادر على اختراق كل حواجز السلطة وحل أعقد المشاكل. كان يفعل ذلك كثيرا بقصد كسب اعجاب البسطاء وربما خداعهم وإيهامهم بأنه قادر على أن يحل لهم مشاكلهم. المهم أن الجميع عرفوا القصة الحقيقية منى وبدأوا يسألوه عن عبد اناصر وكمال الدين حسين، وأخذ بعضهم يسخر منه بطرق أخرى مما أغضبه على لأنني كشفت الحقيقة.

لم ينس ناشد هذا الموضوع وزادت نقمته على وأصبح يؤكد لنفسه مقولة استخلصها من أحاديث غطاس المسمومة معه، إن كان صادق أبو سريان نفع أخاه يبقى نسيم هينفعنا.

لم يكن يعيش في الواقع وكان يتوهم لنفسه أدوارا خارقة، والعجيب انه كان يصدق نفسه كثيرا ولا يستحى حتى لو واجهناه بالحقائق. كان غطاس يمارس أعمال السحر وكان ناشد يؤمن بالسحر وبقوة هذه الأعمال. كان عقله مسكون بالخرافة يصدق المنجمين وقراءة البخت وكانت الكتب التي يحرص على قراءتها هي كتب التنجيم وأشهرها كتب الشيخ الفلكي وكانت أكبر قراراته تتم على هذا الأساس. وهذه الميول هي التي ربطت بينه وبين المقدس غطاس الذى وقف بجانبه في الانتخابات نكاية في الآخرين الذين يكرههم كرها شديدا. وقد أدى هذا فعلا إلى إرتفاع أسهمه وحصوله على الأغلبية في الانتخابات، وأصبح هو أحد مشايخ القرية رغم عدم كفاءته الشخصية لهذا الدور، وهذا ما سوف تكشفه الأيام.

تولى ناشد مسئوليته كواحد من مشايخ القرية الأربعة وبدأ يشارك فى الاجتماعات التى يرأسها العمدة ويتابع مع الجميع مشاكل القرية واحوالها خصوصا انتخابات مجلس الشعب وغيرها من الانتخابات التي كانت تجرى في السنوات الأولى لثورة يوليو، وكان بعض المرشحين لعضوية هذه المجالس يزورون القرية ويحرصون على لقاء ناشد ويحفزونه للوقوف معهم ودعوة الفلاحين لانتخابهم. وكان المرشحون يوزعون مبالغ كثيرة من أجل الفوز وكانت المبالغ تدفع عادة للعمدة والمشايخ من أمثال ناشد ليقوم هو بدوره بتوزيعها على الفلاحين وأبناء القرية. وطبعا كان العمد والمشايخ يوزعون القليل على الناس ويستولون هم على الجزء الأكبر لأنفسهم. وسواء كان هذا حقيقة او من باب سوء الظن، فإن هذه العملية التي يلعب فيها المال الدور الرئيسي جعلت لناشد شعبية وأهمية فى التأثير على كثير من الفلاحين والأجراء. وظهر ذلك جليا عندما جاء موسم الفيضان وأخذت البلدة كلها تتحسب لهذ الأمر.

فقد اعتاد الناس جميعا على أن يساهموا بجهودهم وامكانياتهم في إقامة الحواجز والسدود لمنع مياه الفيضان من إغراق الزرع واغراق البيوت لأن قريتنا تقع في زاوية مثلث ارض منخفضة يحيط بها من الخارج طرادي النيل، وهو جسر يرتفع قرابة خمسة أمتار عن مستوى النهر، ويحمى الأراضي التي تقع خلفه من الغرق. أما قريتنا فتقع في بؤرة المنخفض ولا شيء يحميها سوى عناية الله. من أجل هذا كان الناس وخصوصا الشباب يتطوعون للعمل ليل نهار فى موسم الفيضان لحماية القرية دون أجر. وكان هذا هو التقليد المتبع على مدى عشرات السنين ولم يخرج عليه أحد من قبل. لكن تركيبة ناشد الشخصية تميل دائما ألى المخالفة والسعي لتوريط الأخرين فيما لا يحبونه أو يرضونه.. فجمع الكثير من العمال والفلاحين وقال لهم، أنتم أجراء وليس لكم في هذه المزارع شيئا يخصكم، فأصحاب الأراضي والمزارع أغنياء ولديهم المال ويجب عليهم أن يدفعوا لكم أجورا، وأنا أدعوكم ان ترفضوا هذه السخرة، ولا تساهموا في إقامة الجسور او السدود حول هذه المزارع حتى يدفع أصحابها أجورا لذلك. وفى نفس الوقت وجه الدعوات ألى الملاك بأن يساهموا بالمال لدفع أجر الفلاحين والعمال الذين يقومون

بعملية مقاومة الفيضان وأعرب عن استعداده لجمع النقود وتوزيعها عليهم، ومتابعتهم والأشراف عليهم

. كانت دعوة ظاهرها العدل لكنها جاءت في وقت ضيق وبطريقة مفاجئة غير معتادة، لم يتعود الناس عليها ولذلك كان يصعب على بعض الملاك أن يضحوا بالمال. فالبعض يدفع راضيا والبعض الأخر يتذمر ويدفع القليل او يرفض. وكانت مشكلة هذا العام ان الفيضان جاء طاغيا وعنيفا عن كل السنوات السابقة. وطالت فترة المقاومة عن المعتاد حتى أخذ أغلب الناس فى الانصراف عن دفع الفلوس وتخاذل كثير من العمال والفلاحين فتفجرت السدود المقامة ووقعت الواقعة وفى ظرف ساعتين أحاطت المياه بالقرية من كل جانب بعد ان أغرقت المحاصيل، وارتفع مستوى الماء ألى اكثر من ثلاثة امتار داخل بعض البيوت وأدى إلى هدم نصف منازل القرية. وكان خروج الناس من بيوتهم شيئا محزنا فلم يتمكنوا من جمع أشياءهم أو اخراج ملابسهم ومأكلهم وبعد ساعات قليلة أصبحنا جميعا فى العراء ننتظر معونة الشئون الاجتماعية .

7- الفيضان يغرق القرية

احتمينا من العراء بحجرة في نادى الشباب خلف جسر الطرادى، وكان من حسن الصدف أن نكون السابقين إلى اللجوء إليها. وتقبل الجيران الأخرون الهاربون من خطر الفيضان الأمر برضا وتعاطف، ولم يعترض أحد على احتلالنا هذه الغرفة الوحيدة ووقفنا جميعا نساعد بعضنا بعضا. وفى اليوم التالي جاءت خيام الحكومة لتنصب وتستوعب عددا كبيرا من المتضررين. ولجأ بعض الناس ألى أقاربهم وذويهم في أماكن أخرى بعيدة عن الفيضان. ذهب أخي ناشد بزوجته وأولاده إلى منزل حماه في المعصرة، وبقيت أنا وأمي وبقية الأسرة نسكن هذه الغرفة والفسحة التي أمامها بجوار أسرة المرحوم نصر فهمى الضابط الذى استشهد أثناء حرب 1967. والفضل يرجع إلى هذا الشهيد في فكرة تأسيس نادى الشباب هذا، الذى يأوينا وكان من أبرز مظاهر التطور فى قريتنا حينذاك.

كنا كشباب نتعلم في المدارس ونعيش فى قرية صغيرة، ونلتقى أحيانا كأصدقاء في مجموعات صغيرة ثلاثة أو أربعة في أحد البيوت لنذاكر دروسنا، أما كمجموعات لنتسامر ونلعب معا، فكانت هناك مشكلة المكان الذى يمكن أن يجمعنا، وخطرت فكرة النادى للمرحوم نصر فهمى محمد فتح الباب وعرضها علينا ففرحنا بها ووجدنا فيها مخرجا لأزمتنا. وكان نصر فهمى شابا وسيما ونشيطا ولديه روح الجرأة والاقدام فأخذ الفكرة على عاتقه وذهب بها لفضيلة الشيخ محمد حسن العوايسى وعرضها عليه. وكان الشيخ محمد حسن يعمل قاضيا في وزارة العدل، وكان لايزال شابا لم يبلغ الأربعين من العمر، وكان يتحلى بروح المحبة والتواضع والرغبة فى خدمة أهل القرية وتنوير أهلها. كان يتولى الخطابة في أحد مساجدها يوم الجمعة. وكان يتميز بغزارة علمه في أمور الدين والشرع ويزن كل شيء بعقلانية منفتحة ومتحررة من جمود التقليدين والحرفيين والمتزمتين فأقبل عليه الناس وانتشر صيته فى كل محافظة المنيا.

وكان رجال الفكر والمهتمون بالشأن العام يلجأون إليه لاستيضاح الجوانب الشرعية في كثير من الأمور خصوصا وأنه كان يتحلى بلباقة وقدرة فائقة على التعبير عن أفكاره بوضوح، كما كان بحكم انتمائه الطبقي يتعاطف مع الفقراء والبسطاء ويهتم بقضية العدل الاجتماعي ومجانية التعليم والعلاج. هذا هو الرجل الذى حمل شعلة التنوير في القرية وجمعنا حوله كأخوة، وشجعنا على مزيد من التوافق والتعاون معا وساعدنا على الحصول على تأييد كل أعيان القرية، الذين تبرعوا للمشروع فأخذنا قطعة الأرض وأقمنا عليها سورا وداخله غرفة للإجتماعات، واصبحنا قادرين على أن نجد مكانا للأنشطة الفنية والرياضية، وهكذا بدأنا مرحلة انتعاش وازدهار ووئام فى قريتنا، حتى جاء موسم الفيضان فى 1954 ليوجه لنا هذه الضربة العنيفة، التى دمرت الزرع وأغرقت البيوت ووضعتنا فى ضائقة شديدة.

يقول تشارلس ديكنز الروائي الكبير: " تأبى المصائب أن تأتى فرادى"، فلم تكن كارثة الفيضان هى الأولى بالنسبة لنا. فقد سبقتها كارثة أخري، قبيل قيام ثورة يوليه 1952 ، إن تأثير هذه المصائب من حيث القوة والضعف يتحدد نتيجة قابلية المتضررين واحتمالهم لعواقبها. فقد كنا حينذاك فى حالة نقاهة أو تعافى من قسوة السنوات السابقة، وأخذنا نهتم بالزراعة والتجارة ونحاول هنا وهناك، ففتحنا الدكان الذى تركه أبى بقليل من المال وأخذنا نتاجر فى المحاصيل وبالذات القطن. كنا نشترى الكميات بالقطاعي من الفلاحين وأولادهم ونجمع هذه الكميات الصغيرة ونوردها للبنك حيث يتم فرزها وتحديد درجة جودتها ثم نودعها على حساب أحد التجار الكبار باسمنا ونحصل منه على مبلغ سلفة إلى أن يحين الوقت لبيعها. وفى هذا العام تجمع لدينا عدد كبير من القناطير، كان سعر القنطار لا يتجاوز عشرة جنيهات وفجأة ارتفع السعر عن طريق المضاربة فى البورصة إلى ما يقرب من ثماني عشرة جنيها. وكان المفروض أن ينتهز حكيم الفرصة ويبيع القطن لكن سوء الحظ كان له بالمرصاد. فالتقى به ناشد ونصحه أن ينتظر إلى الغد لأن الشيخ الفلكي تنبأ في كتابه أن القطن سوف تصل أسعاره إلى عنان السماء، وعليه أن ينتظر إلى الغد.

ورغم أن ناشد لم يكن شريكا لنا فى القطن فقد أثر على حكيم ومنعه من اتخاذ القرار السليم الذى كان يمكن أن ينقذنا من فقر السنين الطويلة، وفى اليوم التالي وقعت الكارثة فقد نزل سعر القنطار ألى ما يساوى ثمانية جنيهات ونصف، وهكذا عدنا ألى مربع الفقر رقم واحد. كان حكيم يبكى ويصرخ من هول الفاجعة، وكاد ان ينتحر وكنا نشاركه الحزن وفى نفس الوقت نعضده ونطمئنه بأن الله قادر أن يعوضنا في المواسم القادمة على شرط ألا يسير وراء ناشد وألا يصدق كلام المنجمين.

لم نكد نسترد أنفاسنا بعد هذه الإنتكاسة في خريف 1952، حتى داهمنا فيضان النيل أواخر السنة 1954، فهدم بيتنا وأغرق جزءا كبيرا من زراعتنا ووضعنا في العراء شهورا طويلة قبل أن تجف المياه ونعود إلى البيت لنجده قد تصدع وأحتاج الى الترميم او الهدم والبناء وهذا لم نقدر عليه على مدى ثلاثة عشر عاما. أما التعويض الذى أخذناه من الحكومة لم يزد عن ثلاثين جنيها.

مرت سنوات التعافي وبدأنا نستعيد حياتنا من جديد للخروج من جو هذه الأزمات. وكان هذا من أسباب عودتي من القاهرة لأنني كنت أعرف أنه يستحيل على أن أطلب مصاريف لإطالة بقائي فى مدرسة العباسية أو للبحث عن عمل بالإضافة إلى هاجس المغص الكلوي الذى كان يهددني من وقت إلى آخر. لكنني وضعت في ذهني أن أعيد السنة الأولى مضطرا وفى السنة الثانية سوف أذاكر دروس السنة الثالثة أيضا وأتقدم لامتحان الثلاث سنوات منازل وتم هذا فعلا وحصلت على الثانوية العامة من القسم الأدبى بدرجات مرتفعة تؤهلنى لدخول جامعة القاهرة .

القسم الثانى: الإجتهاد والمعاناة

8 ـ مع ذات الرداء الأخضر بالجامعة

كنت أتهيأ لدخول جامعة القاهرة. وكنت واثقا من قبولي بها. إن مجموعي كبير يؤهلني لأى كلية من كليات الدراسات النظرية. وكانت كلية الآداب هى أول كلية كتبتها فى بطاقة الرغبات. وأنا أحس الآن أن مستقبلي في دراسة الآدب، ومن ثم أخذت أفكر في أي الأقسام أختار.

إن هوايتي هي الفراءة والكتابة. هل أدخل قسم صحافة لأجعل من الهواية حرفة أو أدخل قسم اللغة الإنجليزية التي أحبها جدا لكى أتقنها وأتعمق في آدابها، ولأنني عاشق للأدب العربي وللشعر العربي قديمه وحديثه وأحفظ منه مئات الأبيات وبعض القصائد كاملة، كما أننى أصبحت أحسن التعبير بأسلوب متميز وجميل فى كتابة موضوعات الإنشاء التى كانت تعجب أساتذتي فى المدرسة، وكانوا يشيدون بها في الفصل أحيانا. وقد يساعدني هذا على أن أترجم من الانجليزية للعربية وأمضى فى محاولاتي الكثيرة فى كتابة الشعر والقصة القصيرة. لقد علق أحد مدرسي اللغة العربية على إحدى قصصي قائلا " نسيم...إنها بداية ناجحة وأنا أهنئك وننتظر منك الكثير"

اشتغلت هذه الأفكار في خيالي، ولكنى كنت متردد أي القسمين أختار فرحت أستشير زملائي الذين سبقوني. قال لي أحدهم أدخل قسم اللغة الإنجليزية تتعلم اللغة وتكتسب ثقافة أدبية واسعة وعميقة. لقد قرأت جريدة الأهرام يوم ظهور النتيجة وقرأت أسماء العشرة الأوائل على قسم أدبى وكنت أنتظر أن تكون منهم. وكانت السابعة بنت اسمها سلوى تقول إن أباها مفتش للغة الإنجليزية بوزارة التربية والتعليم. وقد سألها المحرر عن القسم الذي تختاره فقالت قسم اللغة الإنجليزية لأنها حصلت على أكبر درجة في هذه اللغة. وكانت هذه الكلمات هي الفيصل في الموضوع. لقد تعبت من التفكير وقد اهتديت أخيرا بمن يفوقني علما ولغة. كان سبب الحيرة أحيانا أن درجاتي في اللغات تؤهلني لقسم فرنساوى وقسم إنجليزي وقد ارتحت أخيرا لاختيار هذه الفتاة، وأصبحت أمنيتي أن ألتقى بها فى قسم اللغة الإنجليزية وأتعرف عليها فزمالتي لمثل هذه الفتاة تملاني فخرا وتشعرني بأن تفوقي فى الثانوية العامة قد قفز بى لمستوى أبناء الذوات. وقد وجدت نفسى فعلا بين أبناء الذوات، حين عرفت إن الجالس بجواري هو حازم ابن بهى الدين بركات باشا رئيس وزراء مصر الأسبق. وقد عاد من لندن نتيجة العدوان الثلاثي واصبح زميلا لى فى القسم، وبعد أن استوعبت هذه الحقيقة رحت أترنم بقول الشاعر العربي:

العلم يرفع بيوتا لا عماد لها والجهل يهدم بيوت العز والمجد.

وهنا عدت أتذكر الاسم سلوى وأعيده لنفسي: سلوايا يا سلوى يا أحلى من الحلوى. على وزن قصيدة لصالح جودت مطلعها "نجوايا يا نجوى يا أحلى من الحلوى". اسم موسيقى جميل، وقع على نفسى وقع السحر فسكرت دونما شراب، وبدأت أفكر في شيء آخر غير الإسم، أفكر فى صاحبة الإسم. إن الإسم جميل وساحر فهل تكون هي جميلة وفاتنة؟ يا للحظ السعيد أن تكون هذه الفتاة ابنة الرجل المعروف، وهنا قفز إلى ذهني شيء جديد. وما فائدة الزمالة إذا لم يكن هناك تكافؤ في الوضع الاجتماعي. هل يمكنني أنا الريفي الفقير أن أتطور بهذه الزمالة إلى مستوى الصداقة أو الحب؟ لكن هذا يحتاج إلى الكثير وأنا لا أملك شيئا. ولكن ما هذه الأفكار السوداء. ما هذا كله؟ لماذا أفكر فى تجنب البلاء قبل وقوعه. إن الحياة أمل وعمل. ربما أعمل وأنجح وأصبح شيئا مذكورا..

وبعد أيام قليلة حزمت أمتعتى وتركت قريتي المحبوبة العوايسة بريف سمالوط وذهبت ألى القاهرة، مدينة العلم والنور. وبعد أن قيدت اسمى فى قسم اللغة الإنجليزية، أخذت أبحث في الكشوف المعلقة على حائط الممر الذى يتوسط مبنى القسم حتى وجدت اسمها في المجموعة (ج) فكتبت اسمى فى هذا الكشف، وفى أول محاضرة أدخل فيها المدرج اخترت لنفسي مكانا منعزلا ورحت أتلفت حولي بنظرات زائغة حذرة وأنفاسي متقطعة كأن شيئا ثقيلا يجسم على صدري. فكل ما حولي غريب بالنسبة لى. هنا بنات يجلسون بجانب أولاد ويتكلمن معهم. وأنا أعرف مقدما أن هذا يحدث فى مدرجات الجامعة!! لكن الشيء الجديد علي أننى لم أره من قبل ولم ألفه. والبنت فى بلدنا عندما ترى شابا تبتعد عنه وتحاول أن تخفى وجهها وعينيها. بل تحاول أن تدخل فى جلدها حتى لايرى منها شيئا. بدأت أنفاسي تهدأ رويدا رويدا حين دخلت علينا الأستاذة.

القت علينا التحية وابتسمت. كانت شابة فارعة الطول نحيفة قمحية اللون باسمة الوجه. امسكت بكشف الأسماء وأخذت تتعرف على الطلبة والطالبات، وتمد رقبتها حتى ترى وجوههم عن قرب. وهنا تذكرت سلوى وبدأت أشد أذني، وأميل إلى الناحية التي تنظر إليها الأستاذة. وبعد قليل انبعث الإسم من الصف الأمامي فى صوت خافت ضعيف، ثم انبعث صوت رقيق آخر يعلن إسما آخر، فلم أتحقق أى واحدة تكون هي؟ فأخذت أنظر إليهما من الخلف وعيني مركزة على حركاتهما وهن جالستين، وتمنيت لو معي أشعة إكس لأخترق بها هذه البلاطى السميكة وأرى وجوه أصحابها من الأمام.. من اليمين تجلس فتاة شعرها ذهبي اللون قصير منكوش بعض الشيء وترتدى بالطو أحمر، وعن يسارها تجلس فتاة صغيرة الرأس شعرها أسود فاحم، تعقصه من الخلف في شكل ذيل الحصان. ومازلت أنظر ناحيتهما حتى اقتربت منى الأستاذة وأخذت تنظر إليّ باهتمام وتنصت لتسمع صوتي، سألتني عن إسمي فأخذت أنتبه إليها وأجيب في حياء وخجل مما جعل الكلمات تتعثر في فمي بصورة لفتت إلي الأنظار حتى الطالبتان اللتان تجلسان في ألصف الأول أدارتا وجهيهما إلى الخلف لرؤيتي فانتصبت فى وقفتي فرأيتهما.

الأولى وجهها ابيض أما الأخرى فوجهها أسمر شاحب لكنني لم أتحقق تماما من هذه الوجوه أو أفرق بين أصحابها. يكفيني أنى عرفت أنها إحدى الإثنتين.، وانتهت

المحاضرة وخرجت مع الآخرين. خرجت وفى رأسى أفكار كثيرة وفى قلبي شوق غريب للمعرفة. وبعد فترة دخلنا مدرجا آخر، وكانت حالتي أكثر هدوءا. فجلست فى الصف الثاني بين أربعة زملاء، ورأيتهما أمامي في الصف الأول ثنائي عجيب تكاد تلتصق إحداهما بالأخرى. ثم دخل المدرس وحيانا بابتسامة عريضة وكان لصوته فرقعة. وبدأ يتعرف على الأسماء واحدا وأحدا ويكرر الإسم أكثر من مرة وكأنه يحاول أن يحفظه، وأحيانا كان يعلق بنكتة لطيفة على بعض الأسماء فأوجد جوا من المرح والألفة. وهنا جاءت الفرصة لأعرف فتاة الأحلام والأوهام. ولعل جلوسي بين زملائي ملأ نفسى بقدر كبير من الارتياح والطمأنينة فلم أعد في حاجة للخجل او اختلاس النظر إلى زميلاتي، فالمسافة بيني وبينهما ضئيلة بل تكاد تكون منعدمة , فلو أننى حركت يدى قليلا إلى الأمام فربما لمست شعرها، وحانت الفرصة حين وقفت تعلن اسمها وكانت هي ذات الرداء الأخضر، وصاحبة الشعر الأسود الفاحم الطويل الذى يتدلى على ظهرها كذيل الحصان. إن طريقة عقصه تثير في خيالي نوادر وصور للذيول والفرسان . فرحت أتأملها متوسطة الطول ممتلئة قليلا لون بشرتها أسمر به لمسة من الشحوب. شعرت بصدمة أثارت حيرتي، أتكون هذه الفتاة هي صاحبة الإسم الساحر الرنان. مفارقة كبيرة بين الإسم وصاحبة الإسم. بين الصورة المتخيلة والحقيقة الماثلة أمامي. هكذا شعرت بها لأول وهلة. الاسم جميل كان يجب أن تملأه بصورة أكثر جمالا. لكن هذه هي الحياة تمنينا دائما بالكثير وفى النهاية تواجهنا بالحقيقة. لم تطل حيرتي فقد انتهت المحاضرة والكل من حولي يتحرك للخروج فاستيقظت من سرحاني وخرجت معهم.

عرفت الآن أننى سوف أراها كل يوم في هذه الحجرة أو في غيرها، وفى فناء الكلية أو على الكافتيريا. لكنني لم أتوقف عن التفكير فيها، وكنت كل يوم أرمقها بنظرات غامضة، وأرى أنها ليست قليلة الجمال كما ظننت لأول وهلة بل أحسست أن فيها أشياء جميلة ومريحة. هذا الوجه المستدير والشعر الأسود الفاحم الذى يرتفع من الأمام فيشكل تاجا ينحني مع استدارة وجهها ثم ينتهى من الخلف بخصلات تنعقد فى الوسط ثم تتدلى على ظهرها بما يشبه ذيل الحصان. هذه الهالة الجميلة تحيط وجهها المستدير ذي التقاطيع الدقيقة فتصنع لوحة متناسقة التفاصيل تتوسطها عينان سوداوان وأنف دقيق وفم يشبه الخاتم، ملامح جميلة وجذابة غيرت فكرتي عنها فبدأت أتعلق بها من جديد حتى مشيتها كانت تثير إعجابي.

كنت أتابعها أحيانا خلسة لأمتع عيني بقدها المعتدل وهو يتثنى في مرونة عجيبة، وكانت إلى جانب ذلك كله شديدة التأنق فى ملابسها دون تبرج حتى يخيل للرائي أنها تتكلف فى تصرفاتها لكنها كانت تزيدني إعجابا وتزيدني شغفا بها. خصوصا بعد أن تأكدت، أن هذه المجموعة لا تضم من الطالبات المسيحيات غير هذه الطالبة وزميلتها، وهنا شعرت برباط آخر يمكن أن يقربني منها. لكن العجيب أن ظهور هذه الرابطة بدا وكأنه حاجز يفصل بيني وبينهما. والذى زاد هذا الأمر وضوحا كونى ريفيا دائم التحفظ في الكلام فلا أبادر أى فتاة بالكلام إلا إذا بادرتني هي. وقد لفتت هذه الطريقة بعض

الأنظار إلي. حتى ظن بعضهن أنى ساذج، لكنني كنت فطنا كنت أريد أن أعرف أسلوب كل زميلة قبل أن أختلط بهن. سألتني إحداهن ذات مرة عن بلدي. ديروط فضحكت وقلت بل سمالوط وليست ديروط، فاستطردت وكيف حال المذاكرة ، أجبت مش بطالة. لقد تكلمت معي معظم طالبات المجموعة سألنني عن بلدي وعن ديانتي وعن حياتي في القاهرة ماعدا هاتين الطالبتين فكانت تنظران إلي من بعيد نظرات عجيبة، وخيل إلي انه بعد أن عرفتا أننى أشاركهن فى الديانة أخذن في التحفظ معي. ربما وإن بدا الموقف سلبيا في أول الأمر. لقد لفتت هذه النظرات انتباهي وحاولت أن أجد لها مدلولا وخصوصا أنهما تتكلمان مع زملائي الآخرين. كنت أعرف ان معظم من تكلمن معي كن يقتربن منى وكأنني مخلوق غريب من عالم آخر. ورغم إدراكي لهذه الحقيقة إلأ أنى كنت أتجاوب معهن بأسلوب راق بل كانت تفلت من بين شفتي بعض القفشات التي كانت تضحكهن وتقربهن منى أكثر. كان في ذهني أن أثبت أننى من سلالة الفلاح الفصيح وليس من سلالة الذين اشتروا الترماى.

لقد تلاقت نظراتي مع نظراتها مرات كثيرة ولكنها لا تفصح عن شيء، ربما كان حياء وخجلا متبادل. والأيام تمر والنظرات تتلاقى دون إفصاح، وفى ذات يوم دخلت المدرج وفى يدى جريدة المساء، وجلست ألى جانب زميلي طاهر ورحت أتصفحها. وفى أثناء ذلك سمعت سلوى تقول:" طاهر أرجوك، ماتحرجنيش مرة تانية وكفاية بقى. لن أقرأ. لاتطلبوا منى ذلك!! وعرفت أنها تشير إلى ما حدث بالأمس حين طلب منها بعض الزملاء أن تقرا المقال الذى كتبته وأمرتها الأستاذة أن تقرأ فقرأت في صوت رقيق جذاب يختنق أحيانا ربما من فرط الحياء بسبب الموقف المفاجيء الذى لم تكن تتوقعه. ولكن طاهر راح يضحك ويقول:

معقول يا مدموازيل سلوى والمقال رائع وإيه رأيك يا نسيم؟

وكان ردى. طبعا مش معقول واحنا محتاجين نتعلم من المقالات الحلوة دى. ابتسمت هى أيضا ثم نهضت ومدت يدها الى الجريدة وأمسكت بها ونظرت فى إحدى الصفحات ثم ردتها وشكرتني. فى ذلك المساء عدت إلى حجرتي الضيقة مسرورا. وبدأت ابتسامتها تكبر فى خيالي فقررت من الآن سوف أحاول التحدث معها والتعرف عليها. وليكن ذلك من الغد. ومن ذلك الحين أخذت أنتهز الفرص للكلام معها. كانت كلماتي خافته بطيئة كادت أن تختنق فى فمي لكنني تطورت شيئا فشيئا واستطعت أن أتغلب على حيائي الريفي وأعبر عن رأي بوضوح وكانت هي تعطيني اهتماما كبيرا فأحس أن لكلماتي صدى عندها. بل وخيل إلي أن هذه الفتاة تحمل لى نوعا من التقدير.

وفى ذات يوم كنت خارجا من باب القسم فرأيتها تجلس هي وزميلتها على الحشائش الخضراء تحت شمس الشتاء الدافئة، ويقف إلى جانبهما حسان وصبور وكان بينهم شبه حديث. ودفعني الفضول فاتجهت نحوهم ورأيت ان احييهم فالتفت حسان فائلا فى شبه تحذير:

_ وطي صوتك يا سلوى احسن أخونا نسيم يسمعك؟ وعرفت أنهم كانوا يناقشون حقوق المرأة فى التعليم والعمل، فلما أنكر صبورعليهن هذا الحق ردت سلوى عليه قائلة:

- هو انت صعيدي؟ أما أنا فابتسمت وقلت: مش مهم قولي ما شئت، ألست صعيدية من أسيوط؟ فضحكت وقالت ولكنى لم أرها أبدا ولم أعش فيها يوما واحدا. ثم سألتني وهل أنت من أسيوط؟ وأجبت من سمالوط.

- إذن صعيدي برضه؟ فأجبت: أيوه صعيدي وبوى صعيدي، وانفجر الجميع في الضحك ثم عادت إلى أصل الحديث فقالت:

- على العموم أنا من رأيي أن الفتاة يجب أن تتعلم وبعدين تتزوج ومن الأفضل لها أن تقعد فى البيت ولا تعمل إلا إذا كانت حياتها الزوجية تحتاج الى عملها. فتساعد زوجها فى أعباء الأسرة. وانفض الحديث ودخلنا المدرج لسماع المحاضرات. ولكن صوتها ظل يرن فى أذنى طوال اليوم حتى بلغ ألى عقلي وقلبي.

وأخذت أقول لنفسي، إنها تعبر عن وجهة نظرها ولا شك في هذا. فهي تقول ما تحسه وما ترى أنه الأفضل. ورأيها رأى قيم ومهم يدل على حسن تقدير للأمور ولظروف الحياة وعلى اتزان عقلها. فهى ليست متزمتة وليست مغرورة بل إنسانة وديعة تعرف قيمة التعاون وخاصة فى الحياة الزوجية.

- بعد شهرين من الدراسة وقع العدوان الثلاثي على بورسعيد وتعطلت الدراسة عدة أسابيع بعدها عدنا إلى الدراسة، وأخذت أرتب أحوالي بعد أن وجدت حجرة صغيرة لا تزيد عن مترين في متر ونصف في شقة يسكنها ثلاثة أشقاء من سمالوط وتقع بميدان الروضة بالمنيل، وفرحت بها لأنها قريبة من الجامعة ولن أحتاج لركوب المواصلات. كان كبير الأشقاء الثلاثة يعمل فى البريد أما أخوته فيدرسون في كلية الزراعة، وقد ارتحت لهم فى البداية وخصوصا وأنهم كانوا يجيدون الطبخ وتدبير الأمور المنزلية وأنا أشاركهم وأدفع لهم ما يقرروه دون سؤال. لكن كانت هناك تناقضات ناتجة عن تربية كل منا والبيئة التى عاش فيها فضلا عن اختلاف الدراسة بين طالب يدرس الأدب وينشغل بأمور الثقافة والسياسة وطلبة تنحصر دراستهم فى النباتات والمحاصيل الزراعية والحشرات ولا يتسع عقلهم لأى نقاش أو حتى للنكتة، فكان بعضهم يستظرف أحيانا بكلمة سخرية أو بنكتة فيضحكون لكن المصيبة إذا رددت عليه أو سخرت منه بكلمة فأقابل بثورة صبيانية تدل على تفاهة عقولهم.

- المهم بعد عدة شهور تركتهم وسكنت مع عبدالله عبادة ثم جاء نسيم ابراهيم زميلي فى قسم اللغة الإنجليزية، وظلت زمالتنا طول أيام الدراسة وتحولت ألى صداقة حميمة دامت حتى توفاه الله بعد عملية لإزالة سرطان في المخ بمستشفى معهد ناصر فى 2 أكتوبر 1994، ومازلت أبكيه وأحزن عليه كلما جاءت ذكراه. وبعد وفاته استمرت علاقتنا أنا وزوجتي مع زوجته وأولاده سنوات حتى تفرقنا بين أمريكا وكندا وبين البلاد العربية حسب ارتباطات الأولاد بأعمالهم.

تعرفت على نسيم صدفة على بوفيه كلية الأداب. قال إنه طلب قيده في قسم إنجليزي لكن الأستاذ راضي موظف شئون الطلبة رفض قيده فى قسم انجليزى وسجل اسمه فى قسم اجتماع وهو محتار ماذا يفعل، قلت له حلها بسيط. تكتب طلب وتقدمه للدكتور رشاد رشدي وهو سيرحب وفعلا تم ذلك وقيد اسمه فى قسم اللغة الإنجليزية وسرنا في الدراسة معا. كانت الحياة فى هذا القسم شاقة وممتعة. فهذا القسم يجمع طلبة وطالبات من المدارس الإنجليزية والأمريكية ممن يتحدثون اللغة بطلاقة مما جعل الفجوة بيننا وبينهم واسعة إلا أنهم كانوا يتعاملون معنا بأسلوب راقى وبمودة جعل التعاون وتبادل المذكرات معهم كزملاء شيئا عاديا. كانوا يتميزون بالقدرة على ملاحقة الأستاذ ونقل كل ما يقوله في المحاضرة، وكنا نكافح بشدة حتى نقترب من هذه المستويات، ونشارك فى الحديث والمناقشات مع المدرسين والمدرسات خصوصا فى المدرجات الصغيرة التي تضم عددا قليلا من الطلبة والطالبات وتتاح الفرصة لأمثالنا للحديث أو طرح الأسئلة وتبادل الأراء بيننا وبينهم،

- والحقيقة أننى شعرت فى الشهور الأولى بأنني قادر على مواصلة الدراسة فى هذا القسم وقادر على التفوق مثلهم. ففي ذات مرة طرحت الأستاذة موضوع معين وطلبت أن يكتب كل منا مقالا عن هذا الموضوع، ويسلمه فى أخر المحاضرة. وكتبت حوالى عشرين سطرا وفى الأسبوع التالي أعلنت الأستاذة الدرجات وأعلنت أننى حصلت على 18 درجة من عشرين أى درجة ممتاز. وهى أعلى درجة فى الأوراق كلها مما لفت أنظار الزميلات بصفة خاصة، وكان أكثرهن من مدارس أجنبية، فأخذن يسألنني عن المدرسة التي تعلمت فيها، وكانت دهشتهن كبيرة عندما أخبرتهن أنها مدرسة سمالوط الثانوية وهى مدرسة حكومية. كانت هذه فرصة عظيمة أشعرتني بالثقة فى قدراتي منذ الشهر الأول، وقربت كثيرا من الزميلات اللاتي كن يتعجبن من لهجتي الصعيدية. -

- لكنني فى الشهور الأخيرة من ذلك العام فوجئت بالمغص الكلوي مرة أو مرتين كل أسبوع، وأخذت أعود الى حقن المسكنات. وحين تعبت لجأت إلى مستشفى الطلبة التابع للجامعة. وكان وقتها نموذجا فى النظافة والخدمة الطبية الممتازة تحت إدارة أستاذ عظيم هو: الدكتور جليل البندارى

كان هذا الرجل يمثل عبقرية إدارية عظيمة جعلت من هذا المستشفى مزارا لكبار الزائرين لمصر فى تلك السنوات. لقد لجأت لهذا المستشفى وأظهرت كشوف الأشعة أننى مصاب بحصوات فى الحوالب وأننى أحتاج لعملية لم يحدد موعدها بعد. فأكملت الدراسة فى ذلك العام، وأديت الامتحان وظهرت النتيجة ونقلت للسنة الثانية بمادتين. لذلك قررت أن أسعى وراء العملية حتى أتخلص من ألام المغص التي تبدد فرصتي فى التفوق وفى الحياة عموما.

وعدت لقضاء الإجازة الصيفية مع أهلي فى العوايسة، وهناك حكيت للشيخ محمد حسن العوايسى ظروفي الصحية وحاجتي إلى جراحة حتى أتخلص من أسباب المغص المتكرر، فاتصل تليفونيا بمراد بك الشريعى ليعطيني توصية للدكتور لطفى عبد السميع

الذى قرر لى العملية، وقال إن مراد بك موجود الآن فى أبعدية الشريعى على بعد مسافة كيلو مترين من قريتنا. وذهبت فى صحبة ناشد، وأحسن الرجل استقبالنا وأعطاني كارت توصية للدكتور لطفى عبد السميع الأستاذ بكلية الطب للتعجبل بإجراء العملية لي في مستشفى الطلبة. وحملت التوصية لهذا الأستاذ الكبير وسرعان ما تحدد لى موعد فى بداية العام الدراسي الثاني، وقام بإجراء العملية الدكتور محمد صفوت وكان من أشهر أساتذة المسالك البولية فى ذلك الوقت. لكن يعد شهرين أظهرت الأشعة وجود حصوة أخرى فى أحد الحوالب، وتحددت لي عملية ثانية أجريت فى العام الدراسي التالي وأنا فى السنة الثالثة. لكن استمرار المغص جعلني زبون دائم بهذا المستشفى العظيم الذى قدم لي أكبر خدمة فى حياتي حتى بعد أن تخرجت حيث أجريت لى عملية ثالثة كانت مقيدة اثناء الدراسة بالسنة الرابعة. لكن حرصي على أن أنهى الدراسة بأي شكل وأحصل على الليسانس اضطرني إلى تأجيل العملية حتى أكمل الامتحان. وهذا ما حدث ولكن صحبتي للمغص الكلوي لم تنته بعد. لقد سألني أحد الزملاء ذات مرة لماذا أبدو شاحبا وحزينا، فقلت له:

" لا تتعجب. فأنا احارب أعداء الإنسانية الثلاثة وحدى، الفقر والجهل والمرض واحاول الانتصار عليهم"

- فضحك ودعا لي بالصبر والسلوان.

انتهى الفصل الدراسي الأول، وعدت لأقضي أجازة نصف السنة فى قريتي الصغيرة، هناك على شاطئ النيل وشمس الشتاء الدافئة الحنونة وعلى رمال الشاطئ حيث يحلولى تأمل الذكريات أخذت أقلب فى دفاتري. كانت حياتي صفحة بيضاء تخلو من الخطوط والألوان، فلم يسبق لي أن دخلت فى علاقات عاطفية قبل الآن، وها أنا فى الجامعة فى جو المدينة الكبيرة حيث تتسع مساحة الحرية وتتوفر فرصة الاختلاط بالجنس الآخر ويبدو كل شيء بل الحياة كلها فى هذا المجتمع الجديد طبيعية. لكنني عائد وليس فى نفسى إلا أصداء لكلمات رقيقة ترن فى أذني وفى قلبي الخالي. وأشعر أننى فى حاجة إلى هذه العلاقة وأتمنى لها أن تنمو وتثمر الحب الذى يكسر كل الحواجز بين البشر، هذا الشعور جعلنى أستبطىء مرور الأيام وأتلهف على العودة للجامعة.

- بدأ الفصل الدراسي الثاني وبدأت معه متاعب جديدة فعاودني المرض، كان يعتريني من أسبوع إلى آخر فى شكل مغص كلوى شديد الألم، عاد يكدر حياتي ويعطلني، وبدأت تفوتني بعض المحاضرات، واضطر إلى أن أستعير كشاكيل زملائي لأنقل منها ما فاتنى. ولكنني وجدت فيها كثيرا من الأخطاء والفجوات، فضلا عن عدم التنظيم. لم أكن مهملا فى حياتي ولم أتعود التهاون فى الترتيب والتنظيم قبل ذلك، لم أكن كسولا ولا غبيا وكنت دائم التفوق فى سنوات دراستي حتى الثانوية العامة أخذتها نظام الثلاث سنوات وحصلت على مجموع عالي أهلني لدخول أي كلية. والآن أتعرض لأزمات صحية تعطل مسيرتى العلمية فكيف أواجه هذا الموقف؟.

كان حبى للمعرفة يدفعني دائما للبحث والتحصيل وكنت أتمتع بقدرة فائقة على الحفظ تتجلى فى إلقائي لقصائد طويلة من الشعر القديم والحديث، وكنت أتصور أن، مجيئي للجامعة سوف يمنحني أكبر فرصة لدخول مكتبة الجامعة وقراءة الكتب التي كنت أعجز عن شرائها لكنني أتعرض الآن لهجمات المغص اللعين وأضطر أن أذهب ألى مستشفى الجامعة مرة أو مرتين كل أسوع وتضيع منى الليالي فى صحبة الألم، الذى لا يعطيني أى فرصة للجلوس معتدلا على كتاب. كم حز فى نفسى الألم وبكيت حزنا على ضياع الوقت وضياع فرصة التفوق التي كنت أحلم بها. فما ذنبي أنا الآن. الأمر خارج عن إرادتي ولا يعيبني ان أستعين بزملائي أو زميلاتي خصوصا بعد أن أحسوا بمشكلتي التي لم أذكرها لأحد لكن لابد من إنقاذ ما يمكن أنقاذه. فلماذا لا أطلب منها الكشكول الذى اريده.

إنها مجتهدة وذكية ولابد ان تكون كتابتها خالية من الأخطاء. وفى اليوم التالي وقفت بعد نهاية المحاضرة الأولى فى الممر الذى يتوسط القسم وكان بينى وبينها خطوات وترددت قليلا قبل ان أطلب منها كشكول التاريخ، وهى المادة التي كان يدرسها لنا الدكتور عزالدين فريد بالإنجليزية وكانت تتناول التاريخ الإنجليزي، وهذه الدراسة كانت تقدم لنا الخلفية الضرورية التي تساعدنا فى فهم الأدب الإنجليزي. المهم أننى ترددت قليلا وأخيرا تشجعت ونطقت الكلمات: تسمحي تعطيني كشكول التاريخ أنقل منه محاضرة فاتتني؟ فالتفتت إلي وكأنها لا تصدق أن هذا الخجول يكلمها وقالت أنا؟! فابتسمت قائلا: نعم أنت. فمدت يدها الى حقيبتها وأخرجت الكشكول سريعا وكأنها كانت تنتظر هذه الفرصة لكى يجرى الحديث بيننا ومدت يدها بالكشكول وقالت إنقل منه أى محاضرة على مهلك ورجعه بعد يوم أو يومين مش مهم.

أخذت منها الكشكول وأنا ابتسم وأقول: شكرا يا سلوى لقد انقذتينى. وابتهجت بهذا الكلام وعلى وجهها إيتسامة عريضة وهى تقول لا شكر على واجب بس اطلب اى حاجة تانية وأنا مستعدة. وفى اليوم التالي رحت أقدمه لها فتظرت إليه دون أن تمد يدعا وهى تقول: بسرعة كده؟ وكتبت كل المحاضرات اللي فاتك؟ خليه عندك لما تكمل. ورددت عليها شكرا شكرا جزيلا. لقد سهرت معه الليل بطوله. كنت مندهشا لهذا الترتيب والنظام. كما أن جمال الخط ووضوحه ساعدني فى عملية النقل. بل إن إعجابي بخطك جعلني أحاول تقليده.

وليس لدى كلمات تكفى للتعبير عن شكري وامتناني لك لأنني كنت فى ورطة بعد أن اطلعت على كشاكيل بعض الزملاء ووجدت فيها متاهة، قلة الترتيب والتنظيم مع خطوط زى خرابيش القطط والآن اطمأن قلبي. إنني سوف أعتمد عليك فى حالة تغيبي بسبب المرض. ظهر عليها التأثر واحمر وجهها حياء. وهكذا أخذت ألجأ إليها كلما احتجت إلى ذلك وهى تسرع فى تلبية طلبي وتشجعني، وأيضا تتبادل الحديث معي حتى عرفت الكثير عن مشاكلي الصحية وأعربت عن إعجابها بصلابتي وقدرتي على تحدى

المرض طيلة السنوات السابقة وحصولي على التفوق فى الثانوية العامة ودخول هذا القسم وهو نوع آخر من التحدي.

وذات مرة رآها زميلي نسيم ابراهيم وأنا أرد لها أحد الكشاكيل فاقترب منى وجلس إلى جواري وكانت صداقتنا ناشئة فأخذ يداعبني ويقول: إيه الانسجام العظيم ده يا أبو مجلى؟ يظهر إنك معجب بسلوى لدرجة التفاعل معها؟ وضحكت ضحكة حقيقية وقلت: دى إنسانة فى غاية النبل والإحساس.. وسخر نسيم ابراهيم منى قائلا: يا حلاوتك ما هو باين على شكلها، وكان يقصد أنها ليست جميلة. وقطعت عليه الحديث وقلت". وده مش موضوع نناقشه الآن." ثم التفت نسيم ابراهيم نحوها ورأى فى يدها كتابا عن مسرحيات موليير وأشار أنه يريد أن يستعيره منها. فنظرت إليه فى سخرية لاذعة وقلت له هذه الكتب لا يمسها إلا الذين يقدرون قيمة ما تحويه، أما أنت فابحث لك عن كتاب آخر يناسب تفكيرك ويكون غلافه ملون وشكله جميل زى مجلة ميكي مثلا.

" معلهش يا ابو مجلى يا فهامة. أنا عارف إنك تفهم فيما وراء الطبيعة وفى لغة الأرواح والمعاني والأحاسيس الجوانية وكل ما يوحى بالحب لكن المهم أن تحضر لنا هذا الكتاب وبعد كده مع السلامة.

- المهم إنك تلعب فى غيرها لأن ده مش مجالك.

وهنا دخل الأستاذ وساد الصمت حتى نهاية المحاضرة. خرجنا من المدرج وعين نسيم مازالت تنتقل بيني وبين سلوى وهو يهمس ببضعة كلمات انت دائما تعمل مهم. معلهش بس تجيب الكتاب ده نشوفه.

مرت الأيام بعد ذلك فى هدوء لا يعكر صفوه شيء. كان كلما رحت أتحدث إليها كان هو يبتعد عنا، وكنت أتخذ ذلك مادة للسخرية والتندر عليه أحيانا وليس فى كل وقت. وكان هو يبرر هذا التصرف بأنه شيء توجبه الزمالة، وهو كصديق مخلص أو يأمل أن يكون كذلك يجب عليه ان يحترم مشاعر اصدقائه فى هذه المناسبات ويترك لنا الفرصة حتى يتيح لعلاقتنا فرصة أكبر للنمو. وهنا طرأت على خاطري فكرة ربما تجنبنا الحرج، فحتى تسلم سلوى من غيرة زميلتها التي تقف معنا أيضا فلابد أن اجد لهذه الزميلة من يشغلها. ولم يكن أمامي من هو أجدر من زميلي نسيم ابراهيم الذى أصبحت أمن جانبه. وأخذت أعرض عليه هذا وأشجعه على الوقوف إلى جانبنا حين أتحدث إلى سلوى لكى أهيء له فرصة التعارف مع زميلتها انطوانيت. ورغم أن زميلي كان يرغب فى هذا التعارف وكان يبيت النية أن يتقدم إليها إلا أن سلوكه ظل كما هو، ففي كل مرة ينوى أن يتقرب منها ويتحدث معها تخونه شجاعته فى حين ازدادت الألفة بيني وبين سلوى.

ظهرت نتيجة امتحان السنة الأولى ونقلنا إلى السنة الثانية. مرت الأجازة الصيفية ثقيلة متباطئة لم تخلو أيامها من تنفيص المغص. كل ذلك في انتظار دوري في العملية حتى بدأ العام الدراسي الجديد، وفي الكلية قابلت نسيم إبراهيم والتقينا بسلوى وزميلتها وسألتني عن النتيجة فطمأنتها .لم تكن الدراسة قد بدأت بعد في القسم فذهبت

الى مستشفى الطلبة استفسر عن موعد العملية فعلمت أن دخولي قد تقرر بعد أسبوع. فشعرت براحة كبيرة ونشوة غامرة، أخيرا سوف أتخلص من أسباب الألم والمغص واخذت أدندن بأغنية وأضحك على نفسى مما لفت نظر زميلي نسيم إبراهيم فسألني: مسوط وفرحان قوى كده بالعملية؟

فعلا، ومن ذا الذى يرى نهاية ألامه ولا يفرح أو يلمح بداية الشفاء ولا يُسر؟ لقد عانيت الأمرين من هذا المرض على مدى ست سنوات. كان المغص الكلوي يداهمني مرة أو مرتين كل أسبوع،

وكنت أقضى معظم أيامى همدان وتعبان من تأثير المسكنات من حقن وبرشام دون طائل، سنوات طويلة عشت فيها ضعيفا هزيلا يقتلني الاحساس بالعجز، والآن أفرح لأنى أرى نهاية هذا الضعف وهذا العجز.

قال: إنك حققت فى هذه السنوات مالم يقدر عليه كثير من الأصحاء، وهذا يؤكده مجموعك في الثانوية العامة ودخولك الجامعة، فكيف تعتبر نفسك عاجزا؟

- كنت أحس أننى أهلا لنجاح أكبر، وبالرغم من ذلك فإنني وقفت عاجزا أمام أمور كثيرة كانت تتوق لها نفسى. وكان المرض يعجزني عن إتيانها.

لكن العملية ليست سهلة ألا تخاف منها؟

- وأخاف من إيه؟ من الموت؟ إنني أموت كل يوم، والعملية لا تعنى الموت، فالموت يحدث فى كل الظروف وأنا لا أفكر فى الموت ولا أكره الحياه. كل ما يهمني هو أن أكون قادرا على خدمة نفسى وأعيش فى حالة عادية مثل كثير من الأصحاء.

وفى اليوم المحدد كنت فى مستشفى الطلبة بميدان الجيزة أرتدى بيجامة من الدمور مكتوب على صدرها في الجانب الأيسر: " مستشفى جامعة القاهرة " وقد ظن بعض الأصدقاء أن العملية سوف تتم يوم دخولي فحضروا معي نسيم إبراهيم وفرج يعقوب وناروز بسطا وقضوا اليوم كله في غرفة الاستقبال حتى تأكد لهم أن ذلك لن يتم قبل إجراء الفحوصات والتحاليل وكشوفات الأشعة وخلافه وهى إجراءات ضرورية قد تستغرق عدة أيام.

أخذت الأيام تمر دون أن تخلو من التفكير فى المصير المجهول. الحياة والموت والمستقبل وألم الغربة، والفقر الذى يعجز أخوتى عن الحضور والوقوف إلى جانبي في هذه اللحظات المصيرية. ورغم إيماني الشديد بالله فقد مرت بي لحظات سوداء غمرتني فيها أفكار أشد سوادا كنت أصل فيها إلى درجة الكفر والإلحاد. كنت أقارن بين سلوكي وسلوك بعض أندادي ممن منحهم الله الصحة والمال واوتو القدرة على الفساد والإفساد. وهنا أحس قسوة التجربة، التي وضعتني فيها الأقدار وما ضاع على بسبب ذلك من فرص، وأهم من ذلك ضياع المال خلال ست سنوات من الألم بينما أنا في أشد الحاجة إلى كل لحظة منها، وكل مليم أنفقته على المرض في أثناءها. كان هذا الشعور طبيعيا بالنسبة لشاب فقير مثلى من أبناء الطبقة الكادحة حينما يدركون أنفسهم ويدركون ظروفهم

وخاصة الطموحين منهم، هؤلاء الذين تتسع أفاقهم في حين تضيق ذات اليد عن تحقيق أمالهم، فيحاولون تفادى العقبات وتخطى الحواجز بالكد المضنى والسعي المتواصل ثم يرون الحظ السيء وهو يلاحقهم بشتى الصور، فينفد المال ويلتهمهم المرض فيحول نجاحهم إلى فشل وانتصارهم إلى هزيمة فيحسون القسوة والمرارة التي تبلغ ذروتها في لحظات التفكير الصامتة فينكرون حكمة الأقدار وعدالة السماء. وقد عبرت عن هذا الإحساس بهذه القصيدة التي تقول:

ربى وجدت مارقا هل لى لحبك أن أعود؟
مستنشقا زهر الربى متضوعا سحر الخلود
ربى جوارك منيتي هلا سمحت أن أعود؟
أبى وأمي أورثانى الجرم إن الإثم موروث أكيد
وخطيئة أفنيت عمرى عندها وبلا حدود
حينا أميل إلى اليمين وتارة عند اليسار ولا أحيد
فخطيئتي ثقلت وشلت قدرتي فغدوت من ربع الحياة طريد
وينام قلبي لكن عقلي ساهر يطحن خطايا الأمس
ويروم المزيد
ويصور الفحش لقلبي أنه كشف لدنيانا وللعلم الجديد
وتثور نفسى وتقشعر مشاعري
بئس إكتشاف رد أصلى إلى القرود.

وكم من مرة عدت إلى نفسى لكى ألومها على هذا التفكير، وألتمس لها الأعذار من حولي وهى بلا شك كثيرة. فمن يرى بلاوي الناس تهون عليه بلوته. طافت بي هذه الأفكار السوداْء مرات عديدة، وكل مرة كنت انتصر فيها على نفسى فأقنعها بعدالة السماء، ومن ثم سلمت من العقد ومركبات النقص فلم انقم على الحياة ولم أكرهها ولم احسد الأصحاء ولا الناجحين. فقد كنت ناجحا رغم كل شيء بل كنت أتألم دائما عندما أرى انسانا مجتهدا ومتفانيا في عمله ويلازمه سوء الحظ.

وقد ساعدني على الخروج من هذه المتاهة القاتمة، وجود أصدقاء كثيرون من حولي فلم يمر يوم دون أن أرى صديقا أو أكثر. كنت اشعر معهم بالسعادة والقوة تجرى في كياني. إذ كنت أحس بمشاركتهم لي في الآمى، ومن ثم كنت امزح معهم طيلة الوقت الذى يقضونه معي حتى أشعرهم بالطمأنينة، وبأنني على ما يرام وما هي إلا أيام فليلة وينتهى كل شيء فى سلام، هذه الروح المعنوية العالية كنت استمدها من التفافهم حولي ومشاركتهم المخلصة لي، ورأيت الإخلاص في اجلى معانيه في زميلي وصديقي نسيم

إبراهيم. رأيت التفاني والتضحية في أكمل صورة، وكثيرا ما سألت نفسى هل لو كنت مكانه هل كنت أفعل ما يفعله معي. وزاد ذلك من حبى للحياة والأحياء وجعلني أتساءل هل يمكن أن يعيش الإنسان بدون أصدقاء؟

وكم حسدت نفسى على هذه النعمة! كنت أراها غنية تملك الكثير من محبة الناس واهتمامهم. وهذه قوة فعالة لها فعل السحر وقوة المال. وهكذا عشت أيامى متفائلا أبدا أرى النور من خلال الظلمة، والقوة في أذيال الضعف. والانتصار في أعقاب الهزيمة. فلم يتمكن اليأس من الوصول ألى نفسى، رغم الصدمات المتوالية. أعود وأقول كان زميلي نسيم أبراهيم خير صديق لى، كان يذهب الى الكلية في الصباح ويعود الى سكنه لتناول غذاءه ودون ان يستريح يأتي لزيارتي في الرابعة بعد الظهر، وهو موعد الزيارة الرسمي. وكان ذلك يوميا بدون استثناء وفى يوم الجمعة كان يزورني مرتين صباحا ومساء في مواعيد الزيارة.

وكان يطلعني يوما بيوم على سير الدراسة، وعلى المحاضرات فلم أشعر أننى انقطعت عن الكلية يوما واحدا. إلى جانب ذلك كان يعمل أي شيء يرى أنه يدخل السرور إلى نفسى. وفى يوم جاء لزيارتي ورآني ارتدى قميصا قصيرا مفتوحا من الخلف استعدادا للدخول إلى العملية، واستقبلته بالتنكيت والضحك ورغم ذلك فقد شحب وجهه وانقبض وبدأ التأزم يظهر على وجهه واضحا حتى كادت الدموع تفر من عينيه. وهنا سمعت صوته المخنوق يقول لى " لازم تصلى قبل العملية" وأجبت سوف أفعل وعليك أن تطمئن فالأمر أبسط مما تتصور، وسوف تأتى غدا لتراني في أحسن حال، ورد قائلا سوف أذكرك الليلة فى صلاتي وادعو لك بالسلامة. وودعته بالضحك والهزار حتى يطمئن على حالتى المعنوية. ولم تتم العملية الجراحية في تلك الليلة وبدلا منها أجريت لى عملية منظار لتوسيع الحوالب حتى يسهل طرد الحصاوى دون جراحة. وفشلت هذه المحاولة.

وحدث ان أصابني صداع حاد من جراء حقنة البنج الموضعي. وأصبح من الصعب على الوقوف أو مغادرة السرير وتحريك رقبتي بل كنت أحس ان عيني اليسرى مزرورة ولا أستطيع أن أفتحها كاملة. كنت احس بصداع شديد ودوار يكاد يلقى بي على الأرض، وقد وقعت فعلا إلا أن الريس سيد أنقذني قبل أن أسقط على الأرض وحملني على يديه حتى أجلسني على السرير، فكم أنا مدين لهذا الرجل اليقظ الأمين رئيس التمريض في المستشفى؟ ومن ثم استسلمت للرقاد كارها لأكثر من عشرة أيام.

وكان نسيم ابراهيم يزورني ك45ل يوم في نفس الميعاد. وفى يوم دخل على وهو يبتسم فقلت " أهلا وسهلا. باين عليك مبسوط النهاردة؟ " فنظر إلى والإبتسامة تتسع على وجهه وأخذ يهز رأسه ويقول " تعرف أنا مبسوط ليه؟، لأنى أحمل لك أخبارا سارة " قلت له أخبار إيه كلمني." ورد على البنت إياها وسكت وكأنه يختبرني، فقلت أي بنت؟ فبدأ يفصح " لقد تأكد لى اليوم أنها تحبك وتحمل لك تقديرا كبيرا. لقد قابلتها اليوم صدفة وهى خارجة من باب القسم فقلت لها نسيم مريض في المستشفى ويطلب منك كشكول الدراما لأنه لا يثق إلا في كتاباتك." لم تكد تسمع كلمة مريض حتى دبت على صدرها

وتغير لون وجهها، وكأن شيئا صدمها، ثم بدأت تتساءل عن مرضك والكلمات تتعثر في فمها. وشعرت بخطورة الموقف فأخذت أطمأنها عليك حتى أفهمتها الموضوع، فدعت لك بالشفاء وعرضت أن تقوم هي بنقل المحاضرات لك بنفسها وقالت " لا داعى أن يجهد هو نفسه في الكتابة وأنا مستعدة أن اكتب له كل المحاضرات حتى يتم له الشفاْء." لكنى عرفتها بأنني سأكتب لك المحاضرات ولن أتركك تتعب فيها. فألحت على " لا داعى إن وقتك لا يتسع لذلك أما أنا فعندي متسعا من الوقت " ورفضت أنا مرة أخرى ولما رأت إصراري على ذلك وعدتني بإحضار الكشكول وأي كشكول تريده." سررت بهذا الكلام وأعربت عن شكري وتقديري لهذه المشاعر النبيلة. ثم بدأت أمزح مع صديقي نسيم فقلت " وهل أنا دعوتك إلى هذ؟" فقال " ولكنني تطوعت لأنى أعرف أن ذلك يسرك، وقد رأيتها أمامي فجأة فاندفعت نحوها دون تفكير وحدث ما قلته لك" فشكرته على محبته وعلى جهوده الكثيرة من أجلى ورجوته ان يبلغها شكري وتقديري.

في اليوم الثاني أقبل على وفى يده الكشكول المطلوب وقال، خذ هذا ومعه أجمل الأمنيات. أمسكت بالكشكول فقرأت إسمها وابتسمت ثم سألته "هل معك أخبار جديدة؟"

قال: ليست جديدة على أي حال ولكنها أخبار سارة، فقد سمعت زميلتها أنطوانيت أخبار مرضك فراحت ترفع يدها وتدعو لك بالشفاء العاجل. فشعرت بالخجل فكم أنا مدين لهما بالشكر والامتنان. إن مشاعرهما الرقيقة تفرض على الإنسان ان يحبهما ويعتز بصداقتهما.

قال نسيم "في الواقع إنها أخلاق كريمة، لكن انطوانيت تبدو أكثر رقة ولطفا من سلوى لأنها تنطلق ببساطة في التعبير عما تحس به، كما يبدو التأثر على وجهها واضحا اما سلوى فلا تخلو من مكر. فهي تتحفظ وتحاول في بعض الأحيان أن تخفى تأثرها فعندما رفعت أنطوانيت يدها وقالت يا رب اشفه بدون جراحة لم تزد ألأخرى على أن قالت" يارب."

فقلت كتر خيرهم، هذه مشاعر تستحق التقدير فليس لنا فضل على أحد، وانا مدين لك ولهما بالفضل الكبير، فقد أشعرتموني أننى لست وحدى ولست معزولا عن الناس. فبلغهما تحياتي وسلامى وشكري. وانتهى وقت الزيارة فغادرني وتركني أنعم بهذه المشاعر الجميلة الذى وفرها الخالق لمساندتي في هذه المحنة الكبيرة. وهل هناك أقسى من محنة الفقر والمرض؟!

مضت الأيام على هذه الحال حتى تمت الجراحة وتم إخراج خمسة عشر حصوة من الحالبين، ونسيم يزورني يوميا ويحضر لى كل ما أحتاج إليه، ويطلعني على سير الدراسة أولا بأول، ومن حين لآخر يحمل لي بعض الأخبار السارة والأمنيات الطيبة من سلوى وزميلتها أنطوانيت مما ضاعف من تقديري لهاتين الزميلتين وإعجابي بسلوى، لأنها بادرت وانفردت بأرسال كل الكشاكيل التي أحتاجها ولولاها لضاعت على نتيجة فصل كامل من الدراسة. لقد احتاجت حالتي الصحية البقاء حوالى أربعين يوما في المستشفى وحوالى إسبوعين للاستجمام في بلدي بجوار أهلي.

عدت للدراسة بعد هذه المدة لأستأنف المذاكرة مع نسيم حيث كنا نسكن معا من بداية الفصل الثاني في السنة الماضية، أما تعارفنا على بعض فقد حدث من الأسبوع الأول للدراسة، وأصبحنا نشكل ثنائي صعيدي بحراوي فأنا قادم من سمالوط محافظة المنيا وهو من إمليط مركز إيتاى البارود. وذات ليلة أخبرني أن القسم ينوى القيام برحلة للحوامدية على ظهر إحدى البواخر النيلية فوجدتها فرصة للترفيه بعد هذه الأوقات الصعبة التي مرت على فاتفقت معه على الاشتراك فيها، وعند لقائنا بسلوى وزميلتها هنأوني بالشفاء ودعوتهما لمشاركتنا في الرحلة، ورحبت انطوانيت بالفكرة لكن سلوى اعتذرت لضيق الوقت فعادت الأخرى واعتذرت أيضا، ووعدتنا سلوى بقبول مثل هذه الدعوة في فرصة أخرى.

في اليوم التالي وصلنا تلغراف من والد زميلي نسيم يخبره بأن خاله موريس صدمته سيارة وتوفى فأنفجر نسيم في البكاء وأصبح في حالة سيئة جدا، بل حالة انهيار لأن خاله هذا رغم صغر سنه كان هو صديقه الحميم الذى يصحبه ذهابا وإيابا إلى المدرسة كل يوم، وحاولت أنا وزميلي عبدالله عبادة الذى كنت أشاركه السكن. حاولنا أن نخفف عنه الصدمة وحالة الحزن التي كانت تسيطر عليه ونشجعه على ان يتماسك ويستعد معنا للامتحان الذى اقتربت أيامه. تعبنا معه أياما ولكنه كان مستسلما ويرى أنه لا فائدة من أي شيء فالحياة عبث. وأخذ يركن إلى النوم أغلب الأوقات. فكنت اقترب منه وأقرأ له دروس اللغة اللاتينية. فقد كنت أحب هذه المادة وأحصل فيها على درجة عالية وكان يرفض هذه المادة ويريد أن يهملها. المهم أننى نجحت شيئا فشيئا في تحريكه للاهتمام بالمذاكرة لأن الإمتحان اقتربت أيامه والنواح على الميت لن يفيده شيئا. وقد شجعته ودعاه عبدالله للبقاء معى حتى نهاية الامتحان. وكان عبدالله كريما ورحب بهذه الفكرة وكانت النتيجة مفرحة لنا جميعا.

والواقع أن عبد الله عبادة كان يتمتع بأخلاق راقية وروح إنسانية عالية مرحة ومحبة. وقد دعاني عبدا لله للسكن معه فتركت سكنى بميدان الروضة واستجبت لدعوته لأننى كنت انا وعبد الله عبادة زميلين بمدرسة سمالوط الثانوية. وكنا فى فصل واحد وكنا نعرف بعضنا على مدى سنوات الدراسة، كانت علاقتنا علاقة أصدقاء فاستجبت لدعوته حين عرفت أنه يعيش وحده أيضا. كانت الشقة عبارة عن حجرتين وصالة وحمام وكانت بالدور الثالث في عمارة جديدة طويلة ونحيفة تقف كالبرج على شاطئ الجيزة.

انتقلنا الى السنة الثالثة لنبدأ عاما مليئا بالمغامرات والمفاجآت والنشاط أيضا. إذ بدأنا محاولة ترجمة مسرحية AlL For Love لجون دريدن تحت اشراف الدكتور شوقي السكرى الذى كان يجلس معنا مرات كثيرة وللأسف لم تتم الترجمة. كذلك انشغلنا في مشاركة الدكتور شوقي في إدارة ندوة " ناجى" الأدبية التي تقام في ميدان الدقي في بيت الأستاذ محمد ناجى تكريما لذكرى أخيه الشاعر الراحل الدكتور إبراهيم ناجى، والتي كان يرأسها الدكتور شوقي. وقد سعدنا بدعوة كثيرين من الشعراء والكتاب البارزين في ذلك الوقت. وفى تلك الأيام حدث أن اشتريت مجلة روز اليوسف فوجدت فيها دعوة

عامة لزيارة معرض كاريكاتير فناني المجلة وعرضت الأمر على زميلي نسيم إبراهيم فرحب بفكرة الذهاب إلى فندق هيلتون حيث يوجد المعرض، والاحتفال الذى تقيمه إدارة المجلة بمناسبة مرور خمسة وثلاثين عاما على صدورها. وكانت ليلة نادرة في حياتنا لم ولن تتكرر، وقد وصفها نسيم إبراهيم في المقال التالي وعنوانه: -

9- عندما دخل الصعيدي هيلتون

كتب نسيم ابراهيم يقول:

اليوم الذى دخلنا فيه فندق هيلتون لمشاهدة معرض رسامي روز اليوسف، وكنا فد عقدنا العزم على حضور حفلة الافتتاح. وكانت ليلة امتلأ الفندق فيها بالفنانين والفنانات وبنجوم الأدب والصحافة وفئات أخرى من الشعب. وبين هؤلاء وأولئك رأيت الصعيدي انسانا آخر. لا تبهره الأضواء ولا تأخذه المناظر كأنه زائر معتاد من زوار فندق هيلتون الدائمين بل وكان له رأيه فى الناس والأشياء.

مر على رسومات المعرض وأعجب بها وهنأ أصحابها على القيام بهذه الأعمال ثم قدم لهم تعليقاته اللاذعة. قال للدكتور مصطفى محمود إن صورته تشبه فقهاء المصاطب. فضحك الدكتور مصطفى وقال إن العيب على الرسام رجائي. عندئذ نظر الصعيدي إلى الرسام رجائي وقال له " يظهر إنك خريج الأزهر" فضحك أيضا. هكذا قابل الصحفيين وكأنه يعرفهم وعاش معهم لحظات كواحد منهم وهو يحدثهم عن الصحافة وتطلعه إلى العمل بها لما يحسه فى نفسه من موهبة ومقدرة وعاش مع الفنانين فنانا صافح عبد الحليم حافظ وكمال الطويل وفاتن حمامة وصباح وتحدث معهم وكأنه يعرفهم من قبل حتى استطاع ببراعة أن يجذب صباح ويتحدث معها . ناقشها فى تقديم قصة للسينما. إنه يرى أن صباح هي الوجه الملائم كبطلة لقصته، وانتقلت به صباح إلى المخرج حسن رمزي وراح الثلاثة يناقشون الفكرة جديا ودعاه حسن رمزي لزيارته فى مكتبه. ثم تركهم وعاد يضحك. وحين سألت نسيم عن حقيقة القصة قال " بيني وبينك صباح هي آخر من يصلح لعمل قصتي"، وبعدها عاش بأحاسيسه كلها مع الموسيقى حتى آخر السهرة.

نشر زميلي نسيم ابراهيم هذا المقال فى العدد الأول من مجلة "الشعلة "مجلة قسم اللغة الإنجليزية، التي تولينا تحريرها معا بعد أن تركها الزملاء الذين تخرجوا وانقطعت علاقتهم بها. نشر نسيم هذا المقال وكان العدد الأول حافلا بكثير من المقالات والتعليقات المفيدة التي لقيت قبولا وترحيبا وظلت المجلة معلقة على الحائط مدة طويلة، رغم وجود قصة لكاتب شيوعي لا أتذكر إسمه الآن قدمها لنا أحد الزملاء من أصحاب الميول اليسارية وأظنه محمد بسبوس، ورأينا فيها صورة لمعاناة العمال الشديدة فى ظل النظام الرأسمالي، ولم يلتفت إليها الأمن مما جعلنا نطمع فى مزيد من الحرية، وقلنا هي مجلة حائط إن راحت أو جات. ومع ذلك فقد تمت مصادرة العدد الثاني لأسباب غير أمنية.

كان العدد يضم مقالا آخر للزميل نسيم ابراهيم يتهكم فيه على الزميلات الأرستوقراطيات ذوات الأثواب المتشابهة والحركات المتشابهة التي تتبدى فى طريقة سيرهن على شكل ثنائيات وثلاثيات لافتة للنظر ومثيرة للسخرية. وقد أثار هذا الكلام

غضب البعض منهن فذهبن يرفعن شكوتهن للدكتور عز الدين فريد عميد الكلية وعدن من عنده ينظرن إلينا شزرا ويقلن

THERE MUST BE RESPECT BETWEEN GENTLEMEN AND GENTLE LADIES.

فاعتذرنا لهن وقلنا على العين والراس، وذهبنا للعميد لنسترد المجلة فوجدنا تهما أخرى فى انتظارنا. فقد سرقت صورة الغلاف وكانت لطالبة بالسنة الأولى تجيد الفروسية، وكانت قد تم انتخابها ملكة جمال رأس البر فى الصيف السابق على دخولها الجامعة، واسمها جيهان مكاوي التي عملت مذيعة فى التليفزيون بعد تخرجها. وأوحت لها الزميلات المتذمرات منا بأن الصورة لم تسرق وأننى أخذتها لكى أنشرها فى مجلات وصحف قد تسئ لسمعتها وأقوال أخرى مما أدخل الخوف فى نفسها لكن العميد طمأنها من هذه الناحية. وقال لها إن نسيم مجلى لا يفعل هذا وهكذا برأنى العميد من التهمة لكنه رفض أن يعيد لنا المجلة وحفظها فى مكتبه. أما المشكلة الثالثة فقد حدثت بالصدفة، فأنا لم أكن ميالا للرسم ولم أجيده أبدا. هذه المرة قعدت أشخبط على ورقة فرسمت طالب ضخم الجثة سقط منه الكتاب على الأرض وهو جالس على كرسي ويده على خده وتحتها كتبت "يا ميت ندامة على اللي حب ولا طالشي"

أصابت هذه الكلمات زميلنا على جمال الدين دون قصد منى فحزن وغضب ،وأخذ يشكو أين الصداقة وأين شهامة الأصدقاء؟ وعرفنا أنه كان يمر بأزمة بعد أن تخلت عنه الحبيبة وكانت هى أيضا إحدى الزميلات بالقسم. هكذا تجمعت الصدف السيئة فى وقت واحد لتضعنا فى موقف لا نحسد عليه، وقد تألمنا لما حدث للزميلات والزملاء وقررنا التوقف عن تحرير المجلة.

قبيل الامتحان بأسبوعين ابتدأت أنظم وقتي وأعيد ترتيب محاضراتي خصوصا تلك التى فاتتني، واكتشفت فجأة أننى نسيت بعض محاضرات الشعر ووجدت صعوبة فى مراجعة مقرر الشعر بسبب ظروفي المرضية ونوبات المغص الكلوي التي كانت تباغتني بين يوم وآخر، ففاتني سماع الأستاذ وهو يقرأ هذه القصائد ويشرحها مما يساعدنا على تذوقها والاستمتاع بها، وافتقادي لهذه الفرصة خلق فجوة بيني وبين هذه المادة، لأن الشعر ليس محفوظات نرددها بدون فهم واحساس بل هي موسيقى وصور فنية تخاطب الروح والوجدان. ونتيجة لمعرفتى بهذه الحقيقة وقعت فى الحيرة فماذا افعل؟

تلفت حولي بمن أستعين وتذكرت أن صديقي نسم ابراهيم قد سافر ألى بلدته إمليط بمركز إيتاى البارود بحيرة ولن يعود إلا قبل الآمتحان بيوم أو يومين، تذكرت فى الوقت نفسه محاضرة فى الترجمة يوم الأربعاء فقررت أن أحضرها ربما أجد أحدا يساعدني، ولحسن الحظ وجدت سلوى حاضرة فقلت لها إننى أعرف أن الدراسة سوف تتوقف لمدة أسبوعين، وقد يصعب علينا اللقاء قبل هذا الوقت، فطمأنتني بأنها سوف تحضر فى الغد محاضرة اللغة العربية وسوف تحضر لى كشكول الشعر.

- ولكننا مش جايين الكلية فى الأسبوع المقبل!

فقالت سوف احضر فى الساعة التاسعة يوم الأحد ولا تشيلش هم.

أوفت سلوى بوعدها وجاءت ومعها كشكول الشعر، ووجدت أمامي ثلاثة أيام كاملة تكفى لنقل كل المحاضرات الناقصة عندي، ووجدت أيضا فى كشكولها شروحا إضافية ربما نقلتها عن أبيها مفتش أول اللغة الإنجليزية بوزارة التربية والتعليم والذى يقوم بتدريس بعض المحاضرات فى جامعة عين شمس. المهم أننى فرحت بهذا الشرح فرحة لا توصف لأنه أضاء لى بعض المقطوعات الشعرية التي غمض على معناها. وكان هذا شيئا مهما بالنسبة لى لأن لي بعض المحاولات فى كتابة الشعر العربي وأظن أن دراستي للشعر الإنجليزي سوف تفيدني فى اكتشاف طريقي وتؤهلني للنجاح مستقبلا.

وفى صباح الأحد ذهبت إلى الكلية وجلست على البوفيه فى انتظار حضورها لكى أعيد لها الكشكول. وكانت الساعة التاسعة لكن سلوى مرت دون أن تراني ولم أستطع أن أناديها حتى لا أسبب لها حرجا وانتظرت حتى أفرغ من شرب فنجان القهوة ثم نهضت وأخذت أبحث عنها فى داخل القسم فلم أجدها لكن بعض الزملاء أخبروني أنها كانت تسأل عنى. أخذتني الحيرة وأخذت أسأل نفسى، ربما خرجت من الباب الخلفي دون أن أراها وتعرف أننى حضرت لكى أعيد لها الكشكول. تعبت من السير جيئة وذهابا فى ممرات القسم وممرات الكلية فعدت للجلوس على البوفيه ظنا منى أنها ربما تعود لأنه إذا لم تتسلم منى الكشكول اليوم فلن أجد فرصة أخرى للقائها قبل الإمتحان. أجهدني التفكير فى الأمر، ماذا تقول عنى؟ وما ذنبي فى هذا المأزق؟ لقد تعودت الصدق واحترام مواعيدي مع الناس جميعا، وهذه الزميلة التي ترفقت بي وقدمت لى العون فى أحرج الأوقات، ماذا تقول الآن عنى الآن؟ كيف تتآمر على الظروف وتضعني فى هذا الموقف المخزي؟ هي لا يمكنها أن تستغنى عن هذا الكشكول الأن فماذا أفعل لأخرج من هذه الورطة؟

هل أذهب إلى منزلهم وأسلمها الكشكول؟ إنني أعرف المنزل فى شارع المنيل وأعرف البلكونة التى كانت تطل منها فى الدور الثالث، وقد رأيتها مرات عديدة أثناء مرورى أمام العمارة وأنا قادم من ميدان الروضة حيث كنت أسكن فى سنة اولى، وكيف يكون رد فعلها إذا فوجئت بوجودي على باب بيتهم؟ وكيف يكون موقف أبيها أو أمها إذا رأتها تتكلم معي على الباب؟ أنا أعرف إن أباها وأمها بلغا درجة عالية من الثقافة لكن هل يكفى هذا لتغيير الطبع الصعيدي المحافظ؟ هل بلغ إيمانهم بالتمدن والاختلاط أن يسمحوا لإبنتهم أن تستقبل زميلا لها حتى ولو على باب الشقة؟ لكن السؤال الأهم هل أجرؤ انا فعلا على الذهاب إلى منزلها إذا حكمت الضرورة؟

بعد أن سألت نفسى هذا السؤال أحسست بالرهبة والخجل وبدأت شجاعتي تخونني. فأنا أخشى أن أسئ إليها من حيث لا أقصد. لقد أحسنت إلى ومدت لى يد العون فهل يكون رد الجميل هكذا. دارت فى رأسى هذه الأفكار والهواجس حتى كادت تصرعني. فكرت فى أن أذهب وأترك الكشكول عند بواب العمارة لتوصيله وسرعان ما تراجعت لأن ذلك

سوف يحدث نفس الأثر ولن يجنبها الإحراج، وقد يضيع الكشكول من البواب وتكون الطامة الكبرى التي لا حل لها. وهنا شعرت بالتعب الشديد فقررت أن أجلس تحت شجرة حتى أستريح وأسترد أنفاسي المرهقة.

سندت جنبي على الحشائش الخضراء الباردة التي بدأت ترطب جسمي وتمتص حرارته ثم وضعت رأسى على الأرضية الباردة وسرحت مع هذه الأحاسيس اللذيذة وأغمضت عيني ورحت فى غفوة لا أعرف مداها. افقت بعدها وأنا أشعر بالراحة والهدوء وأخذت أفكر من جديد واهتديت ألى حل غريب هو أن أحضر إلى الكلية يوميا حتى أراها وأسلمها الكشكول وأشرح لها الأمر حتى لا تسيء الظن بى.

حينئذ دقت ساعة الجامعة تعلن الثانية والنصف، فتذكرت موعد الطبيب ولابد أن أسرع حتى لا يفوتني الوقت فأمسكت بالكشكول فى يدى ونهضت من مكاني مسرعا ومشيت فى شارع الجامعة ثم انحدرت إلى أحد الِشوارع الجانبية متجها الى شارع يافع بن زيد حيث توجد العيادة الخارجية. وفى نهاية الشارع لمحت فتاة ترتدى ثوبا أبيض تسير بجوار رجل متوسط الطول يرتدى جاكتة بيضاء وبنطلونا رماديا فأخذت أحث الخطى نحوهما. آه لو تطلع هي؟ دخلت الفتاة وأبوها من الباب الخارجي للعيادة وكانت المسافة بينى وبينهما مسافة قصيرة لا تزيد عن عشرين مترا. وعند دخولي من باب العيادة وجدتها واقفة أمام مكتب الاستقبال فنظرت إليها وابتسمت وأسرعت نحوها وقدمت الكشكول وشكرتها وأخبرتها أننى كنت أبحث عنها فى الكلية منذ الصباح حتى هذه اللحظة فأمسكت بالكشكول فى هدوء وهى تبتسم ابتسامة رقيقة وقالت" معلهش جرى خير."

يالها من صدفة عجيبة أنقذتني من طوفان الأفكار التي كانت تتقاذفني فشعرت بالاسترخاء واندفعت إلى أقرب كرسي وجلست عليه، بعد أن عاد إلى الإطمئنان خصوصا حين تأكدت أن الطبيب لم يصل بعد، فقررت الانتظار. جلست هي وأبوها فى الصالون وجاءت جلستهما مواجهة لفتحة الباب الواسع، فأخذت أختلس النظر إليهما من وقت إلى آخر ورأيت والدها يداعبها فى رقة بالغة وهى تضحك فى دلال فخفق قلبي بقوة وتمنيت أن أشاركهما هذه السعادة. وهنا نودى على اسمى للدخول الى الطبيب الذى قرر لى إجراء جراحة لاخراج حصوة موجودة بالحالب.

عاد نسيم ابراهيم من بلده وبدأنا نستعد لامتحان الفصل الثاني، فلفتت نظره المحاضرات التى نقلتها من كشكول سلوى وما فيها من شروح إضافية فانكب عليها يتفحصها بشغف شديد وبشعور غامر بالفرح، كأنه وجد كنزا جعله يشيد ويثنى على هذا الجهد الرائع ويشكرني على أنى وفرت عليه مجهودا كبيرا كان يحتاجه لفهم هذه الموضوعات. وأثار هذا الكلام انتباه صديقنا عبدالله عبادة الذى كنت أشاركه السكن وقتها وكان يدرس فى قسم الاجتماع فأخذ هو الآخر يعلق بطريقته الخاصة:

- لكن إزاي ده يحصل؟ تعطيك الكشكول فى هذا الوقت الحرج وهى مطمئنة، فهل وصلت التضحية لهذه الدرجة؟ شيء غريب ومدهش!

- لكن هذا ما حدث يا عبد الله. هكذا رددت عليه.
- وانتهز نسيم ابراهيم الفرصة وقال ساخرا: مش غريب ولا حاجة اصل المحروسة تحفة.
- رد عبد الله أنأ لازم أشوفها انا حاسس إن ابو ابراهيم متحامل عليها.
- فقلت غدا بأذن الله سنراها معا ونترك لك الحكم والرد على هذا الولد المتعجرف فضحك نسيم ابراهيم وقال ربنا يكون فى عونك ياسى عبدالله

اطمئن يا عبد الله صاحبنا هذا أفكاره مشوشة ومتطرفة أحيانا وسوف ترى، وضحكت وضحك عبدالله ونسيم وعدنا الى قراءة المحاضرات والاستعداد للامتحان بعد أيام، والحمدلله قد مر كل شيء بسلام وانصرفنا لقضاء الأجازة الصيفية كل ذهب إلى بلده.

هكذا كان رأى نسيم دائما وهو رأى غير ناضج لأنه يحكم على المظهر. وقد عرضه هذا لبعض الصدمات. فقد تقدم لزميلتها انطوانيت لأنها كانت بيضاء الوجه فاعتذرت عن فكرة الزواج، ثم تعلق بزميلة أخرى فاعتذرت أيضا وقبل ان يصل لهذه النهاية اكتشف أنها لعوب ومتعلقة بزميل آخر غير مسيحي يسكن بالقرب منها ويزورها في سكنها أحيانا، وهى مغتربة وليس معها أحد من العائلة ألا اختها التي تدرس بأحد المعاهد المتوسطة. والمضحك أن نسيم انتهى في النهاية وتزوج بفتاة صعيدية ليست بيضاء وعاش في وفاق وسلام.

ظهرت نتيجة الامتحان وفرحت بانتقالنا إلى السنة الرابعة، وانتهزت فرصة الأجازة الصيفية وذهبت إلى مستشفى الطلبة وتمت العملية الثانية في شهر أغسطس 1959.وبعد أسبوعين خرجت من المستشفى. لم يزرني من الأصدقاء غير قلة من المقيمين بالجيزة او القاهرة. لكنى استبشرت خيرا بالعملية وتصورت أن الألم قد فارقني الى الأبد ولكن هيهات. فهي مهلة قصيرة وسوف يعاودني في النصف الثاني من السنة الرابعة حيث تقرر لى عملية ثالثة وقد تمت بعد تخرجي سنة 1962 وكنت أعمل مدرسا بمدرسة بيلا الثانوية بكفر الشيخ. لكن مسلسل العمليات لم يتوقف. فالعملية كان لها توابع. هكذا ومن توابع هذه العملية حصوة صغيرة بقيت في الحالب الأيمن وبعد عدة سنوات سدت-الحالب فجأة مما تسبب في فشل الكلى اليمنى، وقد تم استئصالها في مستشفى كليفلاند أثناء زيارة قمت بها للدكتور أيمن إبنى الذى كان في السنة ألنهائية للتدريب بهذا المستشفى المشهور.

10-كابوس الذبحة ومبتدأ الأوجاع

وقبل ذلك بسنوات أي في سنة 2000 زارني كابوس الذبحة الصدرية ذات ليلة عند الفجر، ولحسن الحظ كان بجواري في المنزل ممدوح الجراح بالقصر العيني الفر نساوى وأخوه الدكتور أيمن الطبيب بمستشفى السلام بالمهندسين، فقاما بنقلي ألى قسم الدكتور شريف مختار للحالات الحرجة بالقصر العيني القديم.

وهناك وجدت كتيبة من شباب الأطباء تتحرك بسرعة فائقة لإنقاذي ومعهم ممدوح وأيمن. عرفت أسماءهم فيما بعد، أحمد بطاح ومحمد شحاتة وأيمن محرم وهيئة تمريض نشطة يتحرك كل أفرادها بذكاء وحماس، يسابقون الزمن حتى يتمكنوا من إزالة الجلطة بأسرع ما يمكن وقد كلل الله جهودهم بالنجاح. فبعد ساعات قليلة بدأت الأزمة تنفرج وظهر الارتياح على هذه الوجوه النضرة التي أعطتني الأمل والثقة في مستقبل الطب في مصر.

حدثت الجلطة بسبب ضيق في الشرايين التاجية، هذا ما أكدته فحوصات القسطرة وتشخيص الدكتور محمد شرف أخصائي أمراض القلب والأوعية الدموية الذى قرر أن التدخل الجراحي لاستبدال أربع شرايين صار أمرا لا مفر منه. وهذه هي المفاجأة الخطيرة في حياتي فأنا لا أدخن ولا اتعاطى أي مكيفات سوى الشاي، وكثير الحركة والسير على أقدامي طول اليوم كما أننى لا أعانى من السمنة أو الترهل فكيف سدت الشرايين؟ والعجيب الذى أشار إليه الجراح في هذه العملية، وفى المرة الثانية بفلوريدا أن صورة الرئتين يغطيها السواد فيتصورون أنى من المدخنين، وهذا لم يحدث أبدا، وقد ترك هذا السلوك أثرا إيجابيا على أولادي الثلاثة فابتعدوا عن التدخين. وبالنسبة لي الآن فالراحة أصبحت حتمية ولا بديل عنها فكيف أقدم عليها وسنى ستون عاما؟

كان بجانبي دائما ممدوح وأيمن الذى أخذ أجازة من عمله ليتفرغ لرعايتي واستطاعا اقناعى بضرورة العملية لإنها تجرى الآن وبنجاح كبير في مصر. وقد حدثني ممدوح عن أسماء عدد من الجراحين الذين يقومون بإجراء هذه العملية الآن ومنهم أستاذه الدكتور طارق حلمى الذى ضمه ألى فريق مساعديه، فشخصية الدكتور طارق حلمى تتسم بروح المودة والإخلاص في تعامله مع مرضاه، أضف إلى ذلك أنه يجرى عملية فتح القلب بأسلوب جديد يستغنى فيه عن ماكينة القلب الصناعي.

وهذا الأسلوب الجديد يحول هذه الجراحة الكبيرة إلى عملية عادية مثل بقية الجراحات ويؤدى إلى سرعة الإفاقة وتقصير مدة البقاء في العناية المركزة، وتبعا لذلك قصر مدة الإقامة بالمستشفى وتفادى المضاعفات الناتجة عن استعمال ماكينة القب الصناعي ذات التأثير الضار على الرئتين والكلى والدم، وكذلك توفير في كميات الدم ومشتقاته ومستهلكات القلب الصناعي. وهذه العملية باتت تجرى الآن بكثافة عالية في

مصر لتغيير أربعة أو خمسة شرايين في وقت واحد، وهذا هو الجديد في جراحة الشرايين على مستوى العالم. واستعدادا لهذا الأمر كتبت هذه الوصية:

اليوم 30 اكتوبر 2000 بمستشفى قصر العيني الفرنساوى

يوم مشرق فى حياتي. الصباح جميل والجو هادى والنيل أمامي تحيط به الطرق المزدحمة بالسيارات. هذا عيد ميلاد ابنى ايمن حبيبي. وهو يوم أتوقع فيه ميلاداً جديداً لى. إن هذه العملية أصبحت ضرورية ولا بديل عنها ... وأتمنى أن ترد لي صحتي كاملة لكى أكون إلى جوار أيمن وارين وممدوح فى كفاحهم من أجل مستقبل أفضل. أنا لا أطمح فى عمر طويل. ولكنني كنت اطمح أن أساندهم حتى يتخطوا العقبات التي تصادفهم الآن وتستقر أوضاعهم. كما أننى كأب أتمنى أن أقف إلى جوار ايرين فى يوم زفافها على إيهاب مهني واتمنى لهما زواجا سعيدا. كنت اتمنى ان أرى ممدوح وقد حقق كل طموحاته واهتدى إلى عروسة تسعده وتشاركه اهتماماته وطموحه.

أما أيمن فأنا ادعو له أن يجمع الله بينه وبين نانسي فى فرح وبهجة وفى أسعد حال . أما نبيل حبيب قلبي فأنا مشتاق إلى رؤيته، وهو الآن في نيوجيرسي مع زوجته كارمن فأدعو لهما بالنجاح وبالذرية الصالحة.

أما أم نبيل التي شاركتني الكفاح ومتاعب الحياة فهي الوحيدة التي أشعر بأنني لم أعطها كما أعطت لي وللأولاد من حب وتفانى بالليل والنهار. ولا أملك إلا أن أدعو الله أن يشفى أمراضها، ويعطيها قوة على قوة ونعمة وثقة فى المستقبل حتى تنتعش روحيا وتتمتع برؤية نبيل وممدوح وايمن وايرين وهم فى قمة المجد والسعادة.

لقد عشت طويلاً والحمد لله. كانت حياتي كفاح شاق ومضنى لكنها لم تذهب هباء وان كنت قد عجزت عن تحقيق أشياء كثيرة ومطالب كثيرة للأولاد إلا أننى بذلت أقصى ما يمكنني لكى أفعل ذلك. وكما يقول الشاعر:

على المرء أن يسعى فى الحياة جهده وليس عليه أن تتم المطالب.

لأن تحقيق المطالب مرهون بمشيئة الله والحمد لله. إننى أقيس نجاحي بما تحقق لكم أنتم يا أولادي. فأنتم المصدر الأول والأعظم للسعادة في حياتي، وكان فرحى بكم يزودني بأكبر طاقة للعمل والكفاح، ومن ثم فأنا لست نادما على شيء، ولا أريد كم أن تحزنوا أو تصدموا بل أن تأخذوا أموركم بأيديكم وتتحركوا فى سباق مع الزمن حتى لا تضيع منكم أي فرصة للعطاء والنجاح. هذا هو أملى وهذه هي وصيتي فأنتم زخري وانتم بركتي التي نعمت بها طيلة هذه السنين، وأنتم اكبر هدية للوطن وللإنسانية وسوف تكون أعمالكم بخوراً صاعداً وتمجيداً للعناية الإلهية التي اعطتني هذه الهبة ...وأنا مطمئن وثقتي فيكم كبيرة.

فإذا حدث شيء عكس ما نتوقع من العملية فهذا قضاء الله وعليكم أن تتماسكوا وألا تضطرب قلوبكم وتذكروا قول داود النبي لإبنه سليمان " أنا ذاهب في طريق الأرض كلها. فتشدد وكن رجلا "

وقد اتفقت مع القسيس نبيل والشيخ فيكتور بارك الله فيهما على تدبير مدفنة من المدافن الجاهزة عندهم لأدفن فيها، على أن تتم الصلاة فى كنيسة مراد بالجيزة أو أى كنيسة قريبة كالقديسة دميانة بالهرم حتى ينتهى كل شيء سريعاً وتنتهى معه المعاناة والأحزان لتبدأوا حياتكم من جديد.. استعداداً لاستقبال الأفراح وليكن فرح ايرين فى موعده المحدد دون تأخير. ولن أوصيكم بأمكم فحبكم لها معروف ومؤكد واعلموا أنها تحملت القدر الأكبر فى تعليمكم وفى السهر على رعايتكم وتغذيتكم وعليكم أن تحملوا لها هذا الجميل وتقدروه عن طريق الرعاية والكلمة اللينة الهادئة حتى تساعدوها على التغلب على أمراض السكر والضغط.

ولأنني لم أتمكن فى حياتي من تحقيق وعودي لها بتوفير الراحة والاهتمام الكافى بسبب مشاغل العمل ليل ونهارلكى أوفر لكم مستوى لائق من الحياة. فعليكم توفير ما عجزت أنا عنه. وسامحوني فيما سببت لكم من متاعب وما قصرت فى تحقيقه لكم جميعاً والسلام.

نفس العملية أجريت لي للمرة الثانية في 2016 بمستشفى Advent- Health بديتونا بيتش بفلوريدا بعد أن تجاوزت الثمانين على يد جراح كبير هو الدكتور هولتس حيث يعمل ابنى أيمن طبيبا للتخدير بالمستشفى، والفضل فى إنقاذى هذه المرة يرجع إلى طبيب عبقرى شديد الإخلاص هو الدكتورأشرف الصقر أخصائ أمراض القلب والأوعية الدموية بالبمستشفى الذى اكتشف فجأة صعوبة حالتى وقام فى اليوم التالى بعمل الكاسترة تمهيدا لإجراء العملية. وأخيرا أجريت لي عملية بالعمود الفقري فى عام 2022 على يد جراح نابغة شاب تجاوز الثلاثين بعام واحد هو الدكتور وسام الفلال. واكتفى بهذا من دفتر الآلام والأحزان لأنه طويل والقائمة تضم أكثر من عشرة عمليات، والشكر موصول للأطباء وللتقدم المستمر في طرق الفحص والتشخيص والعلاج.

مع ذلك فأنى أدعو أولادي الأحباء لقراءة هذه القصة جيدا والحفاظ عليها ... تأملوها جيدا كيف احتمل أبوكم كل هذه الآلام وعاش تلك الأيام. أما أحلام الحب فكانت ومضات عابرة تخفف مثل المسكنات بعض ألام الغربة والعجز، ولكنها لم تنمو وتتطور نحو النهاية الطبيعية لأن الفقر قادر على تدمير أي حلم جميل. مع ذلك فإني أقول الحمد لله والشكر له على كل ما عانيت من متاعب وكل ما جنيت من نعم حتى الآن.

وأخيرا شكرا لله الذى هيأ لي كل هذه الفرص وأطال عمرى حتى هذه الساعة، لكى أحكى هذه القصة بما فيها من لحظات فرح وسنوات آلام، وأشكره بصفة خاصة أننى ما زلت أحتفظ بذاكرة قوية وعقل سليم حتى الآن وأنا أقترب من التسعين. وهذا الكلام أكتبه لكى يقرأه أبنائي وأحفادي الغاليين الذين أحبهم وأفخر بتفوقهم العلمي ومواهبهم الفنية قى الموسيقى وفى الأنشطة الرياضية، لكى يعرفوا كيف عاش جدهم

يلاطم أمواج الهموم ويحارب الجهل والفقر والمرض في وقت واحد. وأن يدركوا أننى كنت ومازلت أؤمن بأن لى رسالة تقوم على أساس أن الكتابة شهادة على العصر والناس وينبغي أن تكون شهادة صادقة لا تبتغى غير رضاء الخالق وحده فلا تنافق أصحاب السلطة ولا الأغنياء.

وأمامي الان جراحة أخرى بعد أسبوعين من الآن لاستئصال المرارة.

أما عن المتاعب والآلام فلنا أن نتعظ بتجارب الآخرين، فيما يقوله الشاعر العراقي الكبير بدر شاكر السياب، الذى دمره مرض السرطان. استمع الى مناجاته في قصيدة سفر أيوب حيث يقول:

لك الحمد مهما استطال البلاء ومهما استبد الألم
لك الحمد إن الرزايا عطاء وأن المصيبات بعض النعم
ألم تعطني أنت هذا الظلام وأعطيتني هذا السحر؟
فهل تشكر الأرض قطر المطر وتغضب إن لم يجدها الغمام؟
شهور طوال وهذى الجراح تمزق جنبي مثل المدى
لكن أيوب إن صاح صباح لك الحمد إن الرزايا ندى
وأن الجراح هدايا الحبيب أضم إلى الصدر باقاتها.

=++++

أعود لأتابع هذه السيرة فأقول كانت السنة الرابعة أكثر سنوات الدراسة قسوة بالنسبة لى حيث تقلصت المبالغ المرسلة لى من أخوتى بل وتوقفت في الفترة الأخيرة تماما، ووجدت نفسى مضطرا للبحث عن عمل يساعدني على إعالة نفسى حتى أكمل امتحان الليسانس وأخذت أسأل بعض الأساتذة عن مساعدتي بتوصية لمؤسسة أو لرجل أعمال يمنحني فرصة للعمل عنده، وكان من الذين اتجهت إليهم الدكتور مجدى وهبة حفيد يوسف وهبة باشا. وكان معروفا باهتمامه بالشباب وسمعت أنه ساعد الكثيرين ومكن بعضهم من وظائف في مكتبة القسم وفى أماكن أخرى بالجامعة وبالصدفة وجدته أمامي على بعد خطوات فاتجهت إليه. وكان يعرفني جيدا بحكم ترددي عليه خلال فترة تحريرنا لمجلة الشعلة بقسم اللغة الإنجليزية. وكان يراجع ما ننشره فيها باعتباره المشرف المسئول عن ذلك، وبعد قليل من التردد قلت له أنا محتاج جدا للحصول على عمل الآن وبعد نقاش قصير مد يده في جيبه وأعطاني عشرة جنيهات ووعدني بالتفكير في مسألة العمل.

أنقذني هذا المبلغ ومكنني من تدبير أمورى حتى انتهيت من امتحان الليسانس. والواقع أن الإفلاس أضطرنى أنا وزميلي نسيم ابراهيم للتهرب من دفع أجرة الشقة على مدى ثلاثة شهور، وكان صاحب البيت فلاحا طيبا ونبيلا احس بظروفنا فلم يطالبنا بالدفع حتى آخر يوم ونحن نسلمه المفتاح بل دعانا لتناول الشاي عنده، لكننا شكرناه على وعد منا بالعودة لدفع التسعة جنيهات المتأخرة، ولكن ذلك لم يحدث. لأن كل واحد منا اشتغل في بلد بعيدة عن القاهرة إضاقة إلى مشاغل الحياة التي كانت تنسينا أشياء كثيرة.

كان نسيم ابراهيم أفضل حالا منى ماديا لأن والده كان على قيد الحياة، وكان يشجعه بفرح ومحبة باعتباره ابنه الأكبرالذى يريد أن يفرح به في حياته. بعكس حالتي أنا فقد مات أبى وعمرى ثلاث سنوات، وتحكم في أمورنا أخ أكبر طايش وعنيد أدخلنا في نزاعات مع معظم أهل القرية مما بدد جهودنا وامكانياتنا المادية المحدودة، ولأنه فشل في التعليم فقد فرض علينا عدم الذهاب للمدرسة، وكنا ثماني أفراد أربعة بنات وأربعة أولاد أنا أصغرهم جميعا. نجح في هذا الحصار مع أخوتى حتى جاء الدور على حيث حاول تعطيلي مرات كثيرة، ولكنى تمردت ولم استسلم ومن هنا بدأت العداوة، فهو ينتهز كل فرصة ليضع أمامي العراقيل حتى حصلت على الليسانس وعينت في بلد بعيدة ولكنه لم يهدأ، رغم أنه كان اول المستفيدين منى ومن عملي، إذ كنت أرسل الجزء الأكبر من راتبي الشهري لأخي الأصغر منه والذى كان يحمل هموم الأسرة كلها وخصوصا لأن أمي كانت معهم وكانت توصيني خيرا بهذا الأخ الشرير. ورغم أن له ستة أطفال يعيشون في قلب الأسرة ويتمتعون بكل ما يصل إلى البيت منى إلا أن كراهيته وحقده على لم يتوقف. وقد اكتشفت في النهاية نتيجة لبعض الشواهد أنه مريض نفسيا ولديه عقدة من نجاحي فى التعليم ويسعى إلى تدميري.

أما زمالتي لنسيم إبراهيم فقد بدأت حين التقيته صدفة على بوفيه كلية الآداب، وأخبرني أنه من البحيرة من إيتاى البارود فرحبت به وعرفته بنفسي، فقال أنه كان يرغب فى دخول قسم اللغة الإنجليزية لكن كتبوا اسمه فى قسم إجتماع واعترض لكن الأستاذ راضي الموظف بشئون الطلبة رفض أن ينقله إلى قسم اللغة الإنجليزية. وهو حيران ومش عارف يروح لمين. فقلت له بسيطة تيجى معايا تكتب ورقة للدكتور رشاد رشدي رئيس القسم وتنهى مشكلتك. وهذا ما كان ومن ذلك اليوم صرنا أصدقاء وشركاء فى السكن حتى تخرجنا معا فى سنة 1960، وتم تعيننا مدرسين فى وزارة التربية والتعليم.

كانت رغبتي أن أعين في المنيا وطلب هو التعيين في البحيرة ، لكن حدث خطأ فعينت أنا فى كفر الشيخ بجوار البحيرة وعين هو في المنيا يعنى جعلوا البحراوي فى المنيا والمنياوي فى كفر الشيخ فى وجه بحرى ورفضوا في الوزارة تصحيح هذا الخطأ وقالوا يمكنكم بعد تسلم أعمالكم تعملوا بدل لكنه بعد أن ذهب إلى المنيا ورأى جمال المدينة رفض أن يبادلني. ومع ذلك استمرت صداقتنا نتقابل فى الإجازات لسنوات طويلة حتى انتقلنا الى الجيزة واصبحنا تلتقى باستمرار خصوصا بعد أن بدأت أجرب حظى فى

الترجمة وكتابة المقالات الأدبية ، وأخذ هو يجاهد كى يسير فى نفس الطريق فنشر عدة مقالات فى مجلة المسرح، وترجم كتابا فى النقد وكتب مسرحية وطنية عن كفاح المصريين ضد الهكسوس.

والتحقت انا بالدراسات العليا بمعهد الفنون المسرحية وتقدم هو فى العام التالي ونجح، واكملنا دراستنا وحصلنا على الدبلوم ولم نستمر حيث تعاقدنا على العمل فى ليبيا، حيث قضيت بها ست سنوات جميلة، وقضى هو عشر سنوات ثم جاء ولم يكد يهنأ بالشقة الجديدة التى اشتراها على شاطئ النيل بالجيزة حتى أصيب بورم خبيث فى المخ أجريت له عملية فى معهد ناصر، لكنه توفى في الثاني من اكتوبر 1994 وكان هذا اليوم من أسود أيام حياتى.

هوامش:

- كتبت هذه القصة والكثير من أحداثها التي مضى عليها أكثر من نصف قرن نقلا من مذكرات سجلتها في تلك الأيام واحتفظت بها حتى الآن إضافة إلى ما تحفظه الذاكرة ويضيفه الخيال القصصي للكاتب.

11- الأمل المنشود والأمل المفقود:

بدأت الإمتحانات الشفوية قبل الإمتحانات التحريرية بأسبوعين. وأثناء ذلك فوجئت بالشيخ محمد عبد الصمد مأذون البلد، يزورني ويطلب منى السفر معه الى العوايسة وقال، انتخابات العمدية ستتم بعد أيام ونحن نحتاج لوجودك معنا لأن الناخبين يثقون بك ويحترمونك. فأجلت امتحان إحدى المواد وعدت معه فعلا وكان دافعي الأول أن أحاول ضبط تصرفات ناشد خوفا من تهوره حتى تتم الانتخابات في جو سلام وهدوء، ونجنب أنفسنا والقرية كلها شرور الصدامات العنيفة خصوصا وأن التنافس اشتد فى المرحلة الأخيرة، وبدأت تخرج محاولات التهديد من هنا وهناك.

وقد بذلت جهدي على مدى يومين كاملين فى زيارة أهلنا ودعوتهم لانتخاب الحاج عبد الصمد والد المأذون. كان هو المرشح المنافس لفوزي أفندي العوايسى أخو العمدة الذى توفى قبل ذلك بسنوات قيلة. ورغم أن الحاج عبد الصمد كان قد أشرف على السبعين إلا أن النعرة العصبية حركت العائلة كلها وعلى رأسها الشيخ محمد حسن العوايسى القاضي لاستعادة هذا المنصب إلى عائلتهم، كانت فلوسهم قليلة وكانت عزوتهم كبيرة بالناس، لكن المال الكثير فى يد فوزى أفندي ومساندة الإدارة له أرضاء لخاطر لطفى بك وصادق بك فعلت فعلها وحصل فوزى أفندي على أكبر الأصوات وفاز بالمنصب وانتهت المعركة فى سلام وعدت الى القاهرة لاستكمال امتحان الليسانس.

كنت حين أستدعيت للسفر إلى العوايسة مع الشيخ محمد عبد الصمد، قد أجلت امتحان مادة الحضارة، وقد كلفني ذلك خسارة كبيرة فى الدرجات، فحين عدت أرسلني رئيس القسم للدكتورة فاطمة موسى لأؤدي الامتحان أمامها. وكانت الدكتورة فاطمة موسى من سكان الأبراج العالية، ولا تعلم شيئا عن واقع الناس الفقراء من أمثالي، فراحت تسألنى بعيدا عن المقررات التي قرأناها أو الأفكار التي كنا ننشغل بها فى دراسة فكر الرنيسانس مثل الحرية الدينية والحرية الفردية والمنهج العلمي ومحاولة سيطرة الانسان على مصيره ومصير الكون. ذهبت الدكتورة بعيدا جدا وشطحت بالنسبة لى فركزت أسئلتها على الأفلام التي قدمت مسرحيات شكسبير، وعن الممثلين الذين قاموا بالأدوار مثل أنطوني كوين وغيره. وربما لو وجهت هذه الأسئلة لطلبة وطالبات المدارس الأجنبية لوجدت قبولا لأنهم من القادرين ماديا والذين يملكون ثمن التذكرة. وحاولت عبسا أن ألفت نظرها إلى عدم مشاهدتي لهذه الأفلام ولم تنظر إلى شحوب وجهى ومظهري الحزين. لم تتبين الدكتورة شيئا مما لاحظه زميلي الأردني حين سألني لماذا أنا حزين. ولم تتوقف لتسألني لماذا لا أجيب عن هذه الأسئلة، حتى تعرف كينونة الإنسان الذى أمامها مثلما يعرف بعض الأساتذة ذوى الفراسة العالية،

لكن يبدو ان هذه الموهبة كانت مفتقدة عندها. ولو سألتنى لعرفت كيف تدير المناقشة معي، ولو عرفت أننى لم أكن أذهب إلى السينما أبدا لأنني لا أجد ثمن التذكرة،

وكان كل همى أن أدبر قوت يومي حتى أكمل دراستي الجامعية، لأضافت إلى علمها وعيا بالبعد الاجتماعي والبعد الإنساني فى العملية التعليمية. لكن كان هناك عامل أخر مسيطر على ذهن الدكتورة فاطمة موسى هو، أن طلبة الليسانس لابد وحتما أن يعرفوا أفلام السينما العالمية وكبار ممثليها وممثلاتها، وكان أسلوبها الغريب فى المحاضرات مستفزا أحيانا، فلم تكن على وفاق مع طلبة الدفعة، وكان الأولاد والبنات يضايقونها، فكانوا يحكون أقدامهم بأرضية المدرج و تضطر إلى ترك المحاضرة والخروج من المدرج. انصب كل ذلك على رأسى فى ذلك اليوم فلم أحصل إلا على درجة النجاح وضاعت منى خمس درجات على الأقل كانت ستضمن لى تقدير جيد فى المجموع النهائي. وتذكرت أبيات الشاعر البائس عبد الحميد الديب التى يقول فيها:

يهيم بى الأسى والحزن حتى كأنى عبلة والحزن عنتر
كأنى حائط كتبوا عليه هنا يا أيها المزنوق طرطر

فماذا أفعل مع الحظ السيء الذى يترصد خطواتي، وكل مرة أهم فيها للتقدم خطوة أواجه بالعراقيل وبالناس الذين لا يحسنون التقديرولا ينصفون الضعيف. وقد رصدت كثيرا من مواقف الأساتذة معدومي الضمير، الذين يقيمون الطلبة على أساس طبقي، ولا أريد الخوض الأن فى هذا الموضوع، لأن سرد الوقائع التي حدثت معي سوف يحتاج صفحات كثيرة، وسوف يتطلب ذكر أسماء حتى ممن كنت أحبهم من الأساتذة.

انتهت امتحانات الليسانس وعدت إلى البلد لأقضي ألأجازة الصيفية، وأنا واثق أننى سوف أحصل على تقدير جيد الذى يؤهلني للدراسات العليا والحصول على الماجستير والدكتوراة، ولكن خاب أملى فقد ضاع التقدير بفارق ست درجات لأنني حصلت على 189 وتقدير جيد من 195 بنسبة 65%، من المجموع الكلى وهو ثلاثمائة، وكان من المعتاد فى مثل هذه الحالات أن ترفع هذه الدرجات الست بنسبة 2 فى المائة عن طريق لجنة الرأفة التي يرأسها رئيس القسم الدكتور رشاد رشدي. لكنه رفض أن يطبق هذه القاعدة بالنسبة لحالتي كما سمعت من الدكتور شوقي السكرى رئيس الكونترول. وكان ذلك بسبب علاقتي بشوقي السكرى نفسه، فقد كان مسئولا عن ندوة "ناجى" التي كانت تقام أسبوعيا فى منزل المرحوم محمد ناجى، وكنت أقوم أنا وزميلي نسيم ابراهيم بتنظيم الندوة ودعوة الضيوف، وكان رشاد مدعوا فى يوم من الأيام لمناقشة كتابه "ما هو الأدب" فى هذه الندوة لكنه اعتذر وأناب الدكتورة لطيفة الزيات للحضور بدلا منه.

والحقيقة أننا سعدنا بوجودها لأنها كانت تتحلى بقدرة فذة على المناقشة والإقناع، وذلك كله فى أسلوب واضح وسلس وسهل الفهم. وهذا ما تأكد لي أثناء دراستي لدبلوم النقد المسرحي بمعهد الفنون المسرحية، وكانت تدرسنا مادة النقد الأدبي للنص المسرحي. وقد تعلمت منها الكثير. المهم أن الدكتور رشاد رشدي كان يسمع عن ندوة ناجى التي جعلت اسم الدكتور شوقي السكرى يلمع فى الأوساط الثقافية، وكان يعرف أننى وزميلي

نسيم ابراهيم نقوم بتنظيم الندوة، أما نحن فلم نعرف شيئا عن الصراع الذى كان يجرى فى الخفاء بين رشاد رشدي وشوقى السكرى،

كان الدكتور رشاد رشدي يتهم شوقي السكرى بأنه شيوعي ويرفض ترقيته ألى درجة الأستاذية، ويشكك فى الدكتوراه التي حصل عليها من انجلترا. وبلغت الخصومة بينهما حدا فرض على الجامعة أن تحيل بحث الدكتور شوقي الذى حصل به على الدكتوراه إلى لجنة تقييم فى انجلترا، وانتهى قرارها بالثناء على البحث والاعتراف بأهلية صاحبه للدكتوراه. لم أعرف هذا إلا بعد التخرج حين قرأته فى الصحف المصرية، وعرفت أننى وزميلي كنا ريفيين سذج نتصور أن أساتذة الجامعة منزهين عن المصالح والأغراض، ودفعنا ضريبة جهلنا أو نتيجة جرأتنا ودخولنا فى مجال الصراعات الفكرية والثقافية دون خوف من الاتهامات، التي كانت تجرى فى تلك الأيام عن الشيوعيين وأعداء الثورة، هذه الإشاعات التي كانت تطارد الكثيرين بحق أو بغير حق.

12- مدرس لغة فى بيلا الثانوية

كان الليسانس بالنسبة لي هو طوق النجاة من حالة الفقر والمرض التي أعانيها، ورغم حزني على ضياع التقدير الذى كان يؤهلني للحصول على الماجستير والدكتوراه إلا أننى حمدت الله وطمأنت أهلي أننى نجحت، ولن أحتاج منهم ألى مساعدة أخرى بل إنى وعدتهم بأنني سوف أساعدهم وأعوضهم عن بعض ما تحملوه من أجلى. ولحسن الحظ أن وزارة التربية أعلنت فى نفس الوقت عن مسابقة لتعيين مدرسين للغة الإنجليزية،

وكانت المشكلة أن النتيجة تأخرت حتى آخر يوم للإعلان، وكانت جموع الطلاب واقفة تنتظر، وطلبنا من العميد أن يطلب من وكيل وزارة التربية ألا يغلق باب استلام الأوراق حتى آخر النهار، حتى نتمكن من سحب أوراقنا من الكلية والتقدم بها ألى الوزارة فأخذنا أوراقنا من جامعة القاهرة وخرجنا نلهث الواحد وراء الآخر حتى نلحق بموعد تسليم الأوراق. كان يوما عصيبا من بدايته حتى نهايته، ابتدأ بالقلق أولا على النتيجة ثم الخوف من ضياع فرصة التقدم للوظيفة.

ربما كان هذا حال الغلابة من أمثالى وهم كثيرون. أما أولاد الأساتذة والسفراء والوزراء فكان لهم شأن آخر. كان معظمهم يفكر فى وظائف أخرى تدر مالا وجاها. كتبت فى اختيار الأماكن التي أود التعيين فيها، محافظة المنيا، وبنى سويف، والجيزة. وفى فترة انتظار النتيجة جاءتني دعوة كريمة من مدير الكلية الأمريكية فى أسيوط للعمل هناك، وذلك لأنه سمع كلاما طيبا عنى من أحد الأخوة الذين كانوا يعرفون معاناتي وكفاحي فى سبيل النجاح، وحين قرأت الخطاب على أخي حكيم رفض أن أعمل بالمدارس الخاصة، رغم أن المدير عرفني بأنه سوف يطلب حال تعييني بالتربية اعتباري معارأ للمدرسة. والواقع أنها كانت فرصة عظيمة لم أعرف قيمتها إلا بعد أن تم تعييني فى كفر الشيخ، وكان السبب فى هذا أن إسمي اختلط باسم زميلي نسيم ابراهيم يوسف الذى اختار محافظة البحيرة ونواحيها لأنه من سكان إيتاى البارود، ولما أعلنت اعتراضي للموظف المسئول عن تعييني فى مكان بعيد عن بلدي ولم أختاره، طمأنني بأنه بعد استلام العمل يمكن اجراء بدل مع نسيم ابراهيم لكنه بعد أن ذهب إلى المنيا ورأى جمال المدينة، رفض وقال:

- معقول أترك المنيا عشان كفر الشيخ.

عند استلامي قرار التعيين كان معي الصديق العظيم الراحل كمال جليل الذى كان يساندنا دائما ويفرح لنجاحنا ووجودنا معه وكأنه الأخ الأكبر الذى يحبنا ويحنو علينا. وكان معه صديق لا اذكر اسمه قال لى من المدن الجميلة فى كفر الشيخ مدينة بيلا، اهلها يحبون الغرباء وأنا منهم. وإذا أعجبهم شاب فإنهم يحيطون به ويصادقونه. وبعد أن يتعرف عليهم ويزورهم عدة مرات يحدثونه عن ابنتهم، ويلمحون له بالزواج. وإذا

استعصى عليهم يعملون له أعمال سحرية ويربطونه بها فلا يستطيع فكاكا. ضحكت وضحك معي كمال أيضا وقال:

- ابشر يا عم الدنيا فتحت لك زراعيها.

وفعلا اخترت الذهاب ألى بيلا وكانت المفاجأة أن الكهرباء لم تدخلها، واضطررنا أن نحضر دروسنا على لمبة الجاز. وقد رفض عدد من زملائي البقاء في مدن أخرى بكفر الشيخ وتركوا العمل نهائيا غير نادمين، لكنني لم أكن أستطع ذلك لأنني كنت فى حاجة ماسة للمرتب الذى لا يزيد عن ثلاثة عشر جنيها وستين قرشا شهريا. ولم أكن أملك ترف البحث عن مكان آخر أو وظيفة أخرى، فوبل للفقراء والمحتاجين. كان على أن أرضى بالمقسوم، واللى اتكتب على الجبين لازم تشوفه العين، وحاولت أن أكيف نفسى على جو الحياة فى هذه المدينة الريفية، وطقسها البارد وأن أتحمل الخوض فى الشوارع المليئة بالوحل الذى يتخلف عن هطول المطر بغزارة طول العام، وهو شيء لم نكن نعرفه فى قريتي العوايسة بمحافظة المنيا.

أخذت قرار قيامي بالعمل من مديرية التربية بكفر الشيخ، وذهبت لاستلام العمل في بيلا وعلى باب المدرسة تقابلت مع إدوار عبد الملك مدرس التربية الفنية، وكان قادم مثلى لاستلام العمل بنفس المدرسة، واثناء الحديث مع السكرتير أشار على إدوار بان يصعد إلى الدور الثاني حيث حجرة التربية الفنية ليتعرف على الأستاذ صبري الذى سوف يتسلم منه الحجرة، فذهبت معه وهناك استقبلنا الأستاذ صبري بحفاوة بالغة وظهر أنهما يعرفان بعضهما من قبل. وفد دعانا صبري للذهاب معه الى سكنه حيث تناولنا الغذاء معه واتفقنا على الإقامة أيضا بهذا السكن. وقد مكث معنا الأستاذ صبري حوالى اسبوع وكانت صحبته لطيفة، كان رجلا ضخم الجثة ولكنه بشوش الوجه يفيض مرحا بحيث لا تحس معه بالغربة. وقد ساعدتني هذه الصحبة معه ومع إدوارد على الشعور بالارتياح وقبول الواقع الجديد والتركيز على العمل فى هذه البلدة. ارتحنا لهذا السكن أيضا خصوصا وأنه كان على بعد خطوات من المدرسة لا يفصله عنها أي شيء سوى الشارع. وكان عبارة عن شقة من ثلاثة حجرات وصالة بالدور الثاني مبنية من الأخشاب والمولاس ومغطاه بسقف رقيق من جريد النخيل وبوص الذرة، وكان المطر ينزل علينا أحيانا من بعض الفتحات ويضطرنا لتحريك السراير من أماكنها حتى لا تغرقها مياه الأمطار ليلا وهكذا. لكن الحياة فى بيلا كانت مريحة ومنخفضة التكاليف.

قضينا بضعة أيام قبل افتتاح الدراسة فى أول سبتمبر. كنا نذهب الى المدرسة يوميا لنتعرف على ظروف العمل وعلى زملائنا الأخرين، ونقضى بعض الوقت فى لعب الطاولة او كرة اليد. كذلك اجتمعنا أنا وزملائي مدرسي اللغة الإنجليزية. وكان المدرس الأول أستاذ سودانى يحمل شهادة عالية من الخارج ويستعد لاستلام عمله بكلية المعلمين الجديدة بمدينة المنيا. وكان شخصية مرحة خفيفة الظل تحس أنه يشاركك فى نقد السخافات الروتينية والشكليات ومنها ما يتعلق بتوزيع المدرسين الجدد بطرق عشوائية تبعد الكثيرين عن أهلهم وتسبب كثيرا من المضايقات والمشاكل. وكان يوصينا بالصبر

على مثل هذه السخافات والتركيز على العمل ومراعاة مصالح الأولاد الذين يتعلمون فى هذه المدارس. وعند توزيع الجدول اكتشفنا أن المدرسة بها فصل مشترك بنات وبنين به ثلاثة عشر طالبة رفض زملائي فاروق سلام وجمال كامل وضع هذا الفصل فى جدوله، واستغربت ان يرفض هؤلاء المدرسين القدامى بالمدرسة قبول هذا الفصل، فطلب الأستاذ سرور منى أن اتولى أنا التدريس فى هذا الفصل لأن فاروق وجمال متخرجين من كلية المعلمين ولم يسبق لهما التعامل مع بنات. أما أنا بحكم تعليمي فى قسم اللغة الانجليزية بكلية أداب جامعة القاهرة حيث تزاملت مع زميلات طيلة مدة الدراسة، فمن السهل على مثلى القيام بهذه المهمة فوافقت.

ولم أفاجأ او أحس بغربة فعلا رغم أن المهمة كانت شاقة جدا لأن التجربة كانت غريبة على البنات وعلى الأولاد أيضا، وكان على أن أذيب هذه الأحاسيس عندهم بالتعامل على ان هذا أمر طبيعي لأن المرحلة الجامعية ستضعهم فى هذا الجو، وعليهم ان يتعلموا كيف يتعاملون برقى مع بعضهم بعضا ومع زميلاتهم من الطالبات خصوصا وأنهم أبناء مدينة صغيرة، ويعرفون بعضهم بعضا وأنهم جميعا فى حكم الأهل والأقارب. وسارت الأمور على خير ما نتمنى وكان التنافس على التفوق العلمي هو سيد الموقف فى هذا الفصل، ولم تشهد التجربة أي مشاكل بل كان التفاهم والتعاون واضحا بين الجميع.

كانت الحياة في بيلا تنتهى عند الغروب، فلم يكن بها مجال للترفيه او السهر غير المقاهي ونادى المعلمين الذى يقع فى شقة تتكون من ثلاثة غرف وصالة وليس به غير الطاولة وترابيزة بنج بونج ولا شيء آخر. وهى ألعاب لا أميل إليها كثيرا فعدت إلى هوايتي المفضلة وهى القراءة، قراءة الكتب المدرسية التي أقوم بتدريسها وقراءة جريدة الأهرام وكان ملحق الجمعة يقدم زادا وفيرا وغنيا من المعرفة والثقافة السياسية والأدبية والفنية.

يطالعك في الصفحة الأولى منه مقال الأستاذ محمد حسنين هيكل الذى يتابع تطورات الأحداث السياسية المحلية والعالمية، ويحللها تحليلا دقيقا وبأسلوب سهل الفهم هو قمة البلاغة فى مجاله. أضف الى ذلك أنه كان ينشر مسرحيات توفيق الحكيم وروايات نجيب محفوظ ومقالات لويس عوض وحسين فوزى وحسين مؤنس والدكتور زكى نجيب محمود وأخرين إلى جانب أشعار صلاح جاهين ورسومه الكاريكاتورية وكذلك أشعار صلاح عبد الصبور. كان الملحق الأدبي للأهرام فى تلك الأيام جامعة مفتوحة للعلم والثقافة.

وكانت جريدة الجمهورية أيضا تقدم مقالات رائعة لشعراء كبار مثل كامل الشناوي وصلاح عبد الصبور والخميسى الى جانب كتاب الفكر اليساري المتميزين مثل محمد عودة ومحمد مندور وآخرين. كنت أقرأ لهؤلاء جميعا وأسعد بصحبتهم، وكانت بعض المقالات تتناول بعض الكتب الجديدة ذات القيمة الأدبية أو التاريخية فأحرص على الحصول عليها وقراءتها سواء كانت بالعربية أو بالإنجليزية، ومن ثم انجذبت ألى عالم الكتابة وأخذت أهيئ نفسى لهذا المجال خصوصا وأنه كانت لى محاولات سابقة فى كتابة

الزجل والشعر فى المرحلة الثانوية وفى الجامعة، أخذت أطورها فى مرحلتي الجديدة فى ضوء ما اكتسبته من معرفة جديدة فى الأدب وكل فروعه. وقد كتبت عددا من القصائد نشرت مؤخرا فى ديوان عنوانه: " أشعار وأغاني مصرية "

صدرت عن دار الحضارة بالقاهرة 2013

13- مكتبة المدرسة ودورها في تربية الشباب :

لعبت المكتبة دورا هاما في زيادة حماس الأولاد على القراءة، وتشجيعهم على كتابة ملخصا للكتاب الذي يقرأه كل منهم وعرضه أمام زملائه وزميلاته فى حضور أمين المكتبة، وبعض الأساتذة. ويرجع الفضل فى هذا إلى أمين المكتبة الزميل الراحل الأستاذ أحمد عبدالله اسماعيل الذى استحدث هذا التقليد فى مدرسة مشتركة فى مدينة ريفية صغيرة. وكان يقلب فى الكتب ويختار منها المناسب ويعطى كل تلميذ وتلميذة كتاب ويحدد له وقت لقراءته، وقد أقبل منهم عدد كبير على الحصص المخصصة للمكتبة، وكانوا يبذلون جهدا كبيرا فى القراءة ويتبارون على التفوق والبروز، وقد أظهرت هذه التجربة تفوق كثير من الطالبات فى القراءة وفى الحديث بشجاعة أثناء المناقشة. وقد دعاني أمين المكتبة لحضور بعض الجلسات مع الطلبة والطالبات، والاشتراك فى المناقشة وأجابة أسئلتهم وتوجيههم لقراءة بعض الكتب الجادة فى الأدب وفى الفن، لأنه من خلال القراءة الواعية يمكن أن يكتشف كل واحد منهم ميوله الحقيقية التي تساعده على اختيار التخصص العلمي الذى يستهويه فى دراسته الجامعية..

وفى إحدى الجلسات قدم الأستاذ أحمد عبدالله قصة " أنا حرة " تأليف الكاتب الكبير احسان عبد القدوس، وطلب منى أمام الطلبة والطالبات أن أقرأ هذه الرواية وأن أقوم بالحديث عنها فى ندوة عامة بمدرج العلوم بالمدرسة. وكانت تجربة مثيرة إذ امتلأ المدرج بالطلبة والطالبات من كل الصفوف، واستمعوا فى هدوء للمحاضرة وفى النهاية فتحنا الباب للمناقشة، وكانت الأسئلة تدل على درجة عالية من الوعى الاجتماعي والثقافي. فالقصة تناقش قضية الحرية الفردية ومسألة حرية الاختيار من خلال قصة حب تطرح السؤال الهام: هل فى الحب حرية؟ وهل هناك حرية حقيقية؟ وتجيب على ذلك با لنفى وتقول أن أكثرنا حرية هو عبد للمبادئ التي يؤمن بها.

كانت التجربة مثيرة حقا إذ كشفت عن نتيجة هامة وهى تعطش الشباب والشابات إلى مثل هذه الندوات الأدبية والثقافية، التي تربطهم بتيار الحياة العامة وتتيح لهم فرصة المشاركة والتعبير عن أرائهم ومشاعرهم. وهذا ما جعل بعض الأساتذة والطلاب يدعونني للتحدث فى طابور الصباح من وقت إلى أخر، مشاركة لزملائي أساتذة اللغة العربية الذين كانوا يحتكرون حديث الصباح باعتبارهم سادة الفصاحة والبلاغة. وكانت المفاجأة أنهم اكتشفوا أن هناك أستاذا للغة الإنجليزية يحسن الحديث، ولديه إلمام بقضايا الفكر والثقافة التي تشغل المجتمع، فرحبوا به وضموه إلى جانبهم، وأشهد الآن أنهم كانوا صحبة جميلة، نلتقى أحيانا فى بعض أوقات الفراغ نتبادل الحديث فى الشعر والأدب وفى الدين بحرية وانبساط، قبل ظهور الشعراوى ونشر التزمت والإكتئاب.

وقد حدث ذات مرة وكان عيد الأضحى على الأبواب أن سألني بعض الطلبة فى نهاية الحصة: أسمع يا أستاذ نسيم لماذا لا تعترفون بالنبي محمد؟ فقلت أنتم تعترفون بمحمد ونحن نعترف بالمسيح ولكل دين أنبياؤه. قالوا نريد إجابة محددة، ماذا يقول الإنجيل عن محمد؟ حاولت أن أتملص من الموقف. وقلت الإنجيل في المكتبة ممكن تقرأوه. قالوا المكتبة لا يوجد بها نسخ للإنجيل ونحن نريد أن نعرف النص الحقيقي. قلت الإنجيل سبق محمد بستة قرون ولم يقل عنه شيئا ولا يوجد ذكر لاسم محمد في الإنجيل. ردوا في صوت واحد نريد أن نعرف ماذا قال الإنجيل بالنص عن الأنبياء عموما؟ وأنت لازم تقول لنا. وقلت لهم أن المسيح يقول " سيأتي بعدى أنبياء كذبة فلا تصدقوهم " وتقبل الأولاد هذا الكلام بهدوء، وخرجت من الفصل لكنهم نقلوا كلامي إلى زميلي الأستاذ عبد الفتاح الخواجة فجاء الى حجرة المدرسين وهو يضحك ويقول:

"يخرب بيتك يا نسيم يا مجلى. كنت قول الكلام ده فى الفصل وما تقولوش فى الحوش".

فلما نظر إليه بقية الزملاء فى تساؤل حكى لهم ما حدث فضحكوا. فقلت لهم الأولاد أمسكوني على باب الفصل وأغلقوا الباب وأصروا على أن أقول لهم نص الإنجيل فقلته. والإنجيل كتاب مشهور ومنشور وليس منشورا سريا. ومن حقهم أن يعرفوا ما يقوله الإنجيل. وتقبل الجميع هذا الكلام فى هدوء. وتماديا فى مشاكسة عبد الفتاح الخواجة سألته، لماذا يحتفل المسلمون بعيد الأضحى؟ هل هى رغبة فى التعبير أنهم أهل تضحية وفداء وهذا شيء جميل، مع أن الذبيح كان اسحق ابن ابراهيم وليس اسماعيل؟ فرد قائلا إن الذبيح كان اسماعيل، فقلت أنا أوافقك لو أن القرآن ذكر اسماعيل بالإسم. فقال الأستاذ يحيى قطب إن المعتزلة قالوا إنه اسحق. وقال الزملاء الأخرون أمهلنا للغد لنراجع القرأن ونتحقق من هذه المسألة. وفى اليوم التالى أعلنوا جميعا أن القرآن لا يذكر اسماعيل بالاسم، لكن الفقهاء اتفقوا على أنه اسماعيل. اما الأستاذ يحي قطب فقد أكد أنه بحث هذه النقطة أثناء الدراسة في كلية دار العلوم وعرف أن المعتزلة يقولون إنه اسحق. وارتحت لهذه النتائج الذى توصلوا إليها. لكن أحدهم سألني وما تفسيرك أنت يا نسيم لهذه القصة؟،

قلت: بعيدا عن النصوص الدينية أرى أنه يستحيل أن يقدم اسماعيل كذبيحة، لأن القراءة الصحيحة للقصة تقول أن ابراهيم وسارة كانا يعيشان فى مجتمع إقطاعي طبقي، فيه السيد وفيه العبد. وفيه السيدة وفيه الجارية. وكانت سارة هى السيدة التي أحست أنها غير قادرة على الإنجاب وأنها كبرت ولم يعد لها أمل فى ذلك، فأمرت ابراهيم بأن يتزوج الجارية فتزوجها وأنجبت له اسماعيل. وحين أنجبت بدأت الغيرة تأكل سارة فأمرته أن يأخذ الصبى وأمه وأن يتركهم فى مكان بعيد وحسب نص القرآن بواد غير ذى زرع، وأطاعها ابراهيم وتخلى عن هاجر وابنها ارضاء للسيدة سارة التي أنجبت اسحق. وهذا يعنى أنه ضحى بإسماعيل إرضاء لسارة. فهل يعقل أن يختبر ابراهيم فى الابن الذى تخلى عنه وتركه فى الصحراء أم يختبر فى الابن الغالي اسحق؟ وقد تأكد لى صحة هذا الرأي أخيرا حينما قرأت ما يقوله هذا الشيخ السعودي:

يقول الداعية المغامسى شيخ وخطيب مسجد قباء بالمدينة المنورة:
الذبيح في قصة سيدنا إبراهيم هو اسحق وليس إسماعيل. ويشرح ذلك بقوله "البشارة في القرآن لم ترد إلا في حق اسحق. خليل الله ابراهيم رزق بإسماعيل من هاجر، ولم تكن هناك بشارة بإسماعيل". (القصة الكاملة لهذا الموضوع شرحها هذا الشيخ في برنامج" الأبواب المتفارقة " المذاع على قناة MBC1)) ونشرتها جريدة الوطن بتارخ 11-2-2019.

كانت مناقشات مثمرة وجادة وكانت تسودها روح الود والتسامح ولم نكن نعرف هذا التشدد أو التطرف الذى انتشر الآن كالوباء. فقضينا أياما سعيدة كنا نشتاق فيها إلى المدرسة حتى فى أيام الإجازات لكى نلتقى فى هذه الجلسات نتكلم فى الأدب وفى اللغة العربية، وأنا من عشاقها وكنت دائما أحب أساتذتها وأصادقهم وأكثر من الجلوس معهم.

أما محاضراتي وأحاديثي فى الأدب والسياسة فجعلت لي شعبية بين الشباب من هواة الأدب والشعر، أذكر منهم ابراهيم الوصيف الذى فوجئت بأنه يحفظ بعض قصائدي التي كنت أقرأها أحيانا عليهم، والأستاذ حسن الموافي المحامي وأخوه حسين وآخرون ممن كانوا يحاولون كتابة الشعر، ويدعونني لسماع تجاربهم الجديدة وهذا كان يسعدني جدا ويربطني بهؤلاء الأصدقاء ويملأ فراغ حياتي الذى كنت أحسه أحيانا فى هذه المدينة،

لم يقف الأمر عند هذا الحد بل امتدت شعبيتي ألى خارج المحيط المدرسي وأصبحت أدعى للحديث فى المناسبات القومية. وأذكر على سبيل المثال دعوتي إلى ندوة بالمدرسة الإعدادية للبنات لمناقشة موضوع الأسرة وتحديد النسل الذى سمى بعد سنوات بتنظيم النسل. وكانت المفاجأة أن المتحدثين الأخرين أربعة من المشايخ وخطباء المساجد. وكانوا ظرفاء فرحبوا بمشاركتي لهم فى تلك الندوة. وجاء الدور على للحديث فقلت إن السادة الأجلاء يرفضون تحديد النسل لأنهم يرون أنه قتل للأجنة معتمدين على الأية الكريمة التي تقول " لا تقتلوا أولادكم خشية إملاق فنحن نرزقهم وإياكم " وقبل أن أنتهى من نطق الأية فوجئت بالشيوخ الأربعة يقفون معا ويعترضون فى صوت واحد: لا يا استاذ لا توجد فاء فى الآية. فاعتذرت عن هذا الخطأ عير المقصود، وأكملت حديثي بأن تحديد النسل ليس قتلا للأجنة والأطفال، فنحن كمسيحيين نرفض الإجهاض باعتباره قتل للأجنة ولكن ندعو لطرق أخرى كثيرة يعرفها الأطباء. كما ندعو لزيادة الوعى والاكتفاء بعدد قليل من الأطفال حتى نحسن تربيتهم ورعايتهم. وعلى أى حال هذه الخطة لن تنجح إلا بزيادة الوعى ورفع المستوى الثقافي لأن المشكلة ترتبط أساسا بالأمية والجهل والتواكل.

وقبيل حرب 1967 حين استنفرت البلاد والقوى العشبية لدعم موقف عبد الناصر ومناصرة الجيش وتدعيمه لمواجهة عدوان اسرائيل المحتمل بعد أغلاق ممر باب المندب، دعيت للمشاركة فى المؤتمر الكبير الذى أقامه مجلس المدينة وأعضاء الاتحاد الاشتراكي فى دار سينما بيلا، فكتبت قصيدة حماسية وألقيتها فى حشد كبير امتلأت به القاعة، وأذكر منها الأبيات الأتية"

سلمت يداك الغر عبد الناصرى سلمت يدا شعبي العريق القادر
ضربت فأعمت عين كل دسيسة خرجت من الجحر اللئيم الغادرى
سر يا جمال لإسرائيل ودكها والله للثوار نعم الناصرى

وقوبلت القصيدة بعاصفة من التصفيق الحار الذى اسعدني واكسبني مزيدا من حب الشباب بل وحب كثير من أهل هذه البلدة. لكن الفرحة لم تدم فسرعان ما انقلب الحال إذ قامت اسرائيل بهجوم مفاجئ فجر 5 يونية على مطاراتنا ودمرت سلاحنا الجوي، وأخذت فى الزحف لاحتلال سيناء ومنطقة القنال. وحين أعلن خبر هذا العدوان فى صباح ذلك اليوم الحزين فوجئت أنا وزوجتي بطالبات المدرسة جميعا يدخلون علينا وهم يبكون ويصرخون بحزن ودهشة حقيقية مما حدث. كانوا يسألونني ويطلبون منى أن أشرح لهم. ولم أكن أملك جوابا شافيا لكنني أخذت أنا وزوجتي فى تهدئة خواطرهم وطمأنتهن على أن هذا العدوان سوف يتم دحره

وبعد خروجهم من المنزل، مكثت وقتا طويلا أنا وزوجتي نتأمل ما حدث. ما معنى أن يتجمع هذا العدد الكبير من الطالبات ويأتين إلى بيتي أنا بالذات؟. هل بلغت ثقتهم بى إلى هذا الحد فيتجهن ألى دون الأخرين من المدرسين ليسألن عن هذه النكسة الوطنية الخطيرة، وأسبابها كأننى واحد من زعماء السياسة فى هذا البلد. صحيح أننى كنت متحمسا لعبد الناصر وللثورة، وكنت أتحدث على مدى السنوات السابقة عن الثورة وانجازات عبد الناصر داخليا وخارجيا، لكنني لم أكن أتوقع أن تؤثر أقوالي ألى هذه الدرجة. أقول رغم الحزن الذى كان يعتصرنى أنا وزوجتي إلا أن هذا الموقف أعطاني دفعة قوية وملأني بالثقة فى أن كلامنا وجهادنا فى نشر الوعى وفى عملية التنوير لم يضع هباء، ورغم أن هذا الوفد كان يتكون من الطالبات فقط إلا أنهم كانوا تمثيلا حقيقيا لجيل يعرف معنى الوطن. جيل مستعد لأن يناضل وأن يضحى من أجل بلده وحريته، ويعطى الأمل فى النصر القادم. وهذا ما تحقق فى أكيوبر 1973.

عشت أياما عديدة بمشاعر هذه اللحظة التي أظهرت لى مدى الحب والتقدير الذى يحمله لي أبناء بيلا والذى غمرني منذ الشهور الأولى لمجيء هذه المدينة. والذى حملني على الزواج من إحدى طالبات المدرسة، التي أكملت دراستها بعد الثانوية العامة وحصلت على دبلوم التربية وأصبحت مدرسة بالمرحلة الإبتدائية. وهى زوجة رائعة الجمال تتميز بدرجة عالية من الذكاء وخفة الدم. ورغم أنها كانت دلوعة أمها وأبيها بسبب أنها البنت الوحيدة بين خمسة أولاد إلا أنها أثبتت أنها معلمة جادة ومنضبطة وست بيت نشيطة ومبدعة فى إعداد الطعام والتنوع فيه بدرجة تفوق المحترفات. وكانت عنايتها بالأطفال شيئا يدعو للإعجاب إذ كانت تتحمل فى صبر السهر عليهم وتغذيتهم بل وعمل البلوفرات لهم. إنني الأن أشهد بعد خمسين عاما من الزواج أننى لو تزوجت بخمسة زوجات لما قمن بما قامت به. وأنتهز الفرصة لأدعو لها بدوام الصحة والسعادة. أننا عندما نسترجع

هذه المسيرة وننظر للأولاد والأحفاد نشعر بالرضى والفخر وأقول إنها علاقة بنيت على الحب جعلتنا نواجه كل الصعاب بثبات حتى وصلنا إلى بر الآمان وكانت ثمار هذه الرحلة الطويلة والشاقة ثمارا عظيمة.

تم الزواج فى25 يوليه 1965، أي بعد ما يقرب من ست سنوات من وصولي إلى بيلا. كانت إحدى التلميذات الثلاثة عشر فى الفصل المختلط الذى وضع فى جدولي لتدريسه اللغة الإنجليزي عند بداية عملي بالمدرسة، وكانت هي الطالبة المسيحية الوحيدة بينهن، وقد استمرت علاقتي بهذا الفصل فى السنوات الثلاثة التالية حتى امتحان الثانوية العامة. وكان نجاح التجربة دافعا لأن تستقبل المدرسة عددا جديدا من الطالبات عاما بعد عام وتزداد نسبتهن فى الفصل بدرجة تتفوق على عدد الأولاد، وأصبحت المتخصص فى تدريس هذه الفصول المختلطة، فتقوم إدارة المدرسة دون أن تسألنى بوضع الفصل الجديد فى جدولي. وقبل أن تتخرج الدفعة الأولى من المدرسة كنت أقوم بتدريس ثلاثة فصول مشتركة بنين وبنات فى السنة الأولى والثانية والثالثة. وكان أولياء الأمور يهتمون أكثر بأمر بناتهن ويأتون للمدرسة ويلتقون بي للسؤال عنهن وتوثقت معرفتي بالكثير منهم، وكان هذا يزيد من شعوري بالإرتياط ببيلا رغم أننى أطلب فى كل عام نقلى إلى المنيا بلدي أو إلى القاهرة لأكون قريبا من أهلي فى سمالوط.

أما أهل زوجتي فبدأت معرفتي بهم فى نهاية الأسبوع الأول من الدراسة حين ذهبت لحضور اجتماع صلاة بالكنيسة فى مساء الجمعة، وعند خروجي استوقفني شاب رحب بي وقدم نفسه لى بأنه طالب بالفرقة الثالثة علمي وأن اسمه نبيل فهمى أخو الطالبة مريم فهمى فى فصل سنة أولى. فقلت له هذا الإسم غير موجود عندي ضمن الطالبات. فقال إنها حضرت في اليوم الأول ثم منعتها أمي لأنها تخشى عليها من جو الاختلاط بالطلبة، وهى تبكى وعايزة تتعلم وأنا ووالدي وأخوتى جميعا عايزينها تكمل تعليمها. والمشكلة هي أمي، ياريتك تتفضل عندنا تشرب شاي وتقنعها بضرورة التعليم. قلت له المدرسة فيها بنات في فصل سنة أولى ومجموعة أخرى بالسنة الثالثة محولين من المنصورة وكفر الشيخ وشربين والأمور تسير على خير ما يرام ولم نسمع شكوى حتى الآن من البنات أو البنين، وانت تقدر تأخذ أختك معك في الصباح للمدرسة وترجع معها

فقال أمي تصر على موقفها أرجوك أن تدخل معي وتقنعها بذلك. وأشار إلى بيتهم فإذا هو مواجه لباب الكنيسة. فلم أجد مفرا من الدخول معه، واستقبلتنا الست والدته بكل حفاوة وقدمت لنا المشروبات. فقالت: إنا بخاف على بنتي لأنها جميلة وعايزة اجوزها، ومدرس الإنجليزي في الاعدادية طلب يتزوجها ورفضنا لأنه يريد أن يتزوج ويأخذها لبلده فى الصعيد. ودخلت مريم وسلمت على وقالت أنها تريد أن تذهب للمدرسة مع زميلاتها، فقلت لأمها بسيطة خليها تروح المدرسة لما يأتي العريس المناسب زوجيها ولا تحرميهاش من التعليم. فقالت: معنديش مانع بس تاخد بالك منها، فطمنتها على ذلك. وفى اليوم الثاني حضرت مريم إلى المدرسة ، وفى المساء زارني أديب أخوها ليشكرني على اهتمامي ويعرفني أنه يعمل نحالا وتاجر عسل وأنه على معرفة بكثير من المدرسين ثم

دعاني لقضاء السهرة معهم فشكرته ووعدته بتلبية الدعوة في وقت قادم ، وبعد أيام قليلة حضر لزيارتي في أول المساء فرحبت به وقدمت له كوبا من الشاي وجلست أتحدث معه لكنه لم يكد ينتهى من الشاي حتى وقف وقال اتفضل قوم معايا نخرج نفرجك على بلدنا وسرت معه في شارع العشري حتى ميدان التحرير، وهناك توقفنا أمام أحد المقاهي ودعاني للجلوس فرفضت لأنني لم أعتد الجلوس على المقاهي وسط المدخنين، وقلت له نتمشى أفضل لتعرفني على شوارع بيلا فانصاع لرأى ولكنه أخذني فى اتجاه بيتهم وأصر على أن أذهب معه. وهناك رحبت بنا الست والدته وشكرتني على اهتمامي ببنتها فقلت لها أنا لم أفعل شيئا . إن اهتمامي بتعليم البنات مسألة أدافع عنها بقوة من أجل تقدم المجتمع وتحريره من العادات والتقاليد البالية.

وقال أديب إن مريم تريد منى أن أشرح لها الجزء اللي فاتها فى الأسبوع اللي غابت فيه. قلت توريني هذا الجزء، وقضيت معها حوالى ساعة أراجع الدرس ثم استأذنت فى الخروج فأصر على توصيلي حتى باب سكنى. وتكرر الأمر بعد حوالى أسبوع أو أكثر وتعرفت على والدها وعرفت أنه يعمل نجارا كما عرفت أن له خمسة أخوة بعضهم يشتغل بتربية النحل وانتاج العسل وأحدهم يملك عددا كبيرا من الفدادين يزرعها ويتاجر فى أشياء كثيرة. ومع مرور الوقت تعرفت على باقي رجال العائلة بعد أن دعيت لتدريس عددا من أبنائهم يستعدون لامتحان الشهادة الاعدادية، وقد أدى ذلك إلى أن أدخل بيوتهم وأتعرف على الكثير منهم. وهكذا لم ينته العام الأول حتى أصبحت صديقا معروفا للجميع، ويتعاملون معي بمودة وكرم فى كل مناسبة ألتقى فيها بأحدهم.، ولم يكن هذا شيئا غريبا على أهل بيلا عموما. فقد تعرفت على عائلات أخرى كثيرة من المسلمين خصوصا من أولياء أمور البنات وكانوا يتلقونني بالترحاب والمودة وذلك لأنني نشأت فى بلد ريفي يتآلف فيه الناس بعضهم مع بعض ولا يعيشون فى حياة منفصلة مثل أهل المدن. وهذا جعلني أحب الجميع وأنظر لهم بتقدير كلما جاء أحدهم لمقابلتي فى المدرسة مما قربنى من الجميع وأشعرني أننى محل ثقتهم.

وأعترف الآن أن افضل سنوات حياتي العملية قضيتها في بيلا وفى ليبيا حيث عشت ست سنوات فى بنغازي لم أشعر فيها بالغربة، وكانت صداقتي مع الكثيرين من أهل بنغازي وتعامل أبنائهم معي فى المدرسة يزيدني حبا وتقديرا لهم، وإيمانا بأنهم لو وجدوا النظام السياسي السليم الذى يحقق العدل والمساواة ويضمن حرية التفكير وحرية الرأي، فسوف يكون لهم مستقبل عظيم فى ظل الموارد المادية والطبيعية الهائلة، حيث الأراضي الشاسعة والأمطار والبترول التي تمكنهم من بناء نهضة زراعية وصناعية. وفى وجودي بين بعض الليبيين فى بنغازي كنت أحس أننى فى بيلا وبين أهلها.

وبالنسبة لأهل مريم فقد أحاطوني بصداقة حقيقية، وفى كل مناسبة سعيدة كانوا يدعونني لمشاركتهم وخصوصا فى مناسبات الأعياد المسيحية التي كنت أقضيها فى سكنى مرغما لأنى حاولت مرة أن أسافر إلى بلدي فوصلت إلى القاهرة لأخذ القطار إلى سمالوط وتصادف ذلك مع أحد الأعياد القومية أو الدينية الأخرى، قلم أجد وسيلة حتى

تذاكر القطار نفذت ولا أمل فى الوصول إليها، واضطررت أن ألقى بنفسي داخل إحدى عربات القطار المكدسة بالركاب ووجدت نفسى محشورا بين الناس لا أستطيع الحركة والالتفاتة. أحسست أننى أختنق فنزلت فى محطة بنى سويف وبعد أن استرحت بعض الوقت على المحطة انتظارا لأى قطار قادم فأخبرنى ناظر المحطة أن اول قطار الى الوجه القبلي سيمر بين الساعة السادسة والسابعة صباحا، ففكرت أن أذهب ألى إحدى لوكاندات المدينة وحملت حقيبتى وسرت فى الشارع الرئيسي، ودخلت لوكاندة وأخرى فلم أجد غرفة مستقلة ونظرت إلى النزلاء فلم أسترح لمنظرهم فحملت حقيبتي وكررت راجعا إلى المحطة حيث قضيت بقية ساعات الليل جالسا على كنبة انتظارا للصباح. وكانت هذه من أسوا ليالي حياتي فقررت ألا أعيد التجربة إلا في أجازة نصف العام أو ألأجازة الصيفية. وهكذا أصبحت مجبرا على قضاء أجازات الأعياد وحدى بعد أن يتركني زملائي إدوارد وعاطف حبيب الذين يشاركونني السكن. كانت رحلاتهم قصيرة إدوارد بعد ساعتين يوصل إلى بنها وعاطف الى القاهرة لقضاء العيد مع أبيه وزوجة أبيه فى شبرا.

أما أنا فكنت أجلس حزينا أحس بالوحدة والغربة بعيدا عن أهلي. وفجأة أجد أديب يدق بابى جاء ليأخذني للاحتفال معهم بالعيد ويقول أن أباه وأمه منتظرين حضوري لقضاء العيد معهم. وهكذا توطدت علاقتي بهم وبمريم خصوصا وأننى كنت أرى فيها صورة الفتاة الذكية والجميلة والمهذبة، وهى الصفات التي يتمناها أي شاب في زوجته ثم وجدت منها ميلا نحوى وقبولا من الأم والأخوة رغم فارق السن بيننا، وهى عشر سنوات وعدة شهور، فتقدمت لخطبتها بعد حصولها على الثانوية العامة والتحاقها بمعهد المعلمات بكفر الشيخ وبعد أن تخرجت ، وتسلمت عملها بإحدى المدارس القريبة من بيتهم، تم الإكليل بكنيسة بيلا في 25 يوليه سنة 1965 في نفس اليوم الذى وضع فيه الزعيم عبد الناصر والإمبراطور هيلاسلاسى حجر الأساس للكاتدرائية المرقسية بالعباسية. وكان هذا فألا طيبا وعظيما. وفى ديسمبر1966 رزقنا بأول الأبناء نبيل ففرحنا به فرحا عظيما وأصبح شغلنا الشاغل وبدأنا نعرف أهمية الأطفال فى حياة الأسرة.

وفى سبتمبر 1967 نقلت إلى الجيزة وتسلمت عملي فى مدرسة البدرشين الثانوية، ورغم اضطراري للسفر أسبوعيا لأولادي وزوجتي في بيلا إلا أننى سعدت بصحبة مجموعة من الزملاء المحترمين والمتعاونين جميعا أذكر منهم الأستاذ عبد الحميد نصر مدرس أول اللغة الإنجليزية، وكان مثلا عظيما في كرم ولطف أبناء الشرقية، والأستاذ عادل بطرس مدرس الرياضيات من أهل شبرا المحبين المحترمين والأستاذ الحكيم ناظر المدرسة وأبناء البدرشين جميعا طلبة وأساتذة، وأشهد أننى قضيت معهم عاما خاليا من المنغصات، وفى بداية العام التالي جاء الأستاذ محمد أحمد المصري الشهير ب (أبو لمعة). وقد كانت هذه الشهرة تملأه بالهواجس من الطلبة والمدرسين، فكان يخطب فينا ويحذر الجميع من ذكر هذه الصفة، ويقول ان اسمه محمد أحمد المصري. وفى يوم من الأيام أبلغه أحد الجواسيس بأنني أتأخر يوم السبت وأخرج بعد الحصة الثانية يوم الخميس،

فشرحت السبب بأنني مجبر لأني أذهب لزوجتي وأولادي في بيلا بكفر الشيخ ولكنني أقوم فى نفس الوقت بتدريس كل الحصص فى جدولى.

14- أبو لمعة المصرى وأيام مع الكوميديا السوداء:

وفى إحدى الإجتماعات جاءته ذنبة أخرى من أحد السفهاء فقال" اسمع يا نسيم أنا ما ينضحكش على، أنا لفيت الدنيا كلها وجابيها من على الأرض"، فضحكت وقلت بس أنا طالع من تحت الأرض. فانفجر جميع المدرسين فى الضحك، وأحس سيادته بأنني غلبته في التنكيت، فحفظها في نفسه. وهنا حدثت بعض المفاجآت الغريبة جدا إذ دخل علينا طالبين أو ثلاثة وقالوا له " عايزين سيادتك تخلى الأستاذ نسيم يعمل لنا مسرحية وأحنا كونا الفريق بس هو متردد " فالتفت نحوى وقال ماتتردتش وشوفلهم مسرحية مناسبة واعملها" قلت حاضر أمر سيادتك، وخرجت في طريقي إلى الجيزة لمقابلة الأستاذ نظمى خليل لأسأله عن موضوع نقلى فأخبرني بأنني نقلت إلى مدرسة الزراعة الثانوية بالهرم. وكانت هذه هي المفاجأة الثانية التي صدمت الناظر، فكما أخبرني أحد الزملاء أننى بمجرد خروجي من المدرسة دخل مدرس جديد وقال إنه مدرس لغة انجليزية بدل نسيم مجلى، فاستشاط الناظر غضبا كيف يحدث ذلك دون علمه. كل هذا كان مفاجأة لى وليس لى يد في ترتيبه، لكنه اعتبره مخالفة يجب أن أعاقب عليها، وهذا من عجائب زماننا الأغبر. فأخذ يطالب المدير العام وكان صديقه بأن يطلب من الأستاذ نظمى خليل نقلى ألى مدرسة الحوامدية كعقوبة حتى لا أكون في الجيزة التي أريدها ولا فى البدرشين التي يقف عليها قطار الصباح.

وكان الأستاذ نظمى خليل يعرف أننى التحقت بالدراسات العليا بمعهد الفنون المسرحية، فنقلني إلى مدرسة الزراعة الثانوية بشارع الهرم ثلاثة أيام، وأذهب يومين الى البدرشين ارضاء لخاطر مدير التربية والتعليم، وحفظا لماء وجه صديقه أبو لمعة الذى أراد أن ينتقم من مدرس لم يستطع ترويضه. وفى نهاية العام نقلت إلى مدرسة أحمد لطفى السيد الثانوية بالهرم، حيث عملت بها عامين مع ناظر محترم انتقل إلى السعيدية ودعاني للإنتقال إليها ولم يلبث أن أحيل إلى المعاش في العام التالى وفوجئنا بمجيء أبو لمعة كناظر للمدرسة السعيدية وأخذ يفرد جناحيه ويستعرض سلطانه فقرر إقامة احتفال كبير بمناسبة العيد الذهبى للمدرسة السعيدية.

وللعلم أنا كناقد أدبى لم أقلل أبدا من دور الأستاذ محمد أحمد المصري كفنان أبدع شخصية كوميدية، وكنت أشاهد برنامجه مع الخواجة بيجو وأضحك أنا ومن معي، وأقدر جهودهما وجهود كل القائمين على هذا البرنامج المتميز، كما كنت إسعد بمشاهدة الفنان القدير جورج سيدهم وسمير غانم وزميلهما الضيف أحمد الذى رحل مبكرا لأنني أعرف أن فنون الفكاهة والكوميديا من أصعب أنواع الفنون، والكاتب المسرحي الفرنسي الشهير جان أنوى يقول" إن أي فنان يستطيع أن يجعل الناس ينسون همومهم ثلاث ساعات وينسون الموت يكون قد قدم خدمة طيبة " فلا يحق لأحد ان يسنهين بهؤلاء الفنانين الذين يصنعون الفرح والبهجة للتخفيف من هموم الحياة. لكن مشكلة الأستاذ محمد المصري هي مشكلة إحساسه بالأهمية الزائدة وهواجسه التي تصور له أن كل من يبتسم أو يضحك

في وجهه إنما يريد السخرية منه. وهى درجة حساسية زائدة تدفعه لمحاولة الإنتقام ممن يقع تحت سلطته من العاملين ليثبت جبروته وقوته. وهذه حالة تصيب الكثيرين في بلادنا المتخلفة ثقافيا واقتصاديا وسياسيا واجتماعيا، والتي يعتمد فيها الترقي في سلم الوظائف على التعصب الديني والنفاق والرشوة والمحسوبية. فلا تستغرب أبدا أن بلدا مثل مصر صاحبة الحضارة العريقة تسير محلك سر على مدى خمسة وسبعين عاما منذ أن حكمها ثوار يوليو سنة 1952 حتى الآن في 2025.

ونعود الى مجيء محمد أحمد المصري ناظرا للسعيدية الثانوية لكى يبدا الفصل الثاني من كوميديا أبو لمعة المصري. وكان أهم فرار أخذه هو إقامة احتفال مهيب بمناسبة العيد الذهبي للمدرسة السعيدية، وشرع في ترتيب الأمور حتى يتم كل شيء على خير ما يرام، وهذا تفكير ممتاز يعطى فرصة للأنشطة الفنية والرياضية لإثبات دورها الهام فى عملية التربية. المهم استبشرنا خيرا وأصبح كل واحد ينشط في مجاله ليقدم مساهمته.

وتصادف في نفس الوقت أننى كنت أدرس لطلبة السنة الثانية رواية إنجليزية اسمها "الوادي الغضبان" The Angry Valley وتحفيزا للطلبة على دراسة هذه اللغة والاهتمام بها قمت بعمل إعداد درامي للرواية، وقسمت طلبة الفصل إلى مجموعات، وطلبت من كل مجموعة أن يوزعوا الأدوار فيما بينهم علما بأن هذه المسرحية فيها فتاتان ضمن الشخصيات وتركت لهم الحرية لمن يختار هذه الأدوار. وكان فرح الأولاد وتجاوبهم مع التجربة شيئا مدهشا، إذ تم كل شيء في سلاسة ويسر، وبدأ التنافس على حفظ الأدوار وتقدم كل طالب لأداء دوره مع فريقه، وكنت أتابعهم يوما بيوم وأشرح لهم طريقة الأداء ونطق الكلام بطريقة صحيحة، ونجحوا جميعا في اتقان أدوارهم. والواقع أننى كنت فخورا وسعيدا بما حققه طلبة هذا الفصل، وما أظهروه من حب وتعاون بعضهم مع بعض.

وذات يوم زارنا الأستاذ نجيب غبريال مفتش اللغة الإنجليزية ودعوته لدخول هذا الفصل، وبدأت فى تقديم الطلبة واخترت مجموعة منهم لتبدأ التمثيل ثم مجموعة ثانية وثالثة حتى انتهت الحصة. وهو يتابع ويبتسم ولا يكاد يصدق ما يرى ويسمع، وفوجئت به فى اليوم التالي قادم إلى الفصل ومعه الأستاذ محمد أحمد المصري ناظر المدرسة، ليشهده على هذه التجربة وقدم الأولاد أدوارهم ببراعة وبثقة تامة وكأنهم ممثلين محترفين. وظهرت علامات الدهشة والاستغراب على وجه الأستاذ محمدأحمد المصرى وهو يهز رأسه وقال أنا عارف إن نسيم بتاع مفاجآت، ثم وجه التحية للأولاد وشكرني وخرج، واقترحت على الأستاذ نجيب أن يساهم تفتيش اللغة الإنجليزية باختيار بعض الطالبات من مدارس البنات للمشاركة في هذه التجربة، وتقديمها في احتفال المدرسة السعيدية. فعرض الرجل الأمر على زملائه وزميلاته من المفتشين وتحمس الجميع للتجربة وأخذت الأستاذة فايزة الجاولى المفتشة المسئولة عن مدارس البنات مهمة اختيار الطالبات وتم الاتفاق مع السيدة نبوية توفيق ناظرة الجيزة الثانوية بنات التي رحبت بالفكرة، واختارت

أحدى المدرسات المهتمة بهذا النشاط وأوكلت إليها مهمة اختيار أربع طالبات والحضور معهن لأجراء البروفات مع الطلبة في المدرسة السعيدية. وتم ذلك على خير وجه.

وفى الوقت المحدد للعرض حضر الجميع وتأهبوا لأداء أدوارهم. وكانت توجيهاتي لجميع طلبة الفصل أن هذه تجربتكم كلكم كفريق ولابد ان يقوم كل واحد منكم بدوره في حماية هذه التجربة. واخترت أربعة منهم وكلفتهم بمهمة حماية خشبة المسرح أثناء قيام زملائهم وزميلاتهم بالتمثيل، واخترت طالبين للوقوف على الجانبين أمام الخشبة والتأهب لرفع الستارة إذا حدث أي طارئ أثناء العرض وسقطت. وكأنني كنت أتنبأ فبعد عشرين دقيقة من بداية العرض تسلل أحد الأشخاص وشد الحبل وسقطت الستارة فعلا وفى لحظات تم رفعها واستمر العرض بصورة رائعة أدهشت المشاهدين الذين كانوا يرون بعض أبنائهم وبناتهم الشباب يتحاورون بلغة أجنبية بهذا المستوى الراقي. صورة الأولاد والبنات على المسرح كانت شيئا راقيا وجديدا فأخذوا يحملقون في هذا المشهد الجميل ويشدون أذانهم للسمع وفى صمت تام كأن على رؤوسهم الطير، فلم تحتمل أعصاب الأستاذ محمد أحمد المصري هذا النجاح فأوحى لأحد صبيانه بشد الحبل لأسقاط الستارة، وقد تأكد هذا من القبض على الفاعل الذى أمسك به الأولاد خلف المسرح، وأخذوه للناظر محمد أحمد المصري حيث كان يجلس، وبعد انتهاء العرض ذهبت إليه لأستطلع الأمر، فقال انا شفت إن الناس مش فاهمين حاجة وقلت كفاية كده. العرض لم يستغرق أكثر من أربعين دقيقة. ولكن أسلوب التدخل لإيقاف العرض كان أسلوبا همجيا لا يصح أن يصدر عن مسئول بهذا المستوى، وحتى لا تسألوا لماذا انتشرت البلطجة والعنف فى صفوف الشباب بداية من هذا التاريخ حتى الآن.

وفى الصباح أرسل الأستاذ محمد أحمد المصري شكوى لمدير التربية والتعليم بأنني حرضت الطلبة على ضرب أحد ضيوفه. والحمد الله أن الأمر كله حدث في حضور المفتشين والسيدة ناظرة مدرسة الجيزة الثانوية وهى اصلا أستاذة لغة انجليزية، وقد هنأونى أنا وزميلتي التي شاركتني في تدريب الأولاد بنجاح التجربة، والأهم أن أولياء أمور الطلبة والطالبات كانوا حاضرين، وبعضهم تحدث معي وعرفت من بينهم مستشار كبير، وطبيب وأساتذة بالجامعة حضروا بصحبة بناتهم المشتركين في التمثيل وكانوا سعداء وفرحين بهذا الحدث. وفى هذا الجو لم أهتم بشكوى أبو لمعة، ولم أفكر فى الدفاع عن نفسى، فالمفتشون كانوا شهود ورأوا كل شيء فشعروا جميعا بأنها شكوى كيدية فبادروا بنقلي ألى مدرسة الأورمان الثانوية بنات، حتى لا يتركوا فرصة لأبى لمعة لمضايقتي. وسوف انشر نص هذه التمثيلية القصيرة في ملحق هذا الكتاب ليعرف الجميع، أننى كنت أقدم درسا في جذب الأولاد وتحبيبهم في هذه اللغة، وفى نفس الوقت تشجيعهم على الكلام بثقة ودون خوف، وفك عقدة ألسنتهم، والحمد لله أننى كسبت محبة تلاميذي واحترامهم في المرحلة الثانوية، وفى الجامعة أيضا طول مدة خدمتي لأنني كنت أسلك دائما بمخافة الله، ولا ألقى بالا لمثل هذه السخافات.

المهم إننى لم أستسلم ولم أغير نهجى لإرضاء هذا أو ذاك من الناس لأن الحق أحق أن يتبع. أما هذه الصراعات وهى متعددة فأنا لم أتمناها ولم أبادر أحدا بالإساءة أبد وإنما كانت تفرض على من التافهين وعديمي الضمائر، وكانت تستفزني وتجهدني أياما وشهورا، لكنى لم أنهزم أبدا وكان المتسببون فيها هم الخاسرون. فماذا يربح الإنسان لو كسب العالم كله وخسر نفسه، هذه آية السيد المسيح له المجد، وهى تمثل بوصلة أخلاقية لي ولكل من يريد لنفسه الخير وسلام القلب والعقل. ولهذا فإنني كنت أشعر أن هذه المعارك تقويني وحين كنت أجلس لأتكلم مع أصدقائي عن هذه المشاكل أتساءل: لماذا أنا بالذات؟ وأنا لم يثبت في عملي خطأ او تقصير أحاسب عليه؟ فماذا يريد هؤلاء الأوغاد منى؟ لقد اعتادوا على الطاعة العمياء وغض الطرف من المدرسين الآخرين عن كل تجاوزاتهم فلماذا لا أكون مثلهم وأخضع؟، ينصحني بعض المحبين الطيبين من زملائي قائلين: يا أخي سيبك من العناد وكل عيش، فكنت أغيظهم أحيانا وأقول بس أنا باكل بقلاوة. وكأن أكل العيش مرهون بترضية هؤلاء االفاسدين.

عملت سنتين بالأورمان الثانوية بنات ثم دعتني المفتشة للعمل بمدرسة دار التربية وهى مدرسة لغات صاحبتها السيدة نوال الدجوى وأغروني بأن جدولي سيكون (12) اثنتي عشر حصة فقط فقبلت، وبعد أجارة نصف العام فرضوا على ست حصص زيادة على الجدول وبدون أجر، ولا فائدة من الشكوى لأن ماما نوال كما يناديها المعجبون، بينها وبين منصور حسين وكيل وزارة التربية علاقة مصاهرة، فضلا عن أنها كانت تمثل حوت كبير ضمن فئة رجال الأعمال الجدد، الذين ظهروا في عصر السادات ومبارك، فقبلت ولا حول ولا قوة إلا بالله. واستطعت عن طريق هذه المدرسة أن أحصل على تصريح بأجازة سياحية لليونان وأخذت الورقة الصفراء، واتجهت إلى الجزائر ومنها سافرت ألى ليبيا حيث عملت ست سنوات في مدرسة بنغازي الثانوية للبنين فى هدوء وإطمئنان.

استمتعت بالتدريس في دار التربية لأنني كنت أقوم بتدريس مسرحيتين لوليم شكسبير يوليوس قيصر Julius Caesar للسنة الأولى وأنطونيو وكليوباترا Antony and Cleopatra لطلبة السنة الثانية ثانوي، وهى من الأعمال التي أعشقها كما أن استجابة الأولاد للدراسة كانت تملأنى بالراحة وبالتفاؤل.والمفارقة الجميلة أننى وجدت مسرحيتى تاجر البندقية The merchant of Venice ومسرحية العاصفة The tempest ضمن مقرر الدراسة بمدرسة بنغازى الثانوية وفى طبعة مبسطة فاستمتعت بفن شكسبير على مدى سنوات، وكان هذا سر حبى لفن المسرح.وكتابة المسرحيات .

ومن الذكريات التي لا أنساها لدار التربية هى لقائي بالمرحوم فريد حبيب مدرس الطبيعة حيث تعارفنا وصرنا أصدقاء حتى توفاه الله حوالى 2015، وكان صديقا أصيلا وكريما.

أما أكبر المفاجآت فقد حدثت حين زار المدرسة السفير على حبيب هو والسيدة زوجته، وكانت أستاذة جامعية حاصلة على الدكتوراه في الأدب العربي وطلبوا مقابلتي، ورحبت بهم فأخبرونى أن محمد رافض يحضر للمدرسة لأن بعض زملائه يسخرون من لهجته بدرجة أغضبته منهم. وباعتبارك رائد الفصل قلنا نعرض عليك المشكلة، فطمنتهم وقلت المسألة بسيطة وسوف تحل بإذن الله. والمشكلة إن محمد كان يدرس فى المجر حيث كان والده يعمل هناك سفيرا لمصر، وهذه أول سنة له بهذه المدرسة، وقبل ان يتأقلم مع البيئة والوسط الذى ينحرك فيه هنا فى مصر، بدت لهجته فى الكلام غريبة فأخذ بعض طلبة الفصل يقلدونه بدافع المزاح معه وربما السخرية. فلم يحتمل هذا منهم.وادى هذا إلى ردود خشنة من جانبه، فقاطعوه فشعر بالعزلة مما جعله يرفض الحضور إلى المدرسة .فرأيت أن أواجه طلبة وطالبات الفصل. وقلت لهم أنا انظر إليكم جميعا كاولادى، ويهمنى نجاحكم وتفوقهم فى العلم وفى الأنشطة الفنية والرياضية، وأفرح لفرحكم ويؤلمنى أن أسمع أو أرى أحدا منكم متألما أوحزينا. إن زميلكم محمد حبيب غضبان من تصرفاتكم معه، وأنا أسأل كل واحد فيكم أن يضع نفسه فى مكان محمد،وأسأله هل كان يقبل أن يسخرمنه أحد أو يسىء إليه بأى كلمة. وهنا أحس الأولاد بالحرج الشديد وقال بعضهم إنهم كانوا يمزحون واعتذروا لمحمد ووعدوا بأنهم سوف يصالحوه ويشركوه معهم فى كل المناسبات الطيبة. وفعلا أوفوا بالوعد فشكرتهم لهذه الاستجابة السريعة وبمتابعتى لأخبارهم تأكد لى عن طريق محمد أن تعاملهم معه فى تحسن مستمر. والواقع أن الأولاد كانوا أذكياء وعلى مستوى راق من الأخلاق وكنت سعيدا بالتدريس لهم.

وفى المرة الثانية لما حضر الأستاذ على حبيب والسيدة زوجته وقابلونى سألتهم عن أحوال محمد . فقال الوالد: إحنا جابيين عشان نشكرك على ما فعلته من أجل محمد. قلت أنا معملتش إلا واجبى كمعلم، وأنا بمجرد ما لفتم نظري في المرة السابقة للمشكلة، تكلمت مع الأولاد والبنات ونبهتهم للتصرفات التي كانت تغضب محمد منهم فاستجابوا لنصيحتي واعتذروا له وبدأوا يشاركونه حفلاتهم ورحلاتهم، وهكذا تم التناغم بينهم جميعا. قالوا لآ أنت عملت الكثير لأن محمد تغير بدرجة كبيرة وًصار يحب المدرسة ويشارك زملاءه في كثير من المناسبات بفرح وهذا يسعدنا لأن محمد هو أبننا الوحيد وغالى على العائلة كلها ولازم تطلب أى حاجة عشان نقدمها لك فشكرتهم، قالوا أطلب

15- لقاء مع المستشار أنور حبيب المدعى الإشتراكى

أى خدمة يعنى معندكش مشكلة نساعدك في حلها، فابتسمت وقلت وأزاي هتحلو مشكلتي؟ فأخبرني أنه أخو المستشار أنور حبيب المدعى الإشتراكى. قلت إذن أنا مشكلتي مع التعليم وحلها عند وزير التربية والتعليم، وحكيت مظلمتي فأعطانى موعد للذهاب لمقابلة المستشار أنور حبيب وذهبنا في الموعد ورحب بى سيادة المستشار واحتضنني وربت على كتفي وطمأنني ، وقال أنا طلبت أشوفك عشان أشكرك ,محمد غالى علينا كلنا وانت عملت شيء جميل أسعدنا جميعا.: قلت لقد أخجلتموني بهذه المودة الزائدة وقدمت له الأوراق وهى عبارة عن طلب أجازة بدون مرتب للذهاب ليبيا أو إعطائنا حقنا فى الأعارة إلى ليبيا أو عمان لأنهم يقبلون مدرسين مسيحيين فوعدنى بأنه سوف يتصل بالوزير ويحل هذه المشكلة. وفى هذا العام وقع الصدام بين مصر وليبيا 1977، وبعد هجوم الطائرات المصرية على الشقيقة ليبيا حدثت القطيعة، وتم إلغاء إعارات المدرسين إليها، ولم انتظر نتائج هذا الصراع ، فأخذت تأشيرة دخول من سفارة ليبيا في الجزائر بناء على العقد الذى معي، وركبت الطائرة إلى مطار طرابلس الدولى واستقبلنى الجميع باحترام ومودة حتى سائق التاكسى الذى أوصلنى إلى الفندق كان لطيفا وودودا وقضيت أسعد سنوات عملى مع الليبين وأولادهم .

وكانت أولى التجارب السيئة التي وأجهتني.، في بداية عملى بالتعليم هي ما حدث في مدرسة بيلا الثانوية، إذ ذهبت للمدرسة صباحا لكى نسجل نتائج الآمتحان ففاجأني الأستاذ فتحي الشناوي رئيس الكونترول بورقة لأحد طلاب الفرقة الأولى وفيها سؤال لم يتم تصحيحه، وأخبرنى أن هذا الطالب هو الراسب الوحيد في الصف الأول، وأخبرني أن عدد الراسبين بالليل كانوا خمسة والناظر طلب زميلي عاطف وأمره برفع درجات أربع ورقات ولم يطلب منه مراجعة هذه الورقة. فنظرت في الورقة فعرفت أننى مسئول عن هذا السؤال وقلت اصحح غلطتي والطالب يأخذ حقه، فأمهلني لحين استشارة الناظروقال لأنه سوف يسألني كيف خرجت هذه اورقة من الكونترول؟ وأنا هاقوله إنها وقعت على الارض أثناء جمع الاوراق وبالصدفة شفت السؤال حتى لا يحملني مسئولية الكشف عن أسرار الكونترول.

المهم أننى تمسكت بتصحيح الورقة لكن الناظر يرفض بحجة انه أبلغ المديرية بنتيجة الإمتحان ولا يصح عمل أي شيء آخر. فرفضت هذا المنطق في حضور عدد كبير من زملائي وقلت بالحرف الواحد: هذه غلطتي وأنا مستعد لقبول أي عقوبة لكنني أرفض أن تضيع سنة على هذا الطالب المسكين نتيجة غلطتي أنا، فهددني الناظر وقال انت لسة اسمك بالقلم الرصاص في الوظيفة. فقلت تفضل سيادتك حقق معي وقرر أي عقوبة تراها بعد أن ياخذ هذا الطالب درجته وينجح، وسوف أكون شاكرا لك لأنى هنام مرتاح الضمير. وأمام هذا الإصرار وافق الناظر على تصحيح السؤال وأعطيته درجة النجاح وظهرت السعادة على وجوه زملائي جميعا الذين ساندوني ودعموا موقفي. اما

الناظر فطلب منى أن أكتب اعتذارا أقول فيه أننى فوجئت أثناء التصحيح بمغص كلوى شديد فلم أنتبه لوجود هذا السؤال في آخر صفحة وهكذا انتهت المشكلة.

المحزن فى الأمركما علمت أن الناظر أمر برفع درجات ثلاث بنات وولد من أقارب زوجته ولم يطلب رفع درجة مجدى حنين وهو المسيحي الوحيد. وهذا التصرف أغاظ رئيس الكونترول فتحي أحمد الشناوي الذى لم يسمح بتمرير هذه الجريمة فأمسك بالورقة وسلمها لى وحملني المسئولية لكى يبرئ ذمته، وقد استحق الشكر والتقدير منى ومن كل الزملاء الذين استبشعوا هذا التصرف من ناظر المدرسة. بعد ذلك عشت في هدوء واحترام متبادل ثلاث سنوات مع هذا الناظر، لكن لاحظت أن الأستاذ أحمد عبدالله إسماعيل أمين المكتبة يبدل اسمينا عند الاجتماع العمومى، فيكتب في كشف الحضور أحمد مجلى إبراهيم ونسيم عبد الله إسماعيل، ولما سألته عن السبب فأخبرني نكاية فى الناظر لأنه غير مرتاح لصداقتنا،

والحقيقة أن هذه الصداقة استمرت سنوات طويلة حتى بعد أن نقل أحمد من بيلا ألى مدرسة كفر الزيات الثانوية دعاني لزيارته، وقضيت يومين في ضيافته وكانت زوجته السيدة رقية وهى من بيلا أصلا وأخت إبراهيم الوصيف أحد تلاميذي المتميزين والذى كان يحفظ بعض قصائدي الشعرية ويرددها، وأحب أعترف هنا أن أحمد عبدالله كان أول من أقترح فكرة زواجي من تلميذتي مريم وكانت زوجته متحمسة جدا لهذا الاقتراح اعتزازا منها ببنات بلدها. وهذا يعنى أننا كنا أصدقاء وحبايب ونتشاور كالأخوة العقلاء، وظلت هذه العلاقة قوية حتى بعد ان نقل هو ألى القاهرة، ونقلت أنا إلى الجيزة ودخلت في هذه الصراعات التي انتهت بتركي هذه الوزارة والذهاب ألى ليبيا. وعند عودتي وجدت أحمد قد تولى منصب وكيل أول الوزارة. ففرحت لأن أحمد كان على خلق قويم ولا يقبل الغش ولا الرشوة فهنأته وهنأت نفسى، وأشهد أنه لم يتأخر أبدا في تلبية أي توصية وحل أي مظلمة لبعض أقاربي وأصدقائي. كان احمد عبدالله من معدن أصيل وصديق حقيقي حتى توفاه الله في سنة 2001 رحمه الله هو وزوجته الفاضلة وبارك في ولديهما.

أما زميلي وصديقي الثاني الشاعر اللوذعي محيى الدين الباز، فكان أستاذا للغة العربية وكان يجمعنا معا الحديث حول الأدب والشعر، وذات يوم قرأ على قصيدة هجاء لحضرة الناظر أتذكر بعض أبياتها الساخرة التي يقول فيها:

قالوا يصلى وفى القرآن خلوته فما باله للبنات البيض يحتال
إذا أتته فتاة مد قامته وقام يعدو من الترحال شيال

ثم يقول:

واجعل لحلمى على الأعمال هيمنة فالخرج حلمى ومن يرضيه أندال

كان الناظر اسمه حلمي وكان اسم البواب حلمى فحدث التطابق بين الاسمين في البيت الأخير. وكان محى الدين الباز يملك حسا ساخرا وقدرة على اختيار اللغة الشعرية

حتى فى نثره. وقد نقل إلى المنصورة بلده ومنها أعير إلى لبنان، وأمامي خطاب أرسله من مدرسة صيدا بلبنان في 24 أبريل 1965، يعطى مثالا على رقة التعبير وجمال اللفظ حيث يقول:

تحية طيبة، وأشواقا خالصة، وسلاما كريما وبعد،

فقد وصلني خطابك الصادق الود، الصافي المشاعر بعد طول انتظار، وامتداد أجل، ولقد سرني منه أكثر من شيء:

إنتاجك الأدبي الذى أرجو له إتساعا، وعمقا، وشمولا ليكون اللسان الفاعل، والكلمة الرائدة للإنسان في بسمته، وعبوسه. ولقد سألتني رأى فإنني على ثقة بأن عاطفتك وقلمك يملكان وحدهما صادق الرأي، وصائب الجواب. وسيان في إصرار العاطفة على التعبير أن يكون الأديب وحده أو مع الناس، أومع زوجة ذات أولاد..

وسرني من خطابك إنهاؤك ترجمة كتابك، وسعيك لنشره، ثم تحقيق بعض النجاح في إبرازه للحياة، وأرجو يوما يحقق لك من الذيوع، ولاسمك من الشيوع ما يجعلك المطلوب لا الطالب، والمخطوب لا الخاطب.

وسرني ختاما نبأ اقتراب زواجك، وكم أتمنى صادقا أن تحظيا بحياة سعيدة منتجة إلى أمد بعيد في الأدب والعمل الناجح، وإلى أمد قريب في الذرية والبنين، ولعلك معي في أن الأدب والفقر ليسا على وفاق.

تهنئتي للزميل بكل ما يسر، وإلى التلميذة الأخت أسمى الأماني، وأطيب الآمال، ونحن ملزمون بدافعين الى الحضور لتهنئتكم فى الصيف القادم. وأستأذنك أخيرا في تهنئة الأخت متمنيا لها معك أطيب حياة، وأجمل أيام فوق ما تخيلت في أرض لبنان، وأسمى ما تصورت في ربوعه من فتنة، وإلى اللقاء يا عزيزي.

أما من ناحيتي أنا فقد وفقت في إنشاء أكثر من قصيدة كلها في الغزل،وإن كنت الآن أنشيء قصيدة اخترت لها عنوان " أنا الإنسان " كما قطعت مرحلة كبرى في دراسة الإنجليزية، وأرجو لك ولى مزيد تقدم، ودوام توفيق.

وطبعا أبعث بأطنان السلام لتوزيعها على مستحقيها ممن ترى أولويته في هذه الثروة الوهمية.

محى الدين الباز – لبنان-صيدا - مدرسة صيدا العربية - 28 أبريل 1965

وفى25 نوفمبر 1961 ،صدمنا جميعا هيئة التدريس وناظر المدرسة ببيلا الثانوية بخبروفاة الأستاذ محى الدين حجازى مدرس أول اللغة العربية فاجأة، وهو يبدو كأنضر مايكون صحة وأوفر مايكون شبابا ونشاطا. مات فى الثانية والثلاثين من عمره. وقد أصابنا جميعا بحزن شديد. إذ كان رحمه الله يتحلى بأخلاق كريمة، كان مرحا بشوشا يتحاورمعى بالعقل والمنطق ويتميز بالرقة والسماحة. فحزنت عليه وبكيت من اجل أسرة سقط عائلها وتكسرت أجنحتها وصارت فى مهب الرياح. خصوصا وأننى فقدت أبى قبل أن اتجاوز الثالثة من عمرى، وأعرف معنى موت الأب، فلم أتمالك شعورى وكتبت هذه الأبيات وقرأتها فى حفل تأبين هذا الزميل العزيز.

هذى النهاية لم نكن نبغيها إن البداية لم نكد نبديها
شهران مرا مثل لمحة خاطر وبقت شهور العام كى نقضيها
فلم التسابق والتسرع ياأخى تلك النوايا لم تكن تبديها
قد كنت بشا ساخرا فى رقة نعم الشمائل فى الثرى تخفيها
قد كنت حزما قاطعا فى قوة قد كنت سمحا لاترى التسفيها
قد منيت الأوطان فيك خسارة والصدق مطلبها فى خير بنيها
أبكيك محى وقد بكى قلبى معى فمن لى بغيرك للحجى يأتيها
اغتالت الدنيا شبابا قبلنا ومضوا جميعا لم يعمروا فيها
الدنيا غادرة ونحن نرومها إن أمهلتنا قد مشينا تيها
ومضينا للآمال نخطب ودها ونقيم عمدا راسخة نبنيها
الموت حق والحقيقة مطلب والدنيا لهو قد نمتع فيها
يا أبرأخ وأكرم صاحب هذى الحياة لاتبر بنيها
أضحت محافلنا بفقدك مأتما قد كنت نجما ساهرا يحييها

وفى أحد الأيام طرحت عليّ زوجتي هذأ السؤال: ليه انت في كل مدرسة تعمل خناقة مع الناظر؟ قلت أنا لا أكره أحدا، وليس بيني وبين أحد منهم أى مشكلة، ولكنه سوء فهم من ناحيتهم إلى جانب مشاعر الكبرياء والرغبة في التسلط، وأنا كمدرس شغلتي مع تلاميذي فلو كانت هناك شكوى من الأولاد لحق للناظر أن يحاسبني، لكن علاقتي بأولادي علاقة طيبة جدا، وهنا تكون المشكلة هي في عقول النظار، وأساس المشاكل كلها هو الفساد الضارب في كل أجهزة السلطة في مصر مما يؤدى بدوره لاختيار الفاسدين ووضعهم في المناصب الرئيسية.

كنا في هذا الوقت نستعد للإحتفال صباح اليوم التالي بعيد القيامة المجيد. فقلت لها بكره العيد وإيه رأيك لو عزمت حضرة الناظر للغداء وجبته هنا؟ قالت تبقى جدع! وفى الساعة الواحدة ذهبت للمدرسة وهى قريبة من بيتي وفى صالة المدرسة سلمت على بعض الزملاء ثم دخلت على الأستاذ عبد الرحمن ناظر المدرسة وألقيت عليه تحية الصباح فأستغرب حضوري، وقال أنت جاي ليه انتم مش عندكم عيد؟ فقلت: ملقتش حد جانى يعيد على فجئت أعيد عليكم. رد في الحال قائلا احنا بنعيد عليك. قلت المعايدة ما تنفعش هنا. حضرتك تيجى تشرفني في هذا اليوم. رد وقال خلاص مرة تانية وكل سنة وانت طيب. فقلت يا حضرة الناظر انت لازم تشرفنا النهاردة عشان نقعد مع بعض شوية بعيدا عن جو العمل وأنا واثق إنك هتنبسط معايا وأنا مجهز لسيادتك زجاجة فرنساوى من مشروب أهل الجنة ماحصلتش. فضحك وقال طيب روح انت وبعد نصف ساعة هاكون عندك.

صدقوني إن اقسمت لكم أنه لم يكن في بيتي أي نوع من الخمور فأسرعت ألى جارى فوجدت أخاه الأصغر فأعطيته خمسة جنيهات وقلت: أرجوك يا صدقي روح لمحل مخالى في شارع مراد بالجيزة، وهات زجاجة كونياك من أحسن نوع عنده بأسرع ما يمكن، وجاء بالطلب قبل حضور الناظر ومن محاسن الصدف أن زوجتي كانت مجهزة لنا بطة ولحم وفراخ ومكرونة باشميل استعدادا ليوم العيد عشان أى ضيف ييجى، وكنا في غاية السعادة باستقبال الناظر في بيتنا، وتناول الغداء معي، وتحدثنا طويلا حديث كله مودة من جانبى لكى أزيل أي سوء فهم بيننا. وعرفت أنه ذواق يعرف كيف يستمتع بهذه المشروبات الجيدة. وخرج مبسوطا بهذا الود الذى جمعنا في هذه المناسبة العظيمة، وراح بطيبة قلبه يحكى لأصدقائه المقربين من زملائي ويثنى على شخصي فخافوا أن تميل الدفة ناحيتي فقالوا له لأ ده مش من طبع نسيم. ده عمل هذا عشان يمسك عليك واحدة، وهكذا استطاع الأشرار والانتهازيون أن يقلبوا الرجل ضدي، فعاد لجر الشكل معي ومحاولة توريطي في المشاكل فكلفني بالإشراف على امتحان إحدى المدارس الخاصة. فرفضت وقلت سيادتك ممكن تكلف زميل اخر ممن يحبون هذه المهام اما أنا فلن اذهب. فثار وطلب وكيل المديرية وشكاني له.

وجاء الرجل الى المدرسة ومعه مفتش اللغة الإنجليزية، وقبل أن يسألني سيادة الوكيل عن شيء سأل الأستاذ شكري رياض وكيل المدرسة عنى. فقال له أن ما يفعله

الناظر مع نسيم شيء لا يطاق ولو فعله مع شخص آخر ربما لحدثت مصيبة، فاقتنع الرجل ببراءتي عندما أوضحت له الأمر كله. ثم جاء الأستاذ إبراهيم الغمراوي مفتش اللغة الإنجليزية الذى حضر مع الوكيل وأمسكني من يدى وأخذني ليصالحني مع الناظر وقال لا تغضب هذا رجل أهبل لأنه قال إنك بتحرض الطلبة المسيحيين على المسلمين لأنه فاكر إنى أنا معرفكش. وقال للناظر شوف يا أستاذ عبد ارحمن أنا شايف إن حضرتك واخد فكرة غلط عن نسيم وأنا عايزك تبص له زي ما بتبص لباقي زملائه فقال طبعا وأنا بينى وبينه ايه، قلت لا شيء يا حضرة الناظر هي بس قلة بختى أنا؟!

لم يجد الناظر سببا حقيقيا لشكواه فقال هذا الكلام الأحمق، وهو يعرف في أعماقه أن هذا ليس من طبعي كما أننى أشهد أنه رجل طيب وبسيط ولا يعرف التعصب الديني لأن أصدقاءه المقربين جدا كانوا مسيحيين. والحمد لله أننى أعرف أن التعصب الديني أوالعرقى لا يصدر إلا عن نفوس مريضة أو عقول أغلقها الجهل وقلوب لا تعرف المحبة،

+++++

القسم الثالث: الإشتغال بالكتابة

16- البدايات والطموح

بدأ الأمر مبكرا جدا في مدرسة القرية. استهوتني اللغة العربية بجرسها ونغماتها الجميلة فى الأناشيد المدرسية، وقصائد الشعر وآيات القران، والمدائح والتراتيل الكنسية بل وفي المواويل الشعبية وأقوال شاعر الربابة، ذلك الفنان الكبير الذى كان يزورقريتنا كل عام ليقضى أسبوعا فتتحول الحياة فيها إلى مهرجان فنى عظيم. كان يحكى لنا حكايات أبى زيد الهلالي والزناتي خليفة وغيرهما. وكنت أتمثل ذلك وأحفظه وأحاول أن ارتله وأغنية ولا انسى دور هذا الرجل الطيب المفضال الشيخ محمود هارون مدرسي بمدرسة القرية، إذ كان يعجب بقدرتي على الحفظ ويفرح بي ويشجعني على حضور حصص الدين الإسلامي، لكى أنافس زملائي من الطلبة المسلمين فى تسميع آيات القران الكريم وشرح معانيها. وكذلك كان الشيخ محمد عبد الظاهر الذى درست على يديه عامين فى تلك المرحلة بالقرية وكان يوليني عناية كبيرة ويشجعني فى هذا الاتجاه.

كانت هذه الذخيرة تمثل قوة دفع كبيرة حين عدت للدراسة بعد انقطاع، إذ وجدتني أتمتع بدرجة من النضوج تفوق زملائي جميعا، تجعلني التهم كل ما يقدم لى من علم وفكر فى اللغات أو المواد الاجتماعية والعلوم. واحتفظت بالمرتبة الأولى على زملائي فى المدرسة حتى الثانوية العامة.

لم تكن حياتي ميسورة ماديا ولم تخلو ابدا من المعاناة، وكأن الأقدار قد تحالفت جميعا ضدي، ففاجأني المرض في بداية المرحلة الثانوية فى شكل مغص كلوى ينتابني من حين لآخر نتيجة وجود حصوات في الحوالب، لم يفلح معه العلاج وكنت اعتمد فى تخفيف آلامه على المسكنات. وامتدت وطأة هذا المرض فى مرحلة الدراسة الجامعية مما اضطرني لتسليم نفسى لمبضع الجراح لإجراء ثلاث عمليات بمستشفى الطلبة بجامعة القاهرة، وكانت العملية الرابعة بعد تخرجي بسنتين في اكتوبر سنة 1962، إذ تخلصت نهائيا من مرض البلهارسيا، ومن تلك الحصوات اللعينة التي كانت تجعل حياتي جحيما. وبعد ثلاثين عاما في سنة 1992 اكتشفت أثناء أزمة صحية أن كليتي اليمنى مصابة بفشل مزمن، وقد تم استئصالها بعملية جراحية بمستشفى كليفلاند كلنيك في أبريل 2005. وتصادف أن الجراح الماهر الذى قام بالعملية كان تلميذا لى هو الدكتور عمرو فرجاننى، أخصائى المسالك البولية، فعندما أبلغوه بوجود حالة فشل كلوى باسم نسيم مجلى جاء مسرعا إلى غرفتي يقول سلامتك يا أستاذي أنا عمرو فرجاني تلميذك بدار التربية.

أرهقني هذا المرض ماديا ومعنويا وبدد معظم طاقتي ورغم أننى تحملت كل آلام المرض والفقر ببسالة، وتغلبت على كل عوامل الإحباط، وحققت النجاح عاما بعد عام إلا أن هذا المرض اللعين قد أضاع على فرص التفوق فى الدراسة بالكلية حتى الليسانس.

لكن الأمر لم يخلو من فائدة، فقد أكسبتني هذه التجارب المريرة عزيمة قوية صلبة، وشجاعة على التعبير عن الرأي وصدق القول ولازلت احرص على هذه الخصال مهما كلفني ذلك من عنت واضطهاد. كذلك أفادني المرض علما غزيرا. إن اللغة العربية قد استهوتني في فترة مبكرة، وبمرور الأيام ازداد عشقي لها. فكنت حين ينتابني المغص وادخل إلى فراشي كنت أمسك بكتاب " المختارات " فى الشعر والنثر لأقرأ قصائد الشعر وأحفظها. وكان هذا الكتاب يتكون من ثلاث مجلدات درستها واستوعبت معانيها، وحفظت معظم ما فيها من شعر ونثر. وبعد ذلك بدأت فى تقليد هذه الأشعار شيئا فشيئا فى كتابة قصائد فى المناسبات الاجتماعية والوطنية، ثم بدأت اكتب ازجالا ساخرة اتندر بها مع أصدقائي وزملائي في المدرسة، وكذلك كنت اكتب لأصدقائي خطبا وأزجالا يلقونها فى احتفالاتهم العائلية كزواج الأخ أو الأخت.

لم اكد ابدأ دراستي الجامعية عام 1956 حتى وقع العدوان الثلاثي على مصر بسبب تأميم قناة السويس، فتوقفت الدراسة وانشغلت مصر كلها بمقاومة العدوان وتحرير بورسعيد. وتأكد لنا بعد خروج الانجليز والفرنسيين والإسرائيليين أن هؤلاء الأعداء لن يغفلوا عنا ابدا وسوف يحاولون باستمرار انتهاز الفرص لاحتلال أرضنا وجرنا إلى التبعية. وان معركة التحرر الوطني معركة طويلة قاسية تستلزم تضحيات هائلة، ولن نصل إلى الاستقلال الحقيقي الا بتحقيق تنمية شاملة اقتصادية واجتماعية وسياسية لأنه لا حرية لمواطن فى بلد محتل، ولا حرية لوطن الا بتحرير ابنائه جميعا من الفقر والمرض والجهل.

عدنا إلى الدراسة عقب العدوان الثلاثي في شهر نوفمبر 1956، وبدأ ينفتح أمامي عالم جديد فى أدب الرواية والمسرح والقصة القصيرة والنقد، وآخذت أتعرف على ألوان جديدة من الفكر السياسي والاجتماعي، بل وأخذت أتابع باهتمام قضايا النضال الوطني والقومي وحرب فيتنام ومشاكل التفرقة العنصرية فى أمريكا وأفريقيا.. وأتردد على الندوات الأدبية اسمع واري وأتعرف على الكتاب والنقاد، وعلى دور الأدب والفن والثقافة القومية فى بناء مجتمع أفضل. بل شاركت مشاركة فعالة مع زميلي الراحل نسيم ابراهيم على مدى سنتين فى تنظيم برامج ندوة ناجى التى كانت تعقد أسبوعيا فى بيت الأستاذ محمد ناجى بميدان الدقى في ذكرى الشاعر الكبير الراحل إبراهيم ناجى صاحب قصيدة الأطلال ، وكان يرأسها أستاذي الدكتور شوقي السكرى، وكثيرا ما قمت بدعوة الشعراء لإلقاء أشعارهم ودعوة المؤلفين لمناقشة كتبهم. وكان حضوري هذه الندوة يمثل لى لحظات راحة واسترخاء وهروبا من الام المرض التي كانت تنتابني فى أغلب الأوقات.

وفى هذه الفترة التي قرأت فيها لشكسبير ومارلو وماثيو ارنولد و ت. س اليوت، تعرفت على الفرق بين الأدب الحقيقي وأدب الدعاية. الأدب الحقيقي يبنى الإنسان ويؤكد حريته ويساهم فى صياغة رؤيته لقيم العدل والخير والجمال. أما أدب الدعاية فهو أدب سطحي غوغائي كل مهمته هو الترويج لأفكار السلطة الحاكمة والطبقات المهيمنة. وهذا النوع لا يشبع تطلعات الإنسان الروحية والعقلية ولا يسهم أبدا فى قضايا التعليم والتربية

– وهو سمة من سمات التخلف الثقافي والاجتماعي فى المجتمعات التي يحكمها العسكر او تسيطر عليها الديكتاتورية.

كتبت فى هذه المرحلة بعض القصص القصيرة، وبعض قصائد الشعر. ولم اهتم بالنشر ابدأ إلا بعد التخرج فنشرت فى 23 ديسمبر 1961 أول قصيدة عن تحرير القناة وكانت من الشعر التقليدي الجهير الصوت. وكتبت عن ثورة الجزائر ونددت بصفقة الأسلحة الألمانية لإسرائيل فى قصيدة من الشعر العامي. أذيعت فى احد برامج الإذاعة سنة 1967. وإلى جانب ذلك كتبت الأشعار والأغاني العاطفية التي كنت أقرأها فى الندوات والاجتماعات الخاصة مع أصدقائي. ولكنى لم أعتبر نفسى شاعرا ولم أرضى عن مستوى شعرى حتى وإن رضى عنه آخرون، وأخذت اهتم بالأشكال الأدبية الأخرى وبخاصة المسرحيات العالمية واتابع الجديد، وبدأ الاهتمام بمسرح بريخت فى مصر فأخذت أقرأ أعماله وترجمت عنه كتابا لأستاذ بجامعة كمبريدج هو رونالد جراي وهو دراسة موضوعية جادة لأعمال بريخت ونظرية المسرح الملحمى كتابة وإخراجا،

ولابد أن اعترف ان قصة نضال بريخت من أجل مسرح جديد يتناول قضايا الأنسان المعاصر قد بهرتني فيها مواجهته للديكتاتورية النازية، وسخريته من بيروقراطية الحزب الشيوعي، واحتقاره للمجتمع الرأسمالي الأمريكي، وتطلعه لعالم أفضل يسود فيه العدل والحرية. سلمت الترجمة لدار النشر 1965 وصدر الكتاب سنة 1972. نقلت لأحدى مدارس الجيزة في خريف 1967. والتحقت فى 1968 بأول دفعة للدراسات العليا بمعهد الفنون المسرحية بأكاديمية الفنون. وحصلت على الدبلوم سنة 1970 بامتياز مع مرتبة الشرف، وكان ترتيبي الثاني بعد صبري حافظ وجاء بعدى في الترتيب سمير عبد الباقي. كنا الثلاثة الناجحين من بين أفراد الدفعة وعددهم سبعة.

كانت خطة الدكتور ثروت عكاشة من الدراسات العليا التي أنشأها واختار لها الدكتور مصطفى سويف كعميد للأكاديمية، هو تخريج كوادر مؤهلة جيدا لتكوين هيئة التدريس بمعاهد الأكاديمية. ولكن حدث تغير سيأسى 1970 بتولي السادات حكم مصر، وجاء إلى الأكاديمية رشاد رشدي ليبدأ عهد الشللية كعادته. وأضاع على فرصة التعيين بمعهد الفنون المسرحية إذ رفض مشروعي للماجستير عن ألفريد فرج، وطلب منى أن أكتب عن مسرحياته. لكنى لم أيأس وأخذت انشر مقالاتي بمجلة المسرح والمجلات الثقافية في مصر والدول العربية. وفى نفس الوقت فكرت فى كتابة مسرحية تتناول صراعنا مع الصهيونية فى إطار تاريخي يصلح لمخاطبة الرأي العام العالمي، الذى يجب ان يعرف هذا العدوان وأبعاده ضدنا وضد الإنسانية عموما. وهنا اتجه ذهني إلى موضوع وثيقة التبرئة التي أصدرها الفاتيكان سنة 1966 لتبرئة اليهود من دم المسيح.

(حول تأثير هذه الوثيقة راجع كتاب (الإسلام والعروبة في عالم متغير) للدكتور عبد العزيز كامل.

كان غرض اليهود من هذه التبرئة هو التخلص من النصوص التي تتردد في كنائس الغرب، وتصب اللعنة على اليهود لأنهم قتلة المسيح. وبإزالة هذه النصوص

المعادية فأنهم يضمنون تعاطف الأجيال الناشئة معهم، حتى تنفتح لهم أبواب المعونات على مصاريعها لتدعيم إسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات.

وعارضت الكنيسة المصرية الوثيقة، ووقفت الصحافة المصرية في عهد عبد الناصر ضد هذه التبرئة لأن مقاصدها سياسية واضحة لخدمة إسرائيل. وتأملت الأمر جيدا، وكتبت مسرحية القضية لأضع الجريمة الجديدة جريمة اغتصاب فلسطين أمام طلب التبرئة لأكشف عن هذا التناقض. فكيف تجوز تبرئتهم وهم يرتكبون المجازر كل يوم وكما يقول الراوي:" فالجريمة المستمرة هى موضوع القضية والمحاكمة ما انتهتش لكن العدالة جاية".

وهنا ظهر رشاد رشدي ليعترض طريقي فى المسرح أيضا، واستخدم نفوذه لتمرير مسرحيته "حبيبتي شامينة" واسناد اخراجها لسمير العصفوري بدلا من مسرحيتي. وكانت مسرحية رشاد رشدي تروج لفكر السادات وتشير من خلال الرمز "شامينة " الى ان فلسطين قد اغتصبت عن طريق الصدفة، وان أخوة شامينة قد باعوها لأبناء سليمان أى ان العرب باعوا فلسطين. وقد سقطت المسرحية سقوطا ذريعا وعرضت فى المغرب فهاجمها الجمهور المغربي وضربوا الممثلين بالبيض والطماطم. وكنت نقطة سوداء فى تاريخ المسرح وتاريخ الفنان سمير العصفوري.

كتبت هذه المسرحية فى عام 1969 باسم " القضية " وتمت مراجعتها وإضافة مشهد ختامي بعد انتصار اكتوبر المجيد. وقدمتها لهيئة المسرح سنة 1973، وتحمس لها المخرج الفنان سمير العصفوري وممثلو مسرح الطليعة الذى كان يديره وطلب من هيئة المسرح أن توافق على انتاجها وعرضها على خشبة المسرح القومي، وكتب تقريرا بتاريخ 10 اكتوبر1973، جاء فيه:

" إن هذه المسرحية تقدم فيضا من الكشف المستمر لبذور التآمر اليهودي ضد أنبياء الله، المسيح ومحمد كما تكشف عن جذور الإرهاب الصهيوني ومظاهره فى العدوان على شعوبنا العربية فى فلسطين والجولان وسيناء.

" إنها رؤية مسيحية ورؤية وطنية ورؤية قومية فى أن واحد تكشف أن إسرائيل هى المرض وهى السرطان الذى يجب علينا أن نحاربه ونقضى عليه."

إلا أن المسرحية واجهت معارضة من بعض أعضاء اللجنة المركزية بهيئة المسرح، والسبب كما كتب أحد الأعضاء أن المحور الأساسي فى المسرحية هو صلب المسيح، وهى مسألة ينكرها القرأن وقد تدفع بعض المتعصبين لحرق المسرح. وخروجا من هذا المأزق طلب منى الأستاذ سمير العصفوري يأن أعرض الأمر على قداسة البابا شنودة، ليسمح لنا بتقديم المسرحية فى إحدى القاعات التابعة للكنيسة فى أى مكان مناسب بالقاهرة، على أن تتكفل هيئة المسرح بجميع النفقات اللازمة لإنتاج هذا العمل،الذى سيتم بجهود فناني مسرح الطليعة بقيادة المخرج سمير العصفوري مدير المسرح.

وقدمت لقداسة البابا نص المسرحية للإطلاع عليه وقرأها وطلب رأى الأنبا غوريغورس، الذى كتب تقريرا هو مفخرة للمسرحية وهو منشور فى الصفحات التالية، كما طلب البابا رأى الأنبا بيمن وكان الجميع متحمسين إلا هو إذ قال بالحرف الواحد "إن المسرحية يمكن أن توقع بيننا وبين الفاتيكان ونحن نسعى لعمل وحدة معهم". فقلت له "يا سيدنا لو أننى أملك الذهاب لعملها فى الفاتيكان لما اعترض أحد منهم. فرد على قائلا: روح اجمع أصحابك بتوع المسرح وتعالوا صلحوا القاعة واعملوا عليها مسرحياتكم " بصيت للبابا مستغربا ونطقت "وأنا سلطتي إيه عشان أجمع الناس لإصلاح القاعة؟

ونتيجة لهذه الأساليب الملتوية كلها سواء من هيئة المسرح أو من البابا قبرت مسرحيتي الصادقة المخلصة، وخلت الساحة من اجل عمل مدسوس وفكر مغشوش في مسرحية "حبيبتي شامينة" وهكذا اضاع علىّ رشاد رشدي فرصة الوصول الى خشبة المسرح كما اضاع علىّ حقي في وظيفة مدرس بالأكاديمية. فقد أعددت ورقة لرسالة الماجستير عن مسرح ألفريد فرج وقدمتها للدكتور إبراهيم حمادة رئيس قسم النقد بمعهد الفنون المسرحية ووافق عليها كأستاذ مشرف ودخل بها ليعرضها على الدكتور رشدي عميد المعهد فرفض الموضوع، وبعد أسابيع نصحني الدكتور فخرى قسطندى أن أكتب رسالة عن "المرأة في مسرح رشاد رشدي" فقلت زميلي نسيم إبراهيم كتب عن هذا الموضوع في بحثه للدبلوم ، وقدمه للدكتور رشدي، فهل يصح لى أن أكرر الموضوع ؟ المهم أن الدكتور فخرى دعاني للركوب في سيارته لتوصيلي من المعهد إلى شارع الهرم وكان معه فى السيارة الدكتور رشاد رشدي، وفتح الموضوع فذكرت سبب اعتراضي فقال الدكتور رشاد هذا لا يمنع بل أن هناك طالبة أخرى تكتب عن الموضوع نفسه بقسم اللغة الإنجليزية فقلت أفكر، لكنني ركبت رأسى ورفضت الرضوخ وخسرت كل شيء إلا نفسى،

ومن قبل ذلك في قسم اللغة الإنجليزية حيث كان الدكتور رشدي يقوم بامتحاننا شفاهيا في مادتي الشعر والقراءة، فكنت أجلس أمامه ومجرد أن أبدأ في الإجابة حتى يقول كفاية ويضع لى درجة النجاح فقط دون أن يعطيني فرصتي للكلام وحقي في الدرجات التي كنت استحقها وأطمح فى الحصول عليها كتقدير جيد أو جيد جدا. وعن هذا الطريق كان يتحكم في التقدير العام لكل طالب وعلى مدى أربع سنوات، ولم نكن نجرؤ على الإعتراض فهو رئيس القسم. المسنود من السلطة والأمن، وكان موقفه منى يبدو كنية مبيته تجاه شخصي الغلبان، وقد تأكد هذا حين رفض طلبا للدكتور شوقي السكرى رئيس الكونترول إذ طلب رفع درجاتي بنسبة إثنين في المائة حسب اللائحة لرفع تقديري إلى جيد ورفض الدكتور رشدي ذلك باعتباره رئيس لجنة الرأفة فى امتحان اللبسانس. هذا الموقف ان دل على شيء فإنما يدل على قوة الفساد المستشري في مؤسساتنا التعليمية والاجتماعية والسياسية جميعا. فأصرخ وأقول "لك الله يا مصر؟! فأين يوجد العدل والإنصاف أو من أين ننتظر الإصلاح؟

لهذا وجهت معركتي ضد الفساد مهما كلفني الأمر من تضحيات. وهروبا من هذا الإحباط تركت وزارة التربية والتعليم سنة 1978، وتعاقدت للعمل فى ليبيا حيث قضيت ست سنوات فى التدريس بمدرسة بنغازي الثانوية. وفى عام 1984 تركت العمل هناك وعدت للبقاء بجوار أبنائي وأمهم الذين سبقوني الى مصر قبل ذلك بعام لاستكمال تعليمهم حيث حصل نبيل على الثانوية العامة ودخل كلية الهندسة بجامعة القاهرة، وحصل ممدوح على الاعدادية بتفوق ودخل مدرسة أحمد لطفى السيد الثانوية بالهرم القريبة من بيتنا.

وفى عام 1985 انتدبت للتدريس بقسم اللغة الانجليزية بجامعة القاهرة حتى عام 2000 حيث أصبت بجلطة وأجريت لي عملية استبدال أربعة شرايين فتوقفت عن العمل بالتدريس وتفرغت كلية للتأليف والترجمة.

لقد نشرت "القضية" عن طريق وزارة الثقافة فى 1978 أي بعد خمس سنوات فقط!! وقد احتفى بها كثير من النقاد والمثقفين، وقدم البرنامج الثاني بإذاعة القاهرة حلقة "مع النقاد" لمناقشة المسرحية، تحدث فيها الدكتور مرسى سعد الدين رئيس هيئة الاستعلامات الأسبق والدكتورة نهاد صليحة أستاذة الدراما والناقدة المسرحية المعروفة وذلك فى يناير عام 1987.

قال الدكتور مرسى سعد الدين:

"من الأعمال القليلة التي تعالج موضوعا عالميا أثار الرأي العام فى العالم كله واختلفت حوله الآراء. وكان كامل حسين أول من تناول هذا الموضوع فى قصة "قرية ظالمة" ولكن مسرحية "القضية" تعمد من خلال هذا الموضوع الى تناول قضية العرب المركزية، وصراعنا مع الصهيونية بأسلوب يخاطب العقل والوجدان، ويصلح لمخاطبة الرأى العام العالمي. لقد تفادى المؤلف الوقوع فى الدعاية بسبب المعالجة الإنسانية النزيهة. إنها عمل جرئ ومثير وهام وكان يجب أن يجد طريقه إلى المسرح. إن القضايا الفكرية والمصيرية الهامة تحتاج إلى أعمال أدبية من هذا النوع، لأنها تحسن مخاطبة الآخرين بعيدا عن أبواق الدعاية والإعلام

أما الدكتورة نهاد صليحة فقد أسهبت فى مناقشة أسلوب الصياغة الفنية واستخدام عنصر الفنتازيا فى مشهد المحاكمة فقالت:

"ان فيها جرعة فكاهية كبيرة وقيافا، رئيس كهنة إسرائيل فى زمن المسيح، يبدو شخصية كوميدية رائعة. إنه نمطى ولكنه شخصية متكاملة، وإنسان له وجهة نظر نتيجة السماحة الدرامية. والمؤلف ادانه عن طريق الكلام الذى يقوله. إنه شخصية محبوبة. إنه الشيطان خفيف الدم. المحاكمة فيها خيال وفيها إبداع حقيقي. واللغة الخاصة تساهم فى خلق الفكاهة إلا أن الخلط فى أساليب الصياغة المسرحية هو المشكل بالنسبة لهذه المسرحية.

والواقع ان المسرحية كانت تجربة جديدة في الشكل والمضمون، ولن يتوقف الحديث عنها طالما أن صراعنا مع الصهيونية مستمر. وقد ناقش الدكتور عبد المنعم

تليمة أستاذ الأدب الحديث بجامعة القاهرة مسرحية "القضية" في ندوة الأتيليه فى 2/2/ 1987. ومما قاله الدكتور تليمة:

"ذكرتني هذه المسرحية بأسئلة غريبة تقال عن أدب نسائي. ويكاد السؤال أن يرد عن أدب قبطي. ممكن طبعا. ممكن أن يبرز من بين ظهرانينا من الأقباط من يعالج باستنارة رفيعة، هذه الموروثات من منظور مسيحي فى إطار الوطنية المصرية وقومية العرب.

بنفس التوقع أن يبرز من بيننا مسلمون يعالجون أدق الموروثات الدينية في هذا الإطار العقلاني المستنير. اذن هو يستدعى صلب المسيح ويدير عليه الأمر في صلب الفلسطيني الآن فى هذا الزمن الرديء، وهو يقيم موازاة بين هذه الموروثات التي تعايشها الجماهيروتحيا بها وبين قضية القضايا لهذه الجماهير فيصبح الأمر واحدا، فالقضية هي هي. قضية الوثيقة على هذا المحور التاريخي، هذا الحدث الكبير في تاريخ البشرية. وهذا الصراع الصهيوني.

كان يمكن وهو بالفعل اقام الأمر على هذه الموازاة أن يكشف ما يمكن أن يكون إنسانيا فى الأمرين جميعا. فى أمر دور اليهود فى الصلب وفى دور الصهيونية فى تدمير فلسطين واستطاع أن يقرن بين إسرائيل والحضارة الغربية.

واضح أن نسيم قارئ ممتاز لأمثال بريخت وبيتر فايس – والمشكل فى هذا المسرح انه يعتمد موهبة عالية لأنه يعتمد على الحياة اليومية. وأشهد ان نسيما فى كثير جدا من المواضع قد أفلح فى أن يكون مهتديا بهذين الرائدين الكبيرين، واستطاع بالفعل عن طريق الحوادث الكبرى فى التاريخ أن يقيم هذه الموازاة.

- أن يقيم موازاة بين خروج اليهود من مصر وخروج العرب من فلسطين.

- استطاع أن يوازى في داخل الجماعة التاريخية الواحدة للمجموعة العربية بين الموروثين المسيحي والإسلامي، وان يجعل هذين الموروثين يتجسدان فى شخوص حية تجرى في عروقها الدماء البشرية الحارة. هذه الموازاة بين الخروجين وبين الموروثين موازاة ناجحة جدا،هي سر نجاحه وتفوقه لأنه وضع فى ذهنه معتنقا وواعيا أن ثمة موروثين في داخل الجماعة القومية الواحدة، وهما الموروث المسيحي والموروث الإسلامى، وأن ثمرة المعاصرة الحقيقية هي تفاعل الموروثين، ولكن مسرحيا لا يمكن الإعلان عن ذلك، فلابد من تجسيدهما في شخوص بعينها وقد تحقق ذلك فعلا فنجد السيدة المسيحية ماري تستنجد بالبطل منصور الخارج من المسجد. هذه الدماء الإنسانية الحارة في داخل الجماعة هي بالفعل الحداثة والوطن. بمعناه الحديث الذى تذوب فيه وتتمازج وتتفاعل موروثاته القديمة والوسيطة والحديثة وتصبح هديا للجماعة فى تاريخها المعاصر.

وقفت عند هذين المورثين لأرى فيهما ماسكا ينتظم العمل الفني من أوله إلى أخره، وهذا توفيق فنى يحمد له.

Top reviews from the United States

5.0 out of 5 stars A playwright worth knowing

Reviewed in the United States on November 5, 2009
By James L.Haddix

Nasim Mijalli is a playwright whose voice is known in Egypt, but who can now have an even wider audience. His play "Jesus Crucified in Palestine" shows an English-speaking audience how Jewish historical identity and the modern Israeli state have been perceived in some Near Eastern contexts. It also shows how a playwright's vision and voice can help bring disparate religious themes into a play that could help governments and peoples move toward rapprochement and a new, if uneasy, place to stand. Mariana, the Israeli journalist assigned to cover the trial in this play is clearly the most winsome and electric character from among the whole cast of characters. As she demonstrates her deep knowledge and care for the Egyptian people and their culture, she identifies "friendship and understanding" as two of her primary motivations. In her testimony, too, she is able to boldly argue that "historical" sins cannot and must not adhere to a whole people for all time; individuals are responsible for their misdeeds, but the blood they spill does not wash over all their descendents

forever. This seems a small thing, perhaps; but in the context of this play -and the world stage which the playwright surely had in his mind--this is a very large matter indeed. Mr. Mijalli writes as a man of his own time and place, but in his context he gives voice to themes of justice and mercy that, in his clear eyed way, point toward a greater common good.

دكتور جيمس هاديكس هو واحد من المثقفين العظماء، لأنه لايتميز بغزارة معرفته وعمق ثقافته فقط ، بل بروح المحبة والتعاون التى ظهرت فى تعامله معى . فقد كان يعمل راعيا لكنيسة All Saints فى مدينة بنجور Bangor بولاية مين Maine بامريكا، حيث كنا نحضر للصلاة فى يوم الأحد . وكان يرحب بنا وبالحديث معنا وحين حدثته عن المسرحية أبدى اهتماما كبيرا وحماسا لقراءة ترجمتى . وهكذا لم يكتفى بالقراءة بل بادر بمراجعتها بدقة شديدة ، فأضفى عليها من روحه ولغته الشاعرية الكثير مما ساعد فى تقريب الترجمة لقراء الإجليزية، وتأكد إعجابه واهتمامه الشديد بالمسرحية من كتابته هذا المقال. بل إنه أظهر اهتمامه بمؤلفاتى الأخرى وبالأخص كتاب"حنينن بن اسحق وعصر الترجمة العربية" وراح يتحدث عنه مع زملائه فى الكلية من أبناء الشرق الأوسط وعرفت منه اهتمامه بمشاكل هذه المنطقة وبالصرا ع بين اسرائيل والعرب . الدكتور جيمس هاديس حاصل على الدكتورا ه فى موضوع " العهد القديم " من جامعة بوسطن ، وكرس ثلاثين عاما من عمره كباحث ومحاضر فى الدراسات اللاهوتية بالجامعة بالإضافة إلى عمله كراع لكنيسة جميع القديسين بمدينة بنجور Bangor بولاية Maine وكانت تعاليمه تركز على ملأ الفجوة بين الدراسات الأكاديمية والممارسة العملية لرعاة الكنائس. وقد توفى فى 4 سبتمبر 2025 عن عمر يناهز 78عاما.

وإليك ترجمة هذا المقال::

يقول الدكتور جيمس هاديكس : نسيم مجلى كاتب مسرحى معروف فى مصر، ويمكنه الآن أن يكون له جمهورا اعرض. إن مسرحيته " المسيح يصلب فى فلسطين " تكشف لجمهور القراء من المتكلمين باللغة الإنجليزية كيف تنظر بعض أقطار الشرق الأوسط إلى الهوية التاريخية لليهود وإلى دولة اسرائيل الحديثة، كما تكشف أيضا كيف يمكن لرؤية وصوت كاتب مسرحى أن يقدم موضوعات دينية شائكة وميئوس منها فى نص مسرحى. يمكن أن يساعد الحكومات والشعوب أن تتحرك نحو التقارب ألى وضع جديد ولو بصعوبة، وأن تقف عنده.. فمريان الصحفية الإسرائيلية المختصة بتغطية وقائع المحاكمة فى هذه المسرحية تبدو بشكل واضح أنها أكثر شخصيات المسرحية إشراقا وجاذبية، فقد أظهرت معرفتها العميقة بالشعب المصرى وثقافته والحرص عليهما، وحددت أن من أوليات أهدافها أن "تمد جذور الصداقة والتفاهم " مع هذا الشعب، كما أوضحت فى شهادتها أمام المحكمة أن "الذوب التاريخية " لايمكن ولا ينبغى أن تلصق بشعب كامل طول الوقت، فالأفراد مسئولون عن أفعالهم الشريرة، لكن الدم الممسفوك لايمكن أن يلوث وجوه أبنائهم إل الأبد.. قد يبو هذا أمرا بسيطا ربما، لكنه فى نطاق هذه المسرحية وفى افاق المسرح العالمى الماثل من المؤكد فى ذهن الكاتب ، فإنه حقيقة غاية فى الأهمية ، فمستر مجلى يكتب كرجل يعيش فى زمنه وفى مكانه، ولكنه فى نطاق رؤيته، يعطى صوتا لقضايا العدل والرحمة ، و يتطلع فى نظرته الواضحة إلى قدر أعظم من الخير العام .

وقد نشرت الترجمة بالإنجليزية على نفقتى بدار Outskirts.Press ولكنها لم تحقق عائدا يذكر لأن القراء يفضلون قراءة القصصص أما المسرحيات فيحبون رؤيتها على المسرح،كما قرأت بعض التعليقات التى تستنكر ذكر اسم فلسطين وتقول أن المسيح صلب فى أورشليم .وقد نشرت المسرحيتان فى كتاب واحد والرابط فى السطر التالى :

https://www.amazon.com/Jesus-Crucified-Palestine-Crazy-named

كتبت بعد ذلك مسرحية **"لقاء على القنال"** 1974 وهى مسرحية وطنية أيضا نشرت بمجلة "افاق المسرح" ثم نشرت مسرحية " **المجنونة " 1988**. وهى كوميدية اجتماعية تعطل انتاجها. وقد كتب **الناقد الكبير الراحل جلال العشري** مقالا عن هذه المسرحية فى مجلة (القاهرة) عدد أكتوبر 1988 قال فيه:

" تؤكد هذه المسرحية ان الجنون فى روح. العصر وليس في طبيعة أبناء العصر.

وقد استطاع المؤلف بحساسيته المسرحية المرهفة أن يطور من صياغته الواقعية، مقدما إضافة جديدة إلى الفن الدرامي، وهى الإضافة التي تبتعد عن التجريبية الساذجة، بقدر ما تبتعد عن الواقعية المباشرة، فالواقعية هنا مشحونة بالمعنى والدلالة، حيث يجدل الواقع والرمز فى نسيج واحد، وحيث تومئ الشخصية المتفردة المرسومة بكل دقة وعناية الى معنى اكبر منها دون أن تتردى للحظة واحده فى هوة الرمز أو التجريد".

وهنا أنقل رأى **المخرج الكبير الأستاذ حسن عبد السلام** في هذه المسرحية الذى كتبه للمسرح القومي حيث قال:

قرأت نص مسرحية المجنونة فسعدت بها لأنها أعادت للمسرح المصري نوعا مسرحيا افتقدناه، وهو مسرح العائلة التي هي نواة المجتمع، ولها وبين سطورها الكثير من العبر والعظات والإنذارات والكشف والتعرية والصدق الكامل فى الرسم والنحت والتشكيل والبحث فى الأغوار الإنسانية. المجنونة عمل طيب صياغة فنية راقية.

هذا رأى فى العمل الذى أحب أن أخرجه بإذن الله مع شكري.

المخرج حسن عبد السلام

1997 -6-17

ومع ذلك رفضت الدكتورة هدى وصفى، وكانت تتولى إدارة المسرح القومي، رفضت الموافقة على قيامه بإخراجها بحجة إنه مريض وتعبان صحيا. وكذلك فعل سامى خشبة رئيس هيئة المسرح وبعد أن قرأ المسرحية وأعرب عن إعجابه بالنص وعدنى بانتاجها لكنه عاد وتراجع عن ذلك.

وقد ترجمت هذه المسرحية أيضا وقامت بمراجعتها الأستاذة سوزان عجمى زوجة الأستاذ أيمن عجمى أبن صديقى الراحل المناضل السياسى الأصيل فؤاد ناشد ، وأثبتت اساتاذة سوزان أنها قارئة موهوبة تملك ذائقة أدبية مكنتها من أن تجد مقابل مقبول لبعض الإفيهات والنكات العامية ، وأيمن واحد من المثقفين المصريين المهتمين بالأحداث

السياسية وبالأخص فى مصر، وأنشأ لهذا قناة على اليوتوب اسمها "فى الغويط" لكى يتابع عن طريقها الأحداث برؤية وطنية ديقراطية تنحاز فقط للعدل وللحرية.

The writer's choice of subject was interesting. He challenged one of the accepted ideas of society that is based on the premise that unmarried women are eccentric. Though he describes in detail the many situations in which Nahed has selflessly sacrificed for her brothers and her brothers` insensitivity to her needs, yet in many parts he seems to accept the premise while challenging it. Hence he resolves the conflict in the play with a happy ending that is marriage, that is to say he both accepts and rejects the premise.

In other parts, however he shows insight and depth, when he insists on the single woman's right to go out as she pleases, her right to freedom and her right to choose her own husband. However his dialogue is smooth and witty, his character portrayal ranges between caricature such as in his depiction of Keriako Catonelli the dentist, through whom he tries to voice new ideas that are still strange to our society and his brief outline of the brothers to the more in – depth characterization of Hussien .His portrayal of Nahed oscillates between an outer and an inner point of view. Eccentric she is at times, but at other times he portrays her inner feelings that show that she is a woman who is grossly misunderstood by her society.

هذا جزء من مقال الأستاذة ناهد نجيب توجد ترجمته فى الصفحات التالية

المجنونة رؤية رجل لعالم المرأة

وتحت هذا العنوان كتبت الناقدة الكبيرة الأستاذة ناهد نجيب تقول:

كان اختيار الكاتب لموضوعه مسألة في غاية الأهمية، لأنه يتحدى واحدة من المفاهيم الإجتماعية السائدة التي تقوم على أساس أن المرأة غير المتزوجة هي إمرأة معقدة. لهذا فإنه يصف بالتفصيل المواقف الكثيرة التي ضحت فيها ناهد من أجل هذين الأخوين دون أن تفكر في نفسها، وهما الآن لا يهتمون بمشاعرها، لكن الكاتب يبدو فى كثير من الأجزاء وكأنه يقبل هذه الفكرة ويتحداها فى نفس الوقت، ومن ثم فإنه ينهى الصراع في المسرحية بالزواج. وفى أجزاء أخرى يظهر بصيرة ثاقبة وعميقة، عندما يصر على حق المرأة الوحيدة فى ان تخرج ألى المجتمع حينما تريد، كما يصر على حقها في الحرية واختيار الزوج الذى يناسبها..

زد على ذلك أن الحوار في المسرحية يتميز بالسلاسة والدهاء، تصويره للشخصيات يتراوح بين التصوير الكاريكاتيري كما في رسمه لشخصية الخواجة كرياكو كاتونيللو طبيب الأسنان، الذى يحاول الكاتب من خلاله أن ينطق ببعض المفاهيم التي مازالت غريبة على مجتمعنا، وكذلك تصويره لشخصيتي أخويها وتصويره لشخصية ناهد فإنه يتصاعد من التصوير من الخارج وتصويرها من الداخل ومحاولة استيطان أعماقها ومشاعرها الداخلية، التى تكشف عن حقيقتها كفتاة أسيء فهمها بقسوة من المجتمع المحيط بها وبالذات أخوتها.

المسرحية جزء من المسرح الواقعي الذى كان رائده الأول والمدافع عنه الأستاذ نعمان عاشور. رغم إغراقها فى الواقعية فإن هذه المسرحية تعكس افكارا جديدة وكما قلنا إنها تتحدى مسلمات مقبولة اجتماعيا إلا أن الأمر لايزال هو عالم المرأة كما يراه الرجل، وقد يبدو من الغلظة أن نلومه على ذلك.

+ كتبت الأستاذة ناهد نجيب هذا الحديث باللغة الإنجليزية وأذاعته في البرنامج الأوربي بإذاعة القاهرة، وقمت أنا بترجمة النص الذى أهدته إلى مشكورة .

المهم أننى لم أتوقف عن العمل فكتبت اربع مسرحيات أهمها**" مأساة طبيب الخليفة "** التي نشرت في صحيفة "مسرحنا " في يونية 2014 ُم، ونشرت فى كتاب عن طريق **منتدى الشرق الأوسط للحريات 2016،**

كتبت مسرحية تراجيكوميدى من فصل واحد باسم **"عيال وفيران"**

أما في باب الترجمة فقد ترجمت ست مسرحيات من الأدب الأفريقي لشاعر نوبل 1986 والمناضل الأفريقي الجسور وول شوينكا هي **" الموت وفارس الملك"، و"الأسد والجوهرة"** وقدمهما مسرح الهناجر 1997 ،1999 من إخراج الفنان الشجاع والمبدع أحمد عبد الجليل، ونشرت كلها بالمركز القومي للترجمة، ومنها:

" سكان المستنقع" و"حصاد كونجي" و" السلالة القوية " و"عابدات باخوس " وهذه المسرحية إعداد جديد قام به شوينكا للنص الإغريقى الذى كتبه يوريبيديس. كما ترجمت له أيضا كتاب نقدى بعنوان **" الأسطورة والأدب والعالم الأفريقي"** إضافة ألى قصة **" مذكرات سجين"** التي كتبها عن فترة سجنه التي امتدت من 1965إلى 1967 لأنه كان ضد حرب بيافرا التي أشعلها أصحاب المصالح من أعوان الاستعمار.

أما حسن الختام فكان اربع مسرحيات من روائع المسرح الإنجليزي هي:

1-"تتمسكن حتى تتمكن" لأوليفر جولد سميث،
المركز القومي للترجمة 2010
2-"مدرسة الفضائح" لريتشارد شريدان، المركز القومى للترجمة 2011
3-"هذه حال الدنيا "لوليم كونجريف، المركز القومى للترجمة 2012

4- ثم "رابطة الدم" لأتول فيوجارد وهو كاتب إنجليزي من أصول إفريقية 2015.

17 ـ خطاب الجائزة

لقد أنشأت الدولة جائزة سنوية للترجمة باسم جائزة الطهطاوي، يقدمها المركز القومى للترجمة، وبدأت دورتها الأولى في سنة 2009- 2010، وفى سنة 2013-2014- تقدمت للجائزة بترجمة كتاب " مذكرات سجين" تأليف: وول شوينكا الحاصل على جائزة نوبل للآداب 1986. وسمعت مديحا كثيرا من بعض أعضاء لجنة القراءة ، وقالوا إنه وصل ألى مرحلة التصفية النهائية التي تقوم فيها اللجنة العليا باختيار الكتاب الفائز واسم صاحبه،

وسبحان من قسم الحظوظ فهذا يتغنى وذاك يبكى الديارا.

وطبعا أنا لن أكون الإسم الموعود بالجائزة. فأنا مترجم قديروها هي كتبي تشهد لي، وهذا يكفيني، أما الجائزة فمرصودة لأصحاب الحظوظ.

وكان هذا الخطاب ضمن الأوراق المطلوبة للترشيح وقلت فيه:

لقد تم اعتقال وول شوينكا وسجنه فى الفترة من 1967 حتى 1969 بسبب إدانته للحرب فى الصحف النيجيرية وزيارته للجزء الشرقي، ثم محاولته تجنيد المثقفين داخل نيجيريا وخارجها لتكوين جماعة من أجل منع توريد الأسلحة لكل أنحاء نيجيريا؛ لخلق قوة ثالثة تستثمر موقف الجمود العسكري، لرفض وإنهاء انفصال بيافرا، وإيقاف الديكتاتورية العسكرية ومذابح الإبادة الجماعية والتي جعلت كلا من الانفصال والحرب قدرا محتوما.

لقد تم تقييد نشاطه، وتجميده وأوشكت تصفيته أن تتم بنجاح بسبب نشاطه داخل السجن. فقد كتب خطابا شرح فيه أحد ث الأدلة على سياسة المذابح الجماعية لحكومة يعقوب جوون وادعاؤهم هروب شوينكا من السحن. وكان ذلك كشفا للمذنبين؛ ففكروا فى تسوية خيانتهم بمؤامرة إجرامية وقتله.

وهذا الكتاب يحكى المحنة التي عاشها الشاعر الكبير في تلك الفترة، وما تعرض له من قهروإذلال بقصد احتواء عقله وتدميره بأساليب ممنهجة عن طريق نقله من سجن إلى أخر دون سبب مفهوم، وحبسه حبسا انفراديا حتى لا يجد أحدا يتكلم معه ثم حرمانه من الصحف والكتب ومنعه من استقبال أي زائر حتى زوجته، ثم التمهيد لقتله بنشر أخبار مفبركة عن محاولة هروبه من السجن. كل هذا ملأه بمشاعر الغيظ والقهر والإزلال التي حاول أن يشرحها باقتباس بعض أقوال الكاتب اليوناني جورج مانجاكيس وهو أحد ضحايا الفاشية الإغريقية الحديثة حيث يقول:

" عندما تفرض الديكتاتورية على بلدك، فإن أول ما تشعر به، في اليوم الأول- وهو شعور تلقائي ومباشر تماما، بعيدا عن كل تصورات العقل- هو الشعور بالإذلال. إذ

يتم حرمانك من حق اعتبار نفسك جديرا بحمل المسئولية عن حياتك ومصيرك. وهذا الشعور بالإذلال ينمو يوما بعد يوم، بفضل جهود الطغاة التي لا تتوقف عن إجبار عقلك على القبول بكل أشكال السوقية والابتذال التي تشكل عالم الديكتاتور العقلي، فتشعر أن عقلك ووضعك الإنسانى يتعرضان للإهانة الشديدة فى كل يوم. ثم تأتى محاولة أن يفرض عليك عن طريق التخويف والترهيب أمر قبول أفعالهم البربرية المختلفة التي نسمع عنها، والتي تراهم يرتكبونها فعلا ضد اخوانك في الإنسانية، فتبدأ تعيش يوميا في إذلال الخوف، وتبدأ تكره نفسك. حينئذ تحس بجرح عميق في ضميرك كمواطن فتبدأ الإحساس بالتضامن مع الناس الذين تنتمى إليهم."

ويعلق سوينكا على ذلك قائلا:

إنني أعيش تجربة التضامن مع هؤلاء الناس الذين يشاركونني الإحساس بالإذلال الذى يمارسه الطغاة على حياتنا. فمهما كانت العوامل التي كانت تجعل من إحدى الديكتاتوريات قدرا محتوما، فإن هذه العوامل لم يعد لها وجود الآن فالديكتاتورية الراهنة هي استيلاء على السلطة يحط من كرامة الإنسان.، فهي إذلال إضافي لأنها، قد تجاوزت في غطرستها الوحشية كل الحدود، في القمع، وفى الفساد المادي، وفى إحداث انقلاب منهجي لكل الأغراض الثورية الأصيلة.

إنني أوجه هذا الكتاب إلى الناس الذين أنتمى إليهم، ليس إلى النخبة الجديدة، وليس إلى تلك الطبقة العريضة من العبيد المنتفعين بالامتيازات الذين يمسحون بلاط القصور التي يسكنها الطغاة الآن. إنني أشهد بحكم خبرتى الشخصية وأتهمهم بجريمة الانتفاع بمصائب الحرب، إن أعظم إهانة توجه لذكاء شعب، هي قبوله بادعاء هؤلاء أنهم أبرياء تماما من ارتكاب الأفعال الأساسية التي أدت إلى الحرب ذاتها. إن إفراطهم الحالي والصفح المتبادل عن الجريمة فرض على هذا الكتاب أن تكون محتوياته رافضة للمصالحة، لأن أولى الخطوات لإسقاط الإرهاب هو فضح نفاقه الذاتي، فضح صورة البر الذاتي المجللة بالكذب والنفاق. إنها فقط الخطوة الأولى، ففي حياة أى شعب يخضع بإرادته إلى "إذلال الخوف اليومي" يموت الإنسان.

لقد دون المؤلف هذا الكتاب وهو في السجن. ليمارس التأثير في الأحداث داخل بلده، بغرض تحقيق التغييرات الثورية التى أصبح مكرسا لها أكثر من أى وقت مضى. وبسبب حرصه على سلامته الشخصية، قام بتغير فكرة الكتاب وشكله وعنوانه اثنتي عشرة مرة. وكما يقول:"ففى الأسبوع الماضي فقط شطرته إلى قسمين. ليبقى أحدهما مؤجلا، كسيف ديموكليز، منتظرا، اللحظة الملائمة تماما للقصاص السياسي. وهذا الصباح كان العنوان لايزال" إعدام بطئ دون محاكمة" وفى وقت من هذا الصباح وصلني العنوان الآخر فى برقية تحمل الكلمات البسيطة التالية: الرجل مات.

في البداية صدمتني صياغة الكلمات، أعطتني رنينا غريبا ثم رنينا مألوفا. وتكمن ألفتها في أنها نهاية حكاية أخلاقية، يموت الانسان داخل كل قلب يقف صاحبه صامتا في وجه الطغيان. أما كيف كتب هذه المذكرات داخل السجن يقول شوينكا:

بين سطور كتاب "الديانة البدائية " لمؤلفه بول رادين وبين سطور قصيدتي "إدانر" شذرات من مسرحيات وقصائد وكذلك رواية، وأجزاء من مذكرات سجين التي تشكل مادة هذا الكتاب. وهناك ستة كتب أخرى أخفيت وجه الكتابة فيها بكتاباتي خشية أن تقدم مفتاحا يقود إلى اتهام بعض الضباط الأبرياء. وأنالا أستطيع أن أذكر عناوين هذه الكتب ولا حتى أشير إلى فترات سجنى التي هربت فيها هذه الكتب إلى داخل السجن. فبعد متعى من القراءة التى لا توصف كنت أقوم بتغطية المسافات بين سطورها بكتاباتي.

لقد كانت الكتب بل وكل أشكال الكتابة تمثل على الدوام هاجسا مرعبا لهؤلاء الذين يسعون لطمس الحقيقة. لكن برغم إتخاذ أشد الإجراءات الأمنية التي اتخذت ضد أي سجين في تاريخ السجون النيجيرية، فإن الاتصالات لم تنقطع بل استمرت. لكن بصرف النظر عن درجة مكر هذا السجين، وسعة حيلته، فإن فعل الشجاعة الانسانية التي قام به بعض الإستثناءات• من حراس السجن كان له الدور الرئيسي في بقائه على قيد الحياة. لا يمكنني حتى الآن أن أرد هذا الدين باعتراف علني، حتى في فترة السنتين التي كنت فيها حرا لم أجرؤ على الاتصال بأحد من هؤلاء لعلمي أن أكبر أجهزة الأمن المنتشرة في كل أنحاء القارة لم تزل مهتمة اهتماما شديدا بمعرفة كل اتصالاتي. لكل هؤلاء جميعا أقول: صبرا ... ففي استمرار الجهود لهزيمة هذا الشر وتدميره تدميرا كاملا سوف تتم تسوية هذا الدين.

وأنا كمترجم للكتاب، أود أن أشير إلى أن " مذكرات سجين" هو رقم 8 في قائمة مؤلفات شاعر نوبل النيجيري وول شوينكا التي قمت بترجمتها منها ست مسرحيات هى:

- الأسد والجوهرة سنة : 1997،

- حصاد كونجي وسكان المستنقع 2000،

- الموت وفارس الملك، وعابدات باخوس، ثم السلالة القوية 2004 وأخيرا دراسة نقدية هي " الأسطورة والأدب والعالم الأفريقي "

وهذا واضح من "سيرتى الذاتية" المرفقة بهذا المقال، وهى أعمال تعطيني الحق في أن أزعم أننى كنت أحد المبادرين بتعريف القراء المصرين بأدب القارة الأفريقية عن طريق تقديم أبرز كتابها وترجمة بعض روائعه التي لفتت أنظار العالم إلى الأدب الأفريقي وضمنت له جائزة نوبل سنة 1986 .قبل أديبنا الكبير نجيب محفوظ الذى حصل عليها بعد سنتين 1988.

فقد كان دأبي منذ دخلت الى عالم الكتابة هو الحرص على تقديم الجديد والمفيد، الجديد من حيث المنهج الفكري أو الرؤية الاجتماعية التي تضيف لثقافتنا القومية. إن الكتابة في رأى المتواضع، هي شهادة على العصر والناس. وهذه الشهادة ينبغي أن تكون صادقة. وكما يقول شوينكا، فالحقيقة والسلطة نقيضان، والأعمال التي تلتزم بتقديم الحقيقة لا يقدم عليها إلا القلة الشجاعة من الكتاب والمبدعين لأن هذا يرتبط بحرية التعبير وفى

مسرحية "عابدات باخوس" يقول شوينكا "الحرية لم يغرسها تعليم على المذبح ولكنها معقودة في الدم: عهد وميثاق منذ لحظة الميلاد"

فإعلان الحقيقة لا يقدر عليه إلا كتاب من أمثال شوينكا الأفريقي أو مستر آى.إف .إستون I.F,STONE الأمريكي الذى تحدى جون مكارثى في عز سطوته واتهمه بإرهاب الكتاب والفنانين، وقد ترجمت له كتاب " محاكمة سقراط" الذى يبحث فيه قضية الحرية بأبعادها الشاملة، الحرية الفردية وحرية التعبير والديموقراطية، والصراعات حولها من عصر سقراط حتى الأن، على أساس اعتقاد راسخ في أعماقه مفاده " أنه لا يوجد مجتمع فاضل مهما كانت مقاصده ومهما كانت دعواه وادعاءاته الطوباوية والمثالية، إذا لم يكن رجاله ونساؤه قادرين على التعبير علنا عما يدور في عقولهم"

أضف إلى ذلك، شاعر المسرح الملحمي الكبير برتولت بريخت، إذ ترجمت عنه دراستين هما "بريخت" 1972، ثم "بريخت رجل المسرح" 2014. وهذه الدراسات تشرح فكر هذا الشاعر الكبير الذى أحدث أكبر تحول في مسار الفن المسرحي تأليفا وإخراجا بل وتمثيلا بعد أرسطو، عن طريق نظرية المسرح الملحمي المرتبطة فكريا بالفكر الإشتراكى. ومع ذلك تصادم مع الشيوعيين بسبب حرصه على حرية التعبير وهاجم الديكتاتورية. وقد أفلت من قبضة النازيين بأعجوبة، وفى أمريكا ضاق من سطوة المكارثية على الحياة الثقافية، وإرهاب الفنانين والكتاب وشبه المعسكرين الرأسمالي والشيوعي بمريض مصاب بالزهري.

أما الكاتب الألماني الثاني الذى قدمت ترجمته" فرانز كافكا" فهو رائد الرواية الحديثة الذى شغل النقاد في الشرق والغرب في تفسير أحلامه وكوابيسه المرعبة، وهذا الكتاب قدم لنا فرصة كبيرة لنعرف الكثير عن ظروف وسر كراهيته لأبيه وخوفه من الزواج، ورؤيته للحياة والفن عموما. وبهذا أكون عرفت القارئ العربي بأشهر مبدعين في الثقافة الألمانية المعاصرة.

والكتب الثلاثة المذكورة من تأليف الباحث الألماني الكبير رونالد جراي، الذى يقوم بتدريس الأدب الألماني بجامعة كمبريدج وله دراسات أخرى مهمة عن الشاعر الكبير جيتة وغيره.

ثم كتاب كيف تقرأ ولماذا" لأكبر ناقد أمريكي هو هارولد بلوم. ومع ذلك لم أنس تاريخنا القومى وأزهى عصوره فترجمت كتاب "عصر الإسكندرية الذهبي " حين كانت الإسكندرية هي عاصمة الدنيا ومركز الثقافة والنور. ناهيك عن كتاب " القديس مرقس وتأسيس كنيسة الاسكندرية " لإلقاء الضوء على هذا الجانب المهمل من تاريخ المصريين.

هامش:

لقد قام الأستاذ خيرى دومة المشرف على نشر سلسلة "الإبداع القصصي " دون علمي بحذف العنوان الأول للكتاب وهو" الرجل مات – مذكرات سجين " واكتفى

بالعنوان الحالي " مذكرات سجين " كذلك تصرف في ترجمة اسم الشاعر فغيره من (شوينكا) الذى ظهر على أغلفة المسرحيات المنشورة سابقا إلى (سوينكا) الذى فوجئت به بعد طبع هذا الكتاب، دون أن يستأذنني، وهذا أحد مصائب أبى جهل حين تسند إليه مسئولية عمل لا يعرف عنه شيئا. فقبل أن أترجم هذا الإسم ذهبت إلى سفارة نيجيريا بالقاهرة في الثمانينات وقابلت الملحق الثقافي وتناقشت معه حول كيفية نطقهم لأسم شاغرهم الكبير، وكذلك كان الأمر مع إسم بريخت وكان هناك من ينطقه بريشت. ونصيحتي لمن يتولى الإشراف على النشر أن يسأل المترجم أو الكاتب المسئول عن كتابة عنوان الكتاب ويعرف أن اختيار العنوان حق للمؤلف أو المترجم فقط حسب قانون حقوق المؤلف "المعروف عالميا باسم . copy right

وهذه الأمور التي عرضتها هنا إنما تدل على أننى بدأت ككاتب طليعي أطمح إلى الابتكار والتجديد واقف على ارض ثابتة، هي أرضية الواقع اجتماعيا وفكريا وثقافيا. وبنفس المستوى سرت في طريق النقد يتأكد ذلك من كتبي مثال:

1- ابن سيناء القرن العشرين .....1988.

2- أمل دنقل - أمير شعراء الرفض ..... 1988.

3- لويس عوض ومعاركه الأدبية ..... 1994.

4- صدام الأصالةوالعاصرة: محمود شاكر ولويس عوض 1988.

5- لطائف الذخيرة وطرائف الجزيرة لابن مماتي.

..... .تحقيق وتقديم -هيئة الكتاب 2000

6- حنين بن اسحق وعصر الترجمة العربية-المجلس الأعلى للثقافة 2006-

7- بطرس بطرس غالى وحلم المدينة الفاضلة- دار الشروق..... . 2010

8- شخصيات لها تاريخ- الهيئة العامة للكتاب 2015

9 - دراسات في النقد والمسرح- هيئة الكتاب 2019

10 -ألفريد فرج سندباد المسرح المصري 2024

بالأضافة إلى ترجمتي للكثير من الكتب الهامة نذكر منها:

1- بريخت تأليف رونالد جراي، طبعة مصغرة، هيئة الكتاب ... 1972

2- ترجمة عشرين مدخلا في الموسوعة العربية العالمية-

مؤسسة نشر الموسوعة بالمملكة العربية السعودية 1996

3 - الحب عند الفرنسيين تأليف: نينا إبتون

-مجلة الهلال عددي يونيه ويوليه 1977

4- الأسد والجوهرة تأليف: وول شوينكا-المسرح العالمي بالكويت، 1997

5- القديس مرقس وتأسيس كنيسة الإسكندرية هيئة الكتاب 1999
6- حصاد كونجي، وسكان المستنقع، مسرحيتان لشوينكا 2000
7- فرانز كافكا تأليف: روناد جراي المشروع القومى للترجمة 2000
8- محاكمة سقراط. تأليف: آى إف ستون..... 2000
9- العصر الذهبي للإسكندرية- تأليف: جون مارلو 2002
10 -ثلاث مسرحيات لشوينكا (الموت وفارس الملك،
عابدات باخوس، والسلالة القوية) المشروع القومى للترجمة 2004
11-كيف نقرأ ولماذا- هارولد بلوم – المركز القومى للترجمة 2010
12-مذكرات سجين لوول شوينكا – المركز القومى للترجمة 2013
13-بريخت رجل المسرح- رونالد جراي- المركز القومى للترجمة 2014
14-الآسطورة والآدب والعالم الأفريقي لوول شوينكا –
المركز القومى للترجمة 2016

وبالنسبة للكلام عن قيمة كتبي فإني أترك الحديث عنها لكبار المفكرين والنقاد فى الصفحات التالية:

"ابن سيناء القرن العشرين"

يقول المفكر الكبير الراحل الدكتور **حسين فوزى** فى تقديمه للكتاب:

"هذا الكتاب يكشف لي عن سر من أسرار البلاغة في معنى الإستشعار بعبقرية شخص ما من أول أمره، أو بعد قليل من لقائه وقيام صداقة بينه وبين كاتب هذه السطور، كتاب الأستاذ نسيم مجلى تحليل بليغ نير لعبقرية محمد كامل حسين، يتناول أهم مؤلفاته بالفحص والشرح والإبانة عما فيها من فكر عميق، مصبوغ في أسلوب هو الجزالة بعينها، فلا هو استعراض لغوى، ولا تألق نحوى، وإنما ذلكم البناء الشامخ يقوم على منطق علمي"

هذا تقييم مفكر علامة كان يزن امور العلم والفكر والأدب بميزان دقيق مثل موازين الذهب .

وكتب الأستاذ **رجاء النقاش** يقول : كان **الدكتورمحمد كامل حسين** أشهر طبيب عظام فى عصره وواحدا من أنبغ الأطباء فى جيله. وهو صاحب رواية " قرية ظالمة " التى يمكن اعتبارها بدون أى مبالغة تحفة أدبية عربية بل تحفة أدبية عالمية . وقد لقيت هذه الرواية اهتماما بالغا فى الغرب عندما تمت ترجمتها إلى الإنجليزية.

ولكن حظها كان قليلا فى العالم العربى للأسف الشديد، لأن كامل حسين لم يكن رجل دعاية ولم يكن يجرى وراء الأضواء . ولولا الأديب والناقد الجاد المجتهد المثابر نسيم

مجلى لنسى الناس محمد كامل حسين الطبيب والأديب نسيانا تاما. فقد اهتم "نسيم" بدراسة محمد كامل حسين وتذكير الناس به وأصدر عنه كتابا بالغ القيمة والأهمية . والحق أننا لايجوز أبدا أن ننسى محمد كامل حسين ليس من باب الوفاء فقط ولكن من باب الإنتفاع والإستمتاع بأدبه الخصب الجميل .

نشر الأستاذ **رجا النقاش** هذا الكلام بالأهرام فى معرض حديثه عن جيل من العباقرة المنسيين أمثال الأديب وعالم الكمياء **والطبيعة الدكتور أحمد زكى والشاعر وعالم الجغرافيا الدكتور محمد عوض محمد وذلك فى مقال بعنوان " صالح عبدون ومذكراته الرائعة "**

أما الباحث والمحلل السياسى الكبير مجدى خليل انبهر برواية " قرية ظالمة" وانتهى من تحليله للرواية إلى أن محمد كامل حسين يعنبر حادثة صلب المسيح نقطة فاصلة فى تاريخ الإنسانية حيث سقطت البشرية بعده فى أزمة ضمير. ومما يؤسف له إن أبشع الجرائم ارتكبت باسم الحفاظ على الدين أو على الوطن، وهذا مايعنبره المؤلف أوثان يجبر البشر على عبادتها." سيحل للناس القتل والإيذاء بدعوى الدفاع عن الدين حينا، وبدعوى الدفاع عن الوطن والنفس حينا آخر..ألا فاحذروا الأمرين إن حمل السلاح أو أذى الناس دفاعا عن الدين يضع الدين فوق الله الذى يأمر بالحب لا بالقتل ، والله كفيل بحفظ دينه وليس فى حاجة إلى عبيد خاطئين ينقذونه.

ثم يضيف مجدى خليل:

لقد هدم محمد كامل خسين غى كتاباته أوثانا كثيرة يستغلها تجار الدين والقومية ، وركز على إنسانية الإنسان وحريته وفرديته وضميره .وبهذا يعد محمد كامل حسين من رواد الدفاع عن الحريات وحقوق الإنسان وعن العلمانية فى مصر مع أصدقائه لطفى السيد وطه حسين وسلامة موسى ومحمود فوزى وحسين فوزى ولويس عوض. .

"قرية ظالمة وعقل مستنير" مجلة إيلاف الإليكترونية 21 مايو .2011

وعن كتاب " **لطائف الجزيرة وطرائف الجزيرة** "

نشر الناقد الكبير **الأستاذ عبد الغنى داود مقالا بجريدة وطنى يقول فيه:** : قام بتحقيق هذا الكتاب المهم من كتب لتراث لآبن مماتى المتوفى 606 هجرية ، وهوتلخيص كتاب " الذخيرة فى محاسن الجزيرة " لعلى بن بسام الناقد والكاتب الكبير نسيم مجلى الذى سبق وأن قدم لنا عددا من الأعمال الأدبية القيمة وهاهو يخوض غمار تحقيق التراث بكفاءة عالية عندما يتصدى لتراسة وتحقيق هذا الكتاب المهجور وأن يجلوه لنا فى أوضح صورة وأنصعها.

والأسعد بن مماتى كاتب وشاعر ورجل دولة عاش فى عهد الأيوبيين وألف اكثر من عشرين كتابا لكن القراء لايعرفون له سوى كتابين " الفاشوش فى أحكام قراقوش" وكتاب "قوانين الدواوين" . ينتمى الكتاب الأول إلى أدب

السخرية والغكاهة والهجاء. كتبه صاحبه باللهجة العامية المصرية ويمثل أسلوبا فنيا بارعا فى تصير االغرابة والشذوذ وإحداث المارقة أما كتاب " قوانين الدواوين" فهو كتاب علمى وعملى صرف يتحدث فيه ابن مماتى عن مصر بصفة عامة وعن نهرالنيل ومساحة الأرض وأسماء ضياعها وكفورها وأنواع المحاصيل وأنظمة الحكم فى عهد بنى أيوب. ويرى نسيم مجلى أن ابن مماتى كاتب عملاق ومعاصرى ورائد فى أدب الفكاهة والسخريية وفى دراسة نظم

الحكم ومناضل وطنى شريف انتهت حياته بطريقة مأساوية بفعل الإضطهاد والمطاردة.

صنف ابن مماتى هذا الكتاب أثناء إقامته بحلب بين عامى(604-606)هجرية . استجابة لطلب الوزير ذى البلاغتين محمد بن الحسين وزيرالسلطان الأيوبى الملك الظاهر. وكان الكتاب الأصلى يشتمل على أربعة أقسام فجعلها ابن مماتى ثلاثة فنون: الأول فى المختار من الأشعار، والثانى فيماتشاكلت معانيه من الشعر وتماثلت مبانيه . والثالث فى أخبار الأندلس وضياع ملك العرب بها.

ثم يختم **عبد الغنى داود** كلامه فيقول وتاتى أهمية هذا الكتاب إلى أنه يقدم تحليلا للأسباب التى أدت إلى زوال دولة الأمويين هناك . كما يحدثنا عن خراب القيروان وأسبابه. فالكتاب إذن من كتب الزخائر الثمينة فى تراثنا العربى عكف عليه ى صبر وأناة نسيم مجلى ليقدمه لنا فى أبهى صورة ليصبح مرآة صادقة للتاريخ الأدبى والسياسى والإجتماعى لتلك الفترة المشتعلة والخصبة من تاريخنا.وهو أيضا بحث قيم فى فن الشعر برؤية نقدية "ألسنية"' تقوم على اللغة وما توظفه من استعارة ومجاز، والتشابه والتخالف والتعارضات وعلاقات التركيب والتجميع ، والبنيات المزدوجة

.وكذا تعد ترجمة المحقق لحياة ابن مماتى جهدا وإضافة مهمة فى تاريخنا الأدبى إذ إقتضاه الأمر أن يغوص فى بطون عشرات من كتب التراث وكتب المحدثين ليصبح هذا الكتاب وكأنه كتاب حديث مايزال يتناول قضايانا الإنسانية فى الأدب وفنون الشعر والسياسة ، وحياتنا الإجتماعية، بالإضافى إلى قيمته الوثائقية ، حيث يبدأه ابن مماتى بالحديث عن نفسه وعن مأساته التى انتهب به إلى الهروب من مصر لاجئا إلى حلب (ومات هناك سنة 606 م).وقد سمى جده باسم (مماتى) حين وقع بمصر غلاء عظيم ، وكان أهله كثيرى الصدقة والإطعام وخضوصا لفقراء المسلمين – فكانوا إذا رأوا أحدا من أهله نادى كل واحد منهم (مماتى) أى(أمى) وربما كان المثصود (المم) أى الطعام أى طعامى وربما غير ذلك.

انتهى كلا م الأستاذ عبد الغنى داود لكن مأساة ابن مماتى مؤلمة وتدعو للتأمل . فهو لم يرتكب جريمة وعندما تصدى للحديث عن أنظمة الحكم فى عهد الأيوبيين فى" لباب اثامن" . الذى استعرض فيه زظائف الدولة وشرح اختصاص ك منها ، وأشار إلى موارد الدولة كان حريصا على أمن مصر زكما يقول الدكتور عزيز سوريال الذى حقق كتاب "قوانين الدواوين بتكليف من الأمير طوسون سنة 1943، " إن قيمة الكتاب ليست مقصورة على سعة أطلاع المؤللفوغزارة علمه وحدة ذهنه،وإنماترجع كذلك إلى مكانته الخاصة فى المجتمع المصرى ومركزه اسامى فى حكومة البلاد فابن مماتى تقلب فى كثير من دواوين الحكومة ، وانتهى به الأمر إلى تلد الزارة نفسها. وبذلك أصبح كل ما يكتبه ذا صبغة خاصة تجعله وثيقة رسمية صدرت عن قلم أحد وزراء الدولة امسئولين.

كذلك يخبرنا الدكتور عزيز سيمان أن ابن مماتى اعتذر عن تقديم بعض المعلومات التى تعتبر من أسرار الأمن القومى أو من أسرار الدولة التى لايجوز إذاعتها.هذع الشخصية التى تجمع بين الخيال الأدبى االساخر والدقة العلمية المفرطة إلى جانب الحس الوطنى اليقظ كيف تراها؟

لقد تساءل امستشرق الفرنسى الكبير كزانوفا،: الذى حقق كتاب "الفاشوش" وعلق عليه قائلا : كيف نوفق بين صورة هذا المؤلف الذى يخوض فى كتابات الفكاهة ويكتب فيهاكتابا بالعامية ، ثم يكتب كتابا آخر بالفصحى غن الأرض مساحة المدن ويعزف عن إباحة أسار الدولة،فيرتفع إحساسه بالمسئولي إلى هذا الحد المتعقل؟"

إن الصورتين ننكاملان لو علمنا أن ابن مماتى كان غاضبا حانقا على القائد قراقوشالذى يقربه صلاح اللدين إليه، وهو حانق من وجهة نظر مذهبية كما يذهب ازانوفا ، وهو حانق كذلك لأن أمور مصر ساءت على الرغم من الإنجازات التى حققها صلاح الدين فى اخارج من صفحت وضاءة وصد الصليبيين ، ولكن هذه الصفحات انت مصابة ببقع الحكم الإستبدادى فى الداخل وإطلاق الشهوة القراقوشية.

ويتأكد التكامل فى شخصية المؤلف بصورة أوضح حين نقرأ تقديمه لكتاب "الفاشوش فى أحكام قراقوش" حيث يقول: : "إننى لمل رأيت عقل بهاء الدين قراقوش محزمة فاشوش، قد أتلف الأمة، والله يكشف عنهم كل غمة، لا يقتدى بعالم، ولا يعرف المظلوم من الظالم. الشكية عنده لمن سبق، ولا يهتدى لمن صدق. ولا يقدر أحد من عظم منزلته على أن يرد كلمته، ويشتط اشتياط الشيطان، ويحكم حكماً ما أنزل الله به من سلطان،

صنفت هذا الكتاب لصلاح الدين، عسى أن يريح منه المسلمين."

فغرضه من هذا الكتاب هو تحرير الشعب المصرى وتخليصه من تسلط قراقوش وقهره له.. لأنه سخر الشعب المصرى لبناء أمجاد صلاح الدين وتأكيد سلطانه, دون مراعاة لحقوق الفقراء ومشاعرهم، فإذا تفكرنا أيضاً أن كتاب "قوانين الدواوين" قدم لصلاح الدين أو أحد أبنائه من أجل تحرى الواقعية والعدل فى تقدير الجزية والضرائب على أفراد الشعب بجميع فئاته.. فإننا نكتشف البعد الآخر أو الدافع الرئيسى لابن مماتى، وهو مصلحة مصر والشعب المصرى عموماً. فإذا عرفنا أن صلاح الدين كان كردياً وأن قراقوش قائد جيشه كان من الصقالبة من مماليك القوقاز فى حين كان ابن مماتى مصرياً أباً عن جد.. لمحنا أثر الصراع بين المصريين والحكام الأجانب.. ولعل هذا ما جعل كازنزفا يقول :

"إن ابن مماتى كان يسعى إلى هز الثقة بقرلقوش، وهو قائد صلاح الدين الأيوبى ومن أقرب المقربين إليه، لأنه كان يعهد إليه بأمانة الأشراف على مصر نيابة عنه حين يضطر إلى السفر إلى سوريا للقاء الصليبيين" . فصلاح الدين لا ينيب عنه مصرياً مهما كان قدره أبداً، وقد كان ابن مماتى مثلاً رئيساً لديوان الجيش وديوان المال فى ذلك الوقت، وهو أهم الدواوين فهذا يجعلنا نقبل ما يذهب إليه كازنوفا حين يقول:

"إن ابن مماتى أراد فى الحقيقة أن يسخط الشعب على الدولة الأيوبية الجديدة التى ورثت الحكم الفاطمى وخاصة أن الأيوبيين كانوا من السنة والفاطميين من الشيعة. ولذلك يمكن الظن بأن كتاب الفاشوش هو درب من دروب الدعاية السياسية، وحرب الدعاية بين المذاهب مثلما نشأت فى أيامنا هذه".

إذن فنحن بإزاء كاتب عملاق ومعاصر أيضاً وهو رائد فى أدب الفكاهة والسخرية ورائد فى دراسة نظم الحكم ومناضل وطنى شريف وضع نفسه فى مهب الأعاصير من أجل أهله ووطنه. وكان من نتيجة ذلك أن انتهت حياته نهاية مأساوية بفعل الاضطهاد والمطاردة التى دفعته إلى الهروب إلى ما وراء الحدود حيث قضى بقية أيامه بمدينة حلب حتى مات بعد عامين فى 606 هـ (1209م) وعمره اثنتان وستون عاماً .

أما كتاب " **أمير شعراء الرفض - أمل دنقل**" فسوف يأتي الحديث عنه في الجزء الأخير بعنوان " النقد والمصادرة"

ثم نأتي إلى أهم هذه الدراسات وهو كتاب:

- لويس عوض ومعاركه الأدبية

لقد اختلفت الآراء وتناقضت حول لويس عوض وأفكاره وانتماءاته وكان لابد أن يتصدى لهذا الأمر باحث جاد يضع كتابات هذا المفكر والناقد الكبير موضع الفحص والدراسة النقدية الموضوعية في ضوء الآراء المختلفة حوله ليكشف ضمن رؤية شاملة موقف هذا المفكر بين تيارات الفكر العربي المعاصر.

وقد أخذت منى هذه المهمة أكثر من خمس سنوات حتى أنجزت هذا الكتاب فيما يقرب من ستمائة صفحة من القطع الكبير، ونشرته هيئة الكتاب بمصر سنة 1995. وقدمه الناقد الكبير الأستاذ **الدكتور شكري عياد** بكلمة نشرت على غلافه الأخير جاء فيها:

"ان الكتاب قد " استوفى عرض المشكلات الأدبية واللغوية التي تعرض لها لويس عوض والاعتراضات التي سيقت ضده، وذلك بأسلوب موضوعي متزن.

وأعتقد أن نشر هذا الكتاب يفيد في إنصاف مفكر كبير نعتز بإسهامه، وتبرئته من تهمة التعصب الطائفي التي رماه بها بعض الكتاب، وان كانت أحكامه التاريخية قد تصيب وقد تخطئ، وهذا أمر يتفق لكل كاتب، ولا ينبغي أن يعزى إلى سوء نية.

والأستاذ نسيم مجلى يتحرى الأمانة العلمية ولا يتردد في قبول النقد الصحيح الذى وجه إلى لويس عوض في بعض دراساته، وربما وجه نقدا من عنده. فكتابه هذا جهد طيب فى سبيل تصحيح أساليب النقاش بين الباحثين والأدباء ".

هذا رأى الدكتور شكري عياد، وهو واحد من كبار الباحثين والنقاد، أما التقديم الثاني الذى نشر في صدر الكتاب فقد كتبه المفكر القومى الكبير **الدكتور مصطفى الفقى** الذى يصفني كناقد بالأمانة والجدية حيث يقول:

وعبر الصفحات القادمة من هذا الكتاب يكشف المؤلف الأستاذ "نسيم مجلى" وهو مثقف مصري أمين عن معارك "لويس عوض" والصراعات التي خاض غمارها طوال حياته

ثم يختم تقديمه بقوله:

" أننى أدعو القارئ الى جولة ممتدة عبر صفحات هذا الكتاب القيم الذى يقدم ومضات رائعة من حياة مفكر مصري عظيم بقلم مثقف مصري جاد. "

وفى ظل المناخ الثقافي العام التي تسيطر عليه أفكار السوق وثقافة الاستهلاك الى جانب تيار التعصب الديني المعادي للويس عوض ولى أيضا، فإن الكتاب لم ينل ما يستحق من المناقشة الجادة فى صفحات الأدب أو برامج الإذاعة والتلفزيون. ففي حين حظى كتاب " أمل دنقل " بحوالي عشرين مقالا في مصر والعالم العربي من الخليج إلى المحيط، فان ما كتب عن كتاب " لويس عوض " لا يزيد عن عشر مقالات داخل مصر فقط كتبها رجال لا يهابون فى الحق لومة لائم.

ولنبدأ بعمود واحد نشره الكاتب الصحفي الكبير الأستاذ **محمود عبد المنعم مراد** في مجلة أكتوبر (العدد 962 الأحد 2 ابريل (نيسان) 1995) جاء فيه:

"وكما قلت منذ ثلاثة أسابيع، ومازالت أقوله حتى الأن، إن تناول حياة وآثار لويس عوض لا يخلو من مخاطرة ومغامرة. لأن الطريق شائك وملغوم. ولكنني لم أبال بالشوك وقلت ما أعتقد أنه حق، وما يغضب كثيرا من الناس. وبعض القراء كان سعيدا بما قلت. وكان من بين هؤلاء الأستاذ نسيم مجلى الذى وضع كتابا ضخما في قرابة ستمائة صفحة عنوانه "لويس عوض ومعاركه الأدبية" وأنا أعلم أن كثيرين سيقولون عن دفاع نسيم مجلى عن لويس عوض، أنهما ينتميان إلى دين واحد. غير أن هذا الخاطر لم يزعجني ولم يمنعني عن التنويه هنا بهذا الموضوع الشامل. من طبعي ألا أقيم وزنا للحرج الذى يصيب الكثيرين عندما يكتبون عن شخص يستدعى في خواطرهم دينه وتوجهه السياسي، فالعبرة عندي بالموضوع والحقيقة العلمية التي اقتنع بها، ومن ثم طالعت الكتاب، أو أجزاء كثيرة منه وأعجبني ما فيه من موضوعية وصدق، ورجاحة عقل وإحاطة بالآثار الأدبية المهمة التي تركها لويس عوض للأجيال. وقد أعجبني كذلك ما كتبه زميلي وصديقي محمد شكري عياد الناقد الموضوعي المؤهل للنقد،

لابد أن أشير بعد ذلك إلى مقال **الدكتور عاطف العراقي** أستاذ الفلسفة الإسلامية والمفكر الشجاع الذى شارك في مناقشة الكتاب في نادى خريجي اللغة الإنجليزية مع الدكتور مرسى سعد الدين والدكتور ماهر شفيق والدكتور وجدى زيد. ومقال الدكتور عاطف نشر بمجلة عالم الكتاب عدد يوليو/أغسطس/سبتمبر 1996 " وسأكتفى بسطور قليلة في تقديره لمنهج الدراسة إذ يقول:

"وقد أجاد الأستاذ نسيم مجلى كل الإجادة في تحليل المؤثرات الثقافية والفكرية والاجتماعية التي أدت دورا هاما في بلورة رأى أو أكثر من أراء مفكرنا الشامخ لويس عوض. ولم يكن مكتفيا بمجرد العرض بل كان يلجأ باستمرار الى التحليل والمقارنة والموازنة بين العديد من تلك المؤثرات، وكيف أدت دورا يختلف شدة وضعفا، اذا قارنا بين مؤثر ومؤثر أخر من تللك المؤثرات، وهذا يعد غاية في الموضوعية والدقة ويكشف عن الثقافة الموسوعية الشاملة عند نسيم مجلى"

ثم يقول فى موضع آخر من مقاله:

" ويحلل الاستاذ نسيم مجلى، تحليلا غاية في الدقة والأمانة العلمية والأكاديمية ما أثير من معارك وقضايا حول هذه الموضوعات. لقد أحاط نسيم مجلى بهذه الآراء والقضايا إحاطة دقيقة، واقول للقراء الأعزاء إن ما كتبه نسيم مجلى حول هذه الآراء والقضايا يكشف عن ثقافة واسعة ودقيقة، ولا غنى عنها لكل المهتمين بهذه القضايا التاريخية والنقدية"

ثم يختم مقاله بهذه الجملة:

"واذا كان لويس عوض قد دخل تاريخ فكرنا العربي المعاصر من أوسع الأبواب وأرحبها، فقد دخل أيضا كتاب نسيم مجلى عن لويس عوض من أوسع الأبواب في تاريخ المؤلفات العميقة والأكاديمية والجادة في مكتبتنا العربية، وما اقلها وما أندرها"

وعن هذا الكتاب أيضا تحدث **الدكتور صلاح فضل** في برنامج "مع النقاد" حيث أفاض في تحليل جوانب كثيرة من هذا الكتاب نكتفى منها ببعض الفقرات القصيرة مثل:

"انه كتاب حقيقة هام في تاريخ الفكر والأدب والثقافة في مصر، لا لأن مؤلفه قد بذل جهدا كبيرا في البحث والتحري والمتابعة لمجموعات من الصحف المهملة عبر نصف قرن كامل بل لأنه لم يقتصر على المادة المباشرة للمعارك بل امتد اهتمامه الى الروافد الجانبية التي تضئ الإشكالات وحاول أن يجمع بين التحليلات التاريخية والفكرية بنفس طويل ومعرفة موصولة. ومع انه كان مفعما بالإعجاب بلويس عوض ومتبنيا الدفاع عن مقولاته باعتباره نموذجا للمفكر الأديب إلا انه في مواقف كثيرة يحاول أن يزن الأمور بمنظوره هو ويأخذ المسافة المتباعدة الضرورية بينه وبين لويس عوض"

ثم يقول صلاح فضل:

مسألة العام والخاص في الكتاب نجد انه يدور حول شيء محدد. هو لويس عوض ومعاركه الأدبية، وهى معارك فكرية ثقافية شاملة. ما يتجلى في الكتاب انه لا يحكى قصة الصراعات والمعارك وإنما يحكى التحولات والنضج في داخل التيار الواحد، في موقف لويس عوض مثلا. تحول صلته بالعقاد، ثم علاقته بطه حسين وتحول طه حسين نفسه. صفحات بالغة الأهمية فى هذا الكتاب.

كذلك وصف مشهد التعددية الفكرية في الخارطة الثقافية، ودفاع لويس عوض المستميت عن هذه التعددية، والجدل الخصب المثير بين أطرافها. أرى ان الكتاب لا يقتصر ولا يمكن أن تكون قيمته تاريخية لأن الماضي هو سبيل الكشف عن الحاضر. تأمل التاريخ وهو وسيلة معرفة المكونات التي تفعل فينا الآن. وهذا ما تفضل بالإشارة إليه **الدكتور مراد وهبة**. مثلا دعتني كلمات الدكتور لويس عوض عن طه حسين الى المرور بلحظة خاطفة من الإدراك العميق للتحولات في شخصية المفكر فى مصر.

النظرة الشمولية الكلية التي تفضل الدكتور مراد وهبة بإبدائها عن الخط الأساسي في فكر لويس عوض هي التي تحدد طبيعة المعارك وموقفه فلسفيا وفكريا. وهو امتداد

ناضج مكتمل الأدوات ومتسلح بعناصر معرفية ومنهجيه ومتشرب للمناخ وقدرته على التأثير في تلك المدرسة العلمانية التي لا تتنامى في فكرنا الآن بالضرورة اللازمة لمقاومة التيارات المعادية لها.

وسوف أختم هذا الجزء من الكلام عن كتاب "لويس عوض ومعاركه الأدبية" بكلمة **الدكتور أنور لوقا** أستاذ الأدب المقارن والترجمة بجامعة ليون بفرنسا والدكتور لوقا مشهور جدا في ميدان الدراسات العربية والإسلامية على مستوى العالم كله. وقد أرسل لي هذا الرأي في خطاب خاص من سويسرا في 12/ 11 / 1996 بعد قراءته للكتاب، حيث يقول مخاطبا شخصي:

" كانت مفاجأة عظيمة أن أعود من رحلة الى تونس فأجد في انتظارى كتابك الكبير "لويس عوض ومعاركه الأدبية". وإذا بقراءة صفحاتك تجرفني وتستغرقني، وتوقظ شعوري بتقصيري فى الكتابة إليك وأنت فى صميم المعمعة.

إنك حققت بهذا الكتاب عملا شاملا، مرجعيا يتجاوز فردية لويس عوض لأن ما خاضه من معارك "ادبية" يتجاوز شخصه ويفتح على الملأ مشكلات الفكر المصري بمختلف دلالاته – مقوماته ومقاوماته- في الوثب نحو المعاصرة. انه تاريخ لأطوار انتقال وإنضاج جوهرية برزت فيه تيارات مختلف العقليات واشتباكاتها. لا غنى للباحث فى تاريخنا العقلي عن الرجوع الى فصولك، وهى فصول متنبهة، لا تتجنب مواضع الحرج والإحراج، بل تدقق فى التعريف بها وفى تحليلها مع الاستشهاد بنصوص بما يظهر فى أعماق الخلاف نقاط الالتقاء.

هذه الروح الايجابية الصادقة هي ما نفتقده. إن كتابك درس في الشجاعة الأدبية والصبر، والبحث الرصين، والحوار النزيه، والإقبال على خدمة الآخر. انه تطبيق واقعى للمثل الأعلى الوارد فى الموعظة على الجبل:

" من سخرك لتمشى معه ميلا، رافقه في المشى ميلين " وقارئ كتابك لا ينهل منه ثقافة جامعه فحسب، ووعيا مرهفا فحسب، بل يتلقى هذا الدرس الجليل فى التعامل بالصراحة والمودة مع النفس ومع الغير، وهكذا يتحول القارئ عبر صفحاتك السلسة المشوقة الراقية إلى إنسان متحضر.

انى أرجو لكتابك هذا أوسع الانتشار فى العالم العربي، لأنه خير تلبية لحاجات مجتمع متأزم تنكر لقيمه الأصيلة، وفى الخارج لأنه يؤدى رسالة إنسانية منعشه. وأشكرك بوجه خاص على إهدائك الرقيق على كل ما شرفتني به من ثناء وتقدير بالغت في اضفائهما على محاولتي المحدودة، بينما أغنيتني بفصولك المستوعبة عن قراءة كتب كثيرة ومقالات كثيرة: وفى حديثه عن بعض فصول الكتاب قال الدكتور أنور لوقا:

راعنى مقال "محاكمة فقه اللغة العربية" بوضوحه ودقته التوثيقية وموضوعية العرض وشجاعتك للتصدي لهذه القضية بالحكمة فى هذه الظروف الحالكة. وسيبقى

مقالك هذا من المراجع فى تاريخ حرية الفكر. (نشر هذا الفصل من كتابي بمجلة فصول نوفمبر 1992).

وفى رسالة خاصة قال الدكتور لوقا عن فصل آخر فى الكتاب:

استمتعت بمقالك المعنون "رموز الشعر الحديث" لما فيه من إرهاف الإصغاء الى المهموس في مقاصد الشعراء، والمستخفى من النوايا في إجراءات الهيئات الرسمية، واستيعاب أعمال الأدباء والنقاد، ومتابعة الخيوط التي تمتد خلالها لترسم أطوار تحرك جديد، مع الاستشهاد التوثيقي بالنصوص وبالآراء، والمقابلة بين التواريخ. كل ذلك فى سلاسة ورصانة تتوسم الخير وتتعقبه الى أن تجلو فى تعمقه درسا تزجيه هدية للخصم إيجابية بدلا من مهاتراته. وهذه كتابة – فى مقام المعارضة- صادرة عن التعاطف والمحبة. وهى اللغة التي يفتقدها المجتمع المصري المذعور حاليا، إذا تركت له ضجة الهياج والانفجارات ورعدة الخوف مجالا للاستمتاع.

"وأما **محمود شاكر** فأنك تعالجه من زوايا حكيمة (ولم أقرأ لهذا الرجل سوى ما استشهدت به فى مقالك "رموز الشعر الحديث" والحق انك تمثل الضمير اليقظ فى وقوفك بالمرصاد، والتعاطف الودود فى إقبالك على الحوار. أدعو لك من صميم القلب بمزيد من القوة الراسخة وتمام التوفيق."

وبصدور كتاب **"صدام الأصالة والمعاصرة –محمود شاكر ولويس عوض"** في سلسلة كتاب (الأهالي) يونيه 1988 يكتمل هذا المشروع النقدي الذى بدأ بكتاب "لويس عوض ومعاركه الأدبية 1994". ولم يكن همى محصورا فى شخص لويس عوض أو فكره فقط بل إهتمامي الأساسي كان هو تيارات الثقافة المصرية على مدى نصف قرن أو يزيد، واختياري الأساسي للويس عوض كمحور لهذه المعارك لأنه كان يقف على خطوط التماس والاحتكاك بينها جميعا على أرضية الوطنية المصرية والحرية والديمقراطية فلم يعط نفسه لليسار الماركسي وانما انتقده نقدا مريرا ولم يعط نفسه للقوميين والبعثتين بل وناصبهم العداء وكشف عن طموحاتهم التوسعية ووقف من الأخوان المسلمين ودعوتهم موقف الخصومة الشديدة. وهذه هي القوى الثلاث التي لا زالت تعمل على تشويه فكره واثارة العداء له حتى الآن.

إزاء هذا كان موقفي هو كشف هذه التيارات من خلال مناقشة وتحليل هذه المعارك دون خوف أو رهبة. والحمد لله أننى نجحت في ذلك بما لا يقوى عليه كثيرون. وقد نبهت فى ص 21 من كتاب "لويس عوض ومعاركه الأدبية" إلى هذا الاتجاه فقلت:

"ولا شك أن هذا التضارب فى الآراء يعطى هذه الدراسة مشروعيتها وأهميتها فى آن واحد. فليس لهذه الدراسة من غاية إلا تصحيح زاوية الرؤية بالنسبة لكتابات الدكتور لويس عوض ومواقفه، وكذلك بالنسبة لمواقف خصومه وناقديه "وهذا ما فعلته بمنتهى الدقة والجدية والشمولية.

وحرصا على هذا الجانب الشمولي، خصصت ثلاثة فصول للحديث عن العلامة محمود شاكر – حياته وفكره. ومحاولة للدخول مع هذا المفكر فى حوار بعنوان "من القطعية الى الحوار" وقد نشرت هذه الأبحاث ضمن كتاب "صدام الأصالة والمعاصرة" وكانت هذه الأبحاث معدة لتنشر بعنوان "شاكر ومفهومه للأصالة الثقافية" ألا إن هيئة التحرير رأت إضافة فصل لتذكير القارئ بموضوعات المعركة التي قادها شاكر ضد لويس عوض سنة 1965، وحتى يأخذ الكتاب حجما معقولا أضفت لها فصلا بعنوان "وقفة بين كتابين" واخترت للكتاب عنوانا شاملا ولافتا وهو صدام الأصالة والمعاصرة – محمود شاكر ولويس عوض"

ولن أطيل فى الحديث عن هذا الكتاب بل سأكتفى بنقل هذه الفقرة القصيرة من المقدمة ص 12 حيث قلت:

"وأنا هنا أتحدث عن شاكر للتعريف به وبفكره كما فعلت مع لويس عوض لأن اهتمامي الأول ليس منصبا على هذين القطبين فقط، وإنما اهتمامي الأساسي هو التعريف بأصول المشاكل فى الصراع الجاد بين دعاة الأصالة ودعاة المعاصرة، وأجراء الحوار بين التيارين دون خوف أو رهبة، وبعيدا عن عقدة النقص وعقدة الاستعلاء، وهو حوار يقوم على الاعتراف بحق الأخر فى الاختلاف، وذلك لتحقيق الوحدة من خلال التنوع وليس عن طريق قهر تيار لحساب تيار أخر واستبعاده. فالتنوع هو الذى يمد ثقافتنا بالحيوية والمغايرة والإبداع، وهو حق طبيعي من حقوق الأنسان، فضلا عن كونه مصدر لتحرير العقل من أثقال التقاليد التي تشده الى الوراء وتلقى به فى كهوف الانغلاق المظلمة، ودفعا لمنهج الحوار وترسيخه فى حياتنا المعاصرة، أقدمت على هذه المحاولة"

أما **الدكتور عبد العزيز الدسوقي** فقد نشر مقالا طويلا بجريدة وطني (16مارس 2003) بعنوان " لويس عوض بين نسيم مجلى وبيني" استهله بالقول:

سعدت بهذا الكتاب وقرأته مرتين على الرغم من صفحاته التي تقترب من الستمائة صفحة وعلى الرغم من أننى كنت من أكثر المهاجمين للدكتور لويس عوض شراسة وعنفا أشار هو إلى ذلك في بعض كتبه ونقلها في هذا الكتاب نسيم مجلى. وكان يشير إلينا (أي إلى عبده بدوى وعبد العزيز الدسوقي بكتاب مجلتي" الرسالة " و" الثقافة " ولا يذكرنا بالإسم احتقارا منه لشأننا.

ثم يقول الدسوقي: إنني أخطأت في مقال واحد كان عنوانه "التيار المشبوه الذى يقوده لويس عوض" ونشر في مجلة " العلوم" البيروتية، ولعل هذا ما أثار الدكتور لويس ولكنني لم أكن أقصد أي تيار صهيوني. فقد كان المقال نقدا لقصيدته الرديئة. أما مقالاتي الأخيرة فقد كانت نقدا موضوعيا لشطحات لويس عوض وأخطائه،

ومع ذلك -وقبل كل ذلك-فإنني سعيد بهذا الكتاب الكبير وأعتبره موسوعة علمية في الدفاع عن لويس عوض، وبيان إنجازاته العلمية والفكرية، وهو على الرغم من

تعاطفه الشديد مع الدكتور لويس عوض كان موضوعيا في أحكامه ومناقشاته ويقبل بعض الأخطاء الفكرية والعلمية التي وقع فيها لويس عوض، وهو يذكرني بكتاب سعيد العريان عن " مصطفى صادق الرافعي" ووجه الشبه هو هذا الإخلاص والحب الذى بذله المؤلفان في تجلية صورة هذين الرائدين.

ثم يضيف الدكتور عبد العزيز قائلا: والكتاب رحلة شاقة ومضنية بذل فيها الأستاذ نسيم مجلى مجهودا كبيرا يفوق الوصف وتناول كثيرا من القضايا والمواقف المعقدة الشائكة بأسلوب علمي وتناول أدبى يثير المتعة والجذل، وأنا أتفق مع ما قاله الدكتور شكري عياد في وصفه للأستاذ نسيم مجلى انه " يتحرى الأمانة العلمية ولا يتردد في قبول النقد الصحيح الذى وجه إلى لويس عوض في بعض دراساته وربما وجه نقدا من عنده "ولو كان هذا الكتاب رسالة دكتورا لمنحته الجامعة الدكتوراه بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى.

ولكن هل نتفق مع التناول الذى ناقش به المؤلف كل القضايا فى هذا الكتاب؟ ولكن قبل أن أتناول القضايا التي نختلف فيها مع المؤلف نقف عند القضايا التي جلاها المؤلف وبذل في سبيل تحريرها وتجميعها جهدا وعطاء كبيرين وما أكثر هذه القضايا المهمة التي نجح " نسيم مجلى" في دراستها وإبراز صورتها نقية رائعة وكانت قد غابت في أضابير الكتب والمجلات ولم يعد أحد يعرف عنها شيئا مثل قضية الصراع بين "الالتزام والإلزام" و"الأدب في سبيل الحياة" و"الحوار بين العلم والدين " وهذه القضايا اشترك فيها محمد مندور ولويس عوض وعبد العظيم أنيس ومحمود أمين العالم ولطفى الخولي وأنيس منصور ومحمد عبد المنعم مراد وقد أحسست بمتعة بالغة وأنا أقرأ من جديد هذه القضايا التي كنت من مشاهديها عندما بدأت وتطورت ، فقد أعادها لنا نسيم مجلى بكل عبقها الفكري والروحي.

ونختم هذه الفقرات بما قاله **الدكتور عبد العزيز الدسوقي**:

وفى رأيي أن قيمة هذا الكتاب الكبير تكمن يما بذله المؤلف من جهود شاقة مضنية وقراءات واسعة في الفكر والفن والأدب والاجتماع والسياسة، ومعرفة بالتراث العالمي والتراث العربي، لأنه لم يقتصر على التعريف بالدكتور لويس عوض ودراسة مؤلفاته وهى متنوعة المجالات ولكنه أخذ على عاتقه الدفاع عن مواقفه المختلفة ومناقشة الذين هاجموا الدكتور لويس عوض والدخول معهم في جدل علمي متزن يدل على مقدرته وعمقه ومحصوله الكبير من الثقافة الأدبية، وبذلك تمكن من جلاء صورة عصر بأكمله بما فيه من تيارات واتجاهات وقضايا قد نختلف معه فيها ولكنه يبدى وجهة نظر معقولة تقبل المناقشة واختلاف وجهات النظر. وهذا يحتاج إلى قدرات فائقة وإلمام واسع باتجاهات الأدب والحياة وهذا لم يفعله أحد كتب عن "لويس عوض" غير نسيم مجلى.

وبعد أن يشير الدكتور عبد العزيز الدسوقي إلى مناقشتي للصراع بين" الإلتزام والإلزام" في الأدب ودفاعي عن رفض لويس عوض تسخير الأدب لأغراض سياسية أو اجتماعية واعتباره الأدب دولة مستقلة ذات سيادة ختم كلامه قائلا:

وهذه صفحات رائعة في كتاب نسيم مجلى تجعلني أوجه نداء لشباب الجيل الجديد أن يطالعوا هذا الكتاب ليروا كيف يدافع الأحرار من الكتاب والمثقفين عن حرية الرأي والديموقراطية وكيف تصدوا لهؤلاء الذين كانوا يريدون أن يربطوا حياتنا الثقافية باتجاهات واردة تدعو إلى ديكتاتورية البروليتاريا.

وتحت عنوان "كلمات فى الحياة والفن" كتب الناقد والكاتب الصحفي الكبير

الأستاذ محمد بركات فى مجلة "كلام الناس" يقول:

أول ما يطالعك في هذا الكتاب (لويس عوض ومعاركه الأدبية) الهام هو لوحة الرسام جورج البهجورى الذى يرسم كما يأكل وكما يشرب ويقدم لنا فنا عالميا متقدما يسبق مدارسنا التشكيلية بخمسين عاما على الأقل. ولهذا يتهمه البعض بأنه يرسم "شخابيط" أو "عفاريت"، مع أنه يقدم روح " الشخصية " في الخطوط السريعة التي، يضربها بفرشاته وكما لا يستطيع ذلك إلآ قلة من أمثاله على مستوى العالم كله. (كان غلاف الكتاب يحمل لوحة رسمها جورج البهجورى للويس عوض)

فإذا تركت هذا الغلاف، ودلفت إلى الكتاب فسوف تجد باحثا جادا مدققا يملك أسلوبا من أصفى أساليب الأدب العربي، وضوحا وسلاسة، وجمالا، بحيث لا يمكن للقاريء الجاد أن يتوقف عن القراءة برغم صعوبة الموضوع وجديته.

وهو أسلوب ينم عن شخصية صاحبه، بكل ما في نسيم مجلى من رقى وتحضر وسلام داخلي جميل، فإذا انصرفت عن سحر الأسلوب، فسوف تجد منهجا علميا أكاديميا رصينا في البحث والاستقصاء، وهو أسلوب يستعصى على أساتذة الجامعة الكبار ممن نفتقدهم هذه الأيام بعد رحيل الجيل العظيم الذى كان من أعلامه محمد مندور ولويس عوض نفسه.

كذلك يقول محمد بركات:

وأنا أعرف الأستاذ نسيم مجلى وأقرأ له منذ أربعين سنة، وقد عرفته في دراساته النقدية عن "المسرح وقضايا الحرية" و"ابن سينا القرن العشرين" وقضايا الإبداع والنقد" ثم فتنت بكتابه الجميل " أمل دنقل أمير شعراء الرفض" وقد كان لتسيم مجلى فضل تعريفنا بالأدب الأفريقي في أجمل نماذجه التي قدمها لنا خلال مسرح وول شوينكا حين قدم لنا" الموت وفارس الملك "و" الأسد والجوهرة " وغيرها من الأعمال التي استحق عليها هذا الأفريقي جائزة نوبل.

ثم يضيف بركات قائلا:

والواقع أننى واحد من كثيرين من أبناء جيلي ممن فتنوا بمحمد مندور، بقدر ما خاصموا لويس عوض، لقد أحببنا مندور لأنه درس لنا، وكان بمنهجه وشخصيته نسيجا لوحده، وبنفس القدر لم نستطع أن نحب لويس عوض، لأننا كنا نحب عبد الناصر، ولم يكن يحبه، وكنا نؤمن بالفكرة العربية وكان هو فرعونيا. وكنا وما زلنا مسلمين بديننا وكان هو لا دينيا، وكان التراث العربي هو ثقافتنا الأصيلة بينما كانت الثقافة اليونانية

والرومانية هي المنهل الذى يستقى منه لويس عوض كل ثقافته. وكنا نعتقد أنه يترفع علينا جميعا بدليل أنه لم يكنب دراسة واحدة من بين أكثر من خمسين كتابا له عن نجيب محفوظ وهو أمير الرواية العربية بغير منازع.

والواقع أن كتاب نسيم مجلى قد بدد هذه الأوهام كلها، لأنه لم يترك صغيرة ولا كبيرة في الحياة الأدبية والنقدية الحافلة للويس عوض إلا وكتب عنها في هذا السفر العظيم الذى قدمه لنا. وبهذا تجاوز الكتاب حدود الإلمام بالمشروع الفكري للويس عوض وأصبح تاريخا وتوثيقا وتحقيقا لمسيرة الأدب العربي الحديث في نصف قرن، حيث نجد أقساما أربعة في الكتاب يبدأ الأول منها بالإجابة عن سؤال صغير وهو: معارك لويس عوض الأدبية ... لماذا؟

وهنا يقدم لنا الباحث محاولة جادة للفهم داخل المشروع النقدي للويس عوض. وأما القسم الثاني فيناقش ثورة الأدب الجديد ابتداء من المقولة التي راجت في الستينات وحملت شعار الأدب في سبيل الحياة وانتهاء بالمكارثية في الأدب. وأما القسم الثالث فهو أهم الأقسام، لأنه يناقش معارك لويس عوض الشهيرة ابتداء من معركته حول الأصالة والمعاصرة مع محمود شاكر وانتهاء بمعاركه حول الدعوة إلى العامية. وفى القسم الرابع والأخير يناقش مجلى آخر وأهم معارك لويس عوض حول أقنعة الناصرية، والصراع بين القومية المصرية والقومية العربية، ثم كتابه الخطير المصادر منذ عشرين سنة وهو كتاب " فقه اللغة العربية"

ان كتاب "لويس عوض ومعاركه الأدبية" لنسيم مجلى هو أحد أهم الكتب التي صدرت في السنوات الأخيرة. اما الوقفة النقدية مع هذا الكتاب فلها وقت أخر.

أكتفى بهذه الاقتباسات من أراء كبار الباحثين والنقاد وأعود لأقول أنني كنت قد أعددت نفسي جيدًا لهذه المهمة، ثم شرعت في الكتابة منذ خمس سنوات تقريبًا. وبعد عدّة شهور أنجزت أهم وأدق جزء فيه، وهو المتعلق بتلك المعركة التي شنها المحقق اللغوي الكبير العلامة الأستاذ محمود محمد شاكر على الدكتور لويس عوض، وناقشت في هذا الجزء كل ما أثاره شاكر ضد لويس عوض من مطاعنَ واتهاماتٍ. ثم توقفت لأتلمّس وقْع خطواتي في هذا السبيل، وأتعرف على أصداء ما كتبت عند أهل الثقة من الأساتذة والأصدقاء المهتمين بمثل هذه الدراسات الجادة. بل وعند قطبي هذه المعارك ذاتها وهما لويس وشاكر، فسعيتُ للقاء كل منهما.

والحق يقال، إنه لم تكن لي علاقةٌ شخصية بأحد منهما. كانت معرفتي بلويس عوض تنحصر في متابعة كتاباته عن طريق الصحف والمجلات أو الكتب التي يصدرها، ولم أقابله إلا عدة مرات في ندوات عامة.

وحين ذهبت للحديث معه في مكتبه بجريدة "الأهرام" ما كدت أفتح الموضوع حتى واجهني بزمجرة غاضبة معترضًا على إثارة هذه الأمور، ومعترضا على تسمية البحث

بهذا العنوان وهو "لويس عوض ومعاركه الأدبية" قائلا: إنه لم يدخل مع أحد في معارك.. "ماذا كتب هذا... أو ذاك حتى تقول: إني دخلت معه في معركة؟"

وحاولت أن أقنعه بوجهة نظري وبإصراري عليها. وهنا تدخل الدكتور غالي شكري لتهدئة النقاش وقال: "لكن نسيم يرى أنها معارك يا دكتور لويس ومن حقه أن يكتب عنها.." فأمَّنت على كلامه وأضفت "بأنني كتبت فعلا، وأنني لم آتِ هُنا لأجادل حول هذه النقطة وإنما جئت لكي أعرفك بالموضوع حتى تكون على علم به. وأنا أحتاج لبعض كتبك، وقد احتاج لمناقشتك في بعض المسائل والتساؤلات مستقبلا". وقد عرفت فيما نشر من أحاديثه - فيما بعدُ - سر ثورته على تسمية الكتاب؛ إذ اعترف بأن خصومه ليسوا أندادا له، والقول بدخوله معهم في معارك قد يعطيهم – ومن وجهة نظره - حق المساواة في ميدان الأدب والثقافة.

المهم أنه في أثناء هذا اللقاء، قال المذيع المعروف الأستاذ شفيع شلبي: إنه يحاول أن يجمع الأستاذ محمود شاكر والدكتور لويس عوض معا في لقاء؛ لكي يدير معهما حوارًا ويسجله للتليفزيون ففرحت وأعربت عن أهمية هذا اللقاء وعن استعدادي للمساهمة في إنجاحه، لكن المرض الخبيث فاجأ لويس عوض وقطع علينا الطريق، وأضاع فرصة هذا اللقاء المنشود. لكن يبقى الفكر؛ فالأفراد جميعا زائلون.

الاضافات الجديدة لكتاب " لويس عوض ومعاركه الأدبية"

كلمة لا بد منها حول نشر كتاب " مقدمة فى فقه اللغة"

تحت عنوان "**محاكمة فقه اللغة العربية** " نشر هذا الفصل مع وثائق القضية فى مجلة " فصول " أول يوليو 1992. وبعد ذلك بوقت قصير اتصل بى **المهندس فوزى حبشي** تليفونيا أن السيدة **/ راوية عبد العظيم** تفكر فى إعادة نشر كتاب " مقدمة فى فقه اللغة العربية " فى دار نشر سيناء، وتريد أن تضع مقالك المنشور فى مجلة " فصول " كمقدمة للكتاب. وعرفت أنها وجدت في تفسيري لحكم المحكمة مخرجا لها كناشر حيث قلت " ومنطوق قرار المحكمة يقتصر على "تأييد أمر الضبط" أي التحفظ على النسخ المطبوعة " وهذا معناه أن أفكار المؤلف لم تصادر ولم تجرم واقتصر الحكم على التحفظ على النسخ المضبوطة. وعندما اتصلت بي السيدة راوية عبد العظيم تليفونيا 19-وأعربت عن رغبتها في وضع مقالي كمقدمة للكتاب، رحبت بالفكرة وشجعتها لأنني كنت حريص على نشر الكتاب وإلغاء أمر المصادرة لأنه ضد حرية التعبير وهي حق أساسي من حقوق الانسان. وبعد شهور ظهر كتاب فقه اللغة فى معرض الكتاب أوائل 1993 وحقق مبيعات عالية.

طعنات من الخلف وتحريض للمتعصبين

وجاءت المفاجأة من جانب الدكتور رمسيس عوض إذ قدم بلاغا للنائب العام يقول إن الكتاب مصادر ولا يصح نشره، وباعتباره الوريث الوحيد للويس عوض فهو ليس مسئولا عن نشره ويطالب بمحاسبة المسئولين عن ذلك. وهكذا بدلا من أن ينضم رمسيس عوض إلينا فى الكفاح لرفع الظلم الذى لحق بأخيه الراحل حيا ونشر كتابه النادر، يبادر بطعننا من الخلف ويحرض علينا السلطة والمتعصبين. خصوصا وأن أحدا لم يسأله عن مسئولية النشر، ولكنه تطوع بذلك وتمادى فى الأمر دون حياء او احساس من ضمير فلا يكاد يتحدث في جريدة أو مجلة حتى يلقى بالمسئولية علينا أنا وفوزي حبشي ابن عمه.

ورغم أن هذا الفعل يشرفنا ويشرف كل من ساهموا فى تحقيقه إلا أن المحزن فى الأمر أن يتدنى موقف الدكتور رمسيس الى هذا المستوى خصوصا وانه اتخذ هذا الاتهام وسيلة للضغط على الناشرين للحصول على حقوقه المادية التي وصلت عشرة الاف جنيها كما أخبرتني راوية عبد العظيم، ومع ذلك لم يهتم بدفع حقوقي عن المقدمة والوثائق التي كانت سببا في إعادة نشر الكتاب فى دار سينا أو نشره مرة أخرى عن طريق دار "رؤية للنشر والتوزيع " 2006م وهى دار نشر حديثة الظهور.

ولعلها فرصة نعطى فيها القارئ العزيز فكرة عن هذا الكتاب البالغ الأهمية للثقافة العربية بتقديم هذا الجزء من مقالي الذى نشرته مجلة فصول.

18- محاكمة " فقه اللغة العربية" الكتاب والقضية

صدر كتاب (مقدمة في فقه اللغة العربية) للدكتور لويس عوض عن الهيئة المصرية العامة للكتاب في 1980، كما هو واضح من تاريخ الإيداع بدار الكتب، المسجل في نهاية الكتاب. وظل الكتاب معروضًا للبيع في مكتبات الهيئة مدة تقرب من عامين، بيع خلالها نحو ألف نسخة من كمية المطبوع منه. وهذا يعني أن الكتاب قد أخذ دورة كاملة من التداول في كل أنحاء مصر، وفي معرض الكتاب الدولي في يناير 1981، مما يجعل فكرة المنع أو المصادرة عبثًا لا جدوَى منه. وكما يقول أ. ف. ستون:

"إن الأفكار ليست في هشاشة البشر. فهي غير قابلة للكسر. فهي لا يمكن أن ترغم على شرب السم. لقد عرف سقراط أن أفكاره سوف تحيا بعد موته، وكذلك مثله، ولكن أثينا سوف تحمل عار موته". كتاب " محاكمة سقراط" ترجمة نسيم مجلى

ورغم هذا كله، تقدمت إدارة البحوث والنشر بالأزهر بمذكرة تطلب فيها تدخل الحكومة لضبط الكتاب، ومنعه من التداول ومصادرته. والمذكرة كتبت في 6 سبتمبر 1981، أي في اليوم التالي لحملة الاعتقالات التي قام بها الرئيس السادات ضد خصومه ومعارضيه السياسيين، وشملت الحملة اعتقال 1536 من كبار المفكرين والسياسيين والصحفيين، فضلاً عن كبار رجال الدين الإسلامي والمسيحي. وقد أفلت الدكتور لويس عوض من الاعتقال. ونتيجة لهذا لم يجد خصوم لويس عوض شيئًا ضده فحركوا قضية الكتاب.

وردًا على ذلك، قام المؤلف برفْع دعوَى للمطالبة بالإفراج عن الكتاب؛ حتى لا يحرم من الوصول إلى القراء الذين أُعد لهم. كما تقدم الأستاذ أحمد شوقي الخطيب المحامي بمذكرة وافية يفند فيها كل ما جاء بمذكرة مجمع البحوث الاسلامية من ادعاءات ضد الكتاب، ورد عليها من نصوص الكتاب نفسه، لكن المحكمة لم تلتفت إلى أقوال الدفاع، وأيَّدت ضبط النسخ المطبوعة.

ومنطوق قرار المحكمة يقتصر على "تأييد الضبط"، أي: التحفظ على ما بقي من نسخ الكتاب. فأفكار المؤلف لم تصادر ولم تجرم، ويمكن لأى ناشر أن يعيد طبع الكتاب الآن. وإذا كانت تلك الظروف قد حالت دون عمل استئناف لهذا الحكم، فإن الأمر ما زال متروكًا للحاكم العام لإصدار قرار حاسم بالإفراج عن الكتاب؛ إنقاذًا لحرية الفكر، وتأكيدًا لتطابق سلوكنا مع أقوالنا في إقامة صروح الديمقراطية، فلا حرية ولا ديمُقراطية في ظل مُصادرة الرأي الآخر.

ويهمني في هذا الصدد أن أشير إلى رأي **الدكتور سيد رزق الطويل**، وهو أحد العلماء المسلمين الذين يرفضون موقف لويس عوض، لكنه يرفض المصادرة بالدرجة نفسها. ويقول:

" إن مصادرة الفكر المنحرف بقوة القانون يوحي (كذا) بعجز الفكر القويم عن النضال، ويشكك في قدرته على الثبات، وإنه ليس له من خصائصه الذاتية ما يحميه،

ويذود عنه، وإنه لا حيلة له إلا الاستعانة بقوة القانون". ثم يضيف إن المصادرة ضد طبيعة الحياة التي يقوم أمرها على الصراع المستمر بين الخير والشر؛ لتظهر القيم الفاضلة، ويعلو شأن المثل الكريمة. ويشير إلى موقف القرآن الكريم الذي يأبى فرض الإيمان على البشر "وقل جاء الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر" (المحاورة.. أقوى من المصادرة، أدب ونقد، يناير 1992."

أما **الدكتور محمد أحمد خلف الله**، قال في العدد نفسه:

" أما عن مصادرة الكتاب من قِبَل الأزهر، فأنا لا أوافق عليها لسبب بسيط جدًا، وهو أن الثقافات الإسلامية في القرنين الثالث والرابع الهجريين، كانت حرة وطليقةً؛ بمعنى أن العقل العربي كان يجول في الآفاق المختلفة، وليس أدل على ذلك من أن علماء التوحيد كانوا يتحاورون في وجود الله ذاته، وفي وحدانيته. وقضية "ابن حنبل" في طبيعة القرآن، وهل هو قديم أم حادث، هي خير دليل في هذا المقام".

وأضيف، هنا، إن لويس في هذا الكتاب يستعرض بعض هذه الجوانب، في ضوء علاقتها باللغة العربية وفقه اللغة، ويشير إلى أسباب قفل باب الاجتهاد في هذا الموضوع؛ وذلك في تقديمه للحديث عن فقه اللغة العربية في ضوء المناهج الحديثة. ويرى لويس عوض رأيه في هذه الأمور، خطأ أو صوابًا، ولكن حسْبُه أنه يربط العقل العربي الحديث بأزهى عصور الفكر والثقافة العربية. وهو يقول: إن العرب والمسلمين، كان لهم فكر حي ومدارس فلسفية، تجتهد وتتصارع، وكانت لهم حضارة وارفة الظلال، تمتد من حدود الصين شرقًا إلى إسبانيا غربًا، وهو يؤكد ذلك في عديد من كتبه الأخرى، فهل يمكن أن يكون هذا المُفكر عدوًا للإسلام، أو للعرب كما يتصور بعض الناس؟!

وأعود إلى الكتاب لأؤكد أنه موسوعة فكرية ولغوية ضخمة، واختراق قويّ لعوامل العُزلة والجمود التي تفصل بيننا وبين عهود ازدهار الفكر والحضارة العربية الإسلامية.

ولا يملك أي دارس لحياة لويس عوض وإنتاجه الفكري والأدبي، إلا أن يطيل الوقوف والتأمل أمام هذا الجهد الهائل، محاولاً التعرف على مضمونه ومرماه، وفهم ما ثار حوله من مطاعنَ واتهامات، وصلت به إلى هذه النهاية المأساوية المتمثلة في مصادرة الكتاب وعدم تداوله في مصر. ومن المحزن أن الكتاب لا يزال ممنوعًا في مصر من عام 1981 حتى الآن (يوليو 1992) في حين أنه يُباع علنًا في عديد من الدول العربية، أي أن الحرمان قد صار وقفًا على أبناء مصر المحروسة، فهل نعود إلى ترديد ما قاله شاعر النيل حافظ إبراهيم في مثل هذه الحال:

فما أنت يا مصرُ دار الأديب.. ولا أنت بالبلد الطيب..

المهم أن حظر نشر الكتاب على هذا النحو، قد ترك جرحًا غائرًا في نفس مؤلفه الذي كرَّس عمره ومواهبه وجهده من أجل تنوير العقل المصري، وإخراجه من كهوف الخرافة

والجهل، إلى نور الفكر والعلم الحديث؛ كي يساهم بدوره في حضارة القرن العشرين، فإذا به يصطدم بقوَى التحجر والجمود في هذه الأمة، ويموت محزونًا على ما آل إليه حالنا وحال الفكر.

إن خطورة المصادرة عمومًا تتمثل في فرض وصاية البعض على فكر الأمة، كما تتمثل في الحَجْر على حرية التعبير والإبداع، وضرب محاولات بناء الديمقراطية في مصر لأن حرية الكلمة هي حجر الزاوية في هذا البناء، وبدونها تصبح الديمُقراطية كلامًا لا معنى له، وكما يقول الكاتب الأمريكي أ. ف. ستون (I. F Stone) في كتابه "محاكمة سقراط": "إن الاختبار الحقيقي لحرية الكلمة ليس فيما إذا كان ما يقال أو يُعلم يتفق مع أي حكم أو أي حاكم، يتفق مع القلة أو مع الكثرة. إن حرية الاختلاف هي التي تنشئ حرية الكلمة".

وفيما يختص بهذه المواقف، فإن منع تداول الكتاب في مصر قد جار على حرية التحاور حول كل ما جاء بالكتاب من أفكار جديدة وجريئة، فقد أحرج كثيرًا من المهتمين والمختصين، وحال دون دخولِهم في نقاش مثمر حول هذه الأمور لكن محاولات الكتاب والمثقفين لا زالت تتكرر من وقت لآخر، ولا زالت صيحاتهم ترتفع أيضًا لرفع الحظر عن هذا الكتاب. وقد تمثل آخر هذه المواقف الحية في العدد الخاص الذي أصدرته مجلة "أدب ونقد" في يناير 1992 بعنوان "أفرجوا عن لويس عوض"

والعدد حافل بآراء ودراسات جديرة بالاهتمام والمناقشة. وفي هذا كله، رأينا أن نقدم عرضًا لموضوع الكتاب وأهم ما دار حوله من مناقشات أولاً، ثم نتبعه بملحق خاص عن وثائق القضية. ولعله من المفيد هنا أن نبدأ بما قاله الدكتور لويس عوض في حواره مع الأستاذ نبيل فرج:

"هناك في الكتاب منهج، وهناك قضايا، أما المنهج فهو باختصار شديد ضرورة امتحان اللغة العربية بتطبيق كافة قوانين الفونوطيقا (علم الصوتيات) والمورفولوجيا (علم الصرف أو علم صور الكلمات)، وقوانين الأيتمولوجيا (قوانين الاشتقاق) وقد فرغ علماء اللغة في أوربا من كل هذه العلوم في القرن التاسع عشر والثلث الأول من القرن العشرين، من إرساء قواعدها؛ بحيث إن أي دارس للفيلولوجيا، أي فقه اللغة، يجب أن يكون مسلحًا، منذ البداية، بهذه القوانين والقواعد.

وأنا لا أطالب إلا بتطبيق هذه القوانين على اللغة العربية بعقل مفتوح؛ حتى نستطيع أن نهتدي إلى ما بين لهجاتها من صلات، وما بين مفرداتها ومفردات اللغات الأخرى من علاقة، وإلى الوشائج التي تربط النحو العربي بالنحو في مجموعات اللغات الأخرى.

- هذا هو المنهج... والقضية ما هي؟

هناك جُملة قضايا أهمها واحدة تقول: إن اللغة العربية كغيرها من كافة لغات العالم مكونة من طبقات شبيهة بالطبقات الجيولوجية التي اندمجت وتكاملت مع نفسها، وانصهرت في هذه البوتقة، وخرجت منها هذه اللغة التي نسميها: اللغة العربية. والعرب

أنفسهم كان لديهم إحساس غامض بما سبقهم من أجيال، كانوا يسمونها الجاهلية الأولى، وينسبونها إلى "آل جرهم". (أدب ونقد – يناير 1992).

فالكتاب يمهد الطريق لوضع أسس وقواعد لدراسة فقه اللغة العربية، بما يتمشى مع المناهج العلمية التي تربط بين هذه المناهج والأنثروبولوجيا الاجتماعية، وكما يقول المؤلف:

كذلك فإن الاعتماد على الفيلولوجيا والأنثروبولوجيا الطبيعية والفونوطيقا وحدها؛ غير كافٍ لوضع أسس علم تاريخ اللغات، وتحديد علاقته بتاريخ الأجناس؛ إذ ينبغي أيضًا الاستهداء بالأثنولوجيا أو ما يفضل علماء اليوم أن يسموه بالأنثروبولوجيا الاجتماعية التي تمتد فتشمل: الأديان المقارنة، والأساطير المقارنة، والفولكلور المقارن، والنظم والعادات والتقاليد المقارنة ( ).

لأن "الاستعانة بدراسة الأثنولوجيا الاجتمَاعية يمكن أن تساعدنا على تحديد الحالات التي يتطابق فيها توزيع الجنس مع توزيع اللغات، وكل مسح أثنولوجي لمصر والمصريين الناطقين بالعربية، يوضح أنهم ينتمون أساسًا إلى مجموعات أثنولوجية مختلفة عن المجموعة العربية، بالإضافة إلى اختلافهم السلالي عن العرب.

هذه نتيجة لا بد أن توضع في الحسبان عند مناقشة النتائج التالية. وما دام البحث يدور حول "فقه اللغة العربية" طبقًا للمنهج السالف الذكر، فقد أصبح من المحتَّم عليه أن يدرس نشأة اللغة العربية، بل ونشأة العرب بالضرورة. ومن ذلك خرج بالنتيجة التالية؛ حيث يقول في الفصل وعنوانه: "العرب ولغتهم".

فالعرب – إذًا - أمة حديثة نسبيًا إذا قيست بما جاورها من الأمم. ونحن نؤرخ للحضارات عادة ببداية عصر التدوين واستعمال الأبجدية. وبهذا المقياس يجب أن نبدأ تاريخ الحضارة العربية الشمالية، والحضارة العربية في وسط شبه الجزيرة بما فيها الحجاز - ببداية القرن الثاني ق. م أي بنحو ثمانمائة سنة قبل ظهور الإسلام – أما تاريخ الحضارة العربية الجنوبية (أي: سبأ ومعين وقتبان، فيبدأ نحو 800 ق.م" وبعد أن يستعرض النقوش السابقة للإسلام في الجزيرة العربية، والتي تثبت شيوع الخط الآرامي؛ ينتهي إلى النتيجة الآتية:

"كانت الأبجدية الآرامية - قبل الميلاد بقرون، وبعد الميلاد بقرون - هي أبجدية التدوين في الهلال الخصيب سواء بين من يتكلمون الآرامية أو من يتكلَّمون العربية...

وأقدم نص عربي معروف ينتمي إلى عام 328م وهو شاهد "امرؤ القيس بن عمرو" المتوفَّى في ذلك العام، وهو يسمي صاحبه: "ملك العرب كلهم" ويسجل أن "امرؤ القيس" هذا كان نائب قيصر الروم أو بيزنطة في بلاد العرب، وأنه حارب أهل نجران وأخضعهم. أما قريش، فهي من عرب الشمال.

وأقف قليلاً هنا لأقول: إن الدكتور لويس عوض يؤيّد رأيه هنا بذكر حقيقتين هما:

1- إنه حسب المسح الإثنولوجي لمصر وللمصريين الناطقين بالعربية، يثبت أنهم ينتمون إلى مجموعات إثنولوجية مختلفة عن المجموعة العربية، بالإضافة إلى اختلافِهم السلالي عن العرب.

2- إن النقوش السابقة للإسلام في شبه الجزيرة مكتوبة بالخط الآرامي، وأن أقدم نص عربي ينتمي إلى عام 328م ميلادية وهو شاهد قبر "امرؤ القيس".

ثم ينفي - أو يرفض - بعض النظريات الخاصة بتحليل قوميات هذه المنطقة والمرتبطة بفروض قديمة عن حركة الهجرات البشرية؛ مثل رأي كيتاني بأن حضارة الهلال الخصيب ليست إلا نزوح الفائض من بدو الصحراء إلى وادي الفرات وإلى الشام؛ حيث استقر البدو في المدن واستفلحوا الأرض. كذلك القول بأن شبه جزيرة العرب كانت في زمن قديم موغلٍ في القِدَم أكثر خصوبة مما هي عليه الآن، ثم أصابها الجفاف، فأدى ذلك إلى هجرة سكانها الأصليين إلى وديان الأنهار والسهول المحيطة بشبه الجزيرة؛ على أساس أن موسكاتي وغيره يرفضون هذا الرأي؛ لأن الشواهد العلمية تؤكد أنه لم يحدث أي تغيير في مناخ شبه الجزيرة منذ فجر التاريخ المعروف، أي الألف الثالثة أو الرابعة قبل الميلاد (لكنه يشير إلى وقوع مثل هذه التغيرات في العصر الحجري القديم) ويأخذ بتفسير عصور الهجرات العظيمة بالانفجارات السكانية؛ سواء بين سكان المراعي أو في أحواض الأنهار دون انتظار الجفاف من الأنهار والأمطار؛ لتفسير انتقال الحشود البشرية من مكان إلى مكان.

ومن هذا يصل لويس عوض إلى القول: "ولن نستطيع أن نفسر ظاهرة تكوّن اللغة العربية من عناصرَ مشتركة الجذور مع اللغات الأوربية، إلا إذا افترضنا أن التكوين السكاني لشبه الجزيرة لم يكن فيضانًا سكانيًا من داخل شبه الجزيرة إلى خارجها أو حوافيها المحيطة بها، ولكن كان فيضانًا سكانيًا من خارج شبه الجزيرة إلى داخلها، وخاصة من أقوام بادية لا تزال في مرحلة الرعي آثرت حياة البداوة على حياة الاستقرار في وديان الأنهار، أو حيل بينها وبين الاستقرار".

فهل صحيح أن الأمة العربية أمة حديثة، أم هي أحدث أمم المنطقة؟ وهل كانت شبه الجزيرة العربية حقًا أرض استقبال للهجرات في مدى التاريخ المذكور، أي بين 1567 إلى نحو 1000 ق.م؟

إن القبول بهذه الحقائق والافتراضات التي ذكرها الدكتور لويس عوض في هذه الفقرات، يؤدي إلى القبول بالنتائج المترتبة عليها والتي يعلنها المؤلف بقوله:

"وقد انتهيت من أبحاثي في فقه اللغة العربية، إلى أن اللغة العربية هي أحد فروع الشجرة التي خرجت منها اللغات الهندية الأوروبية، وإذا نحن اعتبرنا اللغة العربية نموذجًا لبقية اللغات السامية، خرجنا بأن ما يسمى بمجموعة اللغات السامية هو أحد الفروع الرئيسية التي خرجت من هذه الشجرة، ثم تفرعت إلى فروع ثانوية كانت العربية أحدها".

"فالعرب موجة متأخرة جدًا من الموجات التي نزلت على شبه الجزيرة العربية من القوقاز ومنطقة بحر قزوين والبحر الأسود نحو 1000 ق.م أو قبيل ذلك... ولعلها لم تستقر في مكان ما في بلاد ما بين النهرين، أو في الشام الكبير؛ لأنها وجدت في هذه وتلك أقوامًا منظمة أقوى منها بأسًا وأعلى حضارة، فنفذت إلى الفراغ الكبير في شبه الجزيرة من طريق بادية الشام حاملة معها لغتها القوقازية المتفرعة من المجموعة الهندية الأوربية"

وتعني كذلك القبول بالنتيجة التالية أيضًا والتي تقول:

"إن العرب حين نزلوا شبه الجزيرة العربية، إنما نزلوا على سكان أصليين كانوا فيها، كان منهم العماليق الذين نعرف من قصة "الخروج" في التوراة أنهم كانوا مستقرين من الحجاز إلى جنوب فلسطين من قبل خروج بني إسرائيل، وهؤلاء استطعنا تحديدهم بجحافل الهكسوس المطرودين من مصر فى اقرن الجامس ق.م. ولاشك- أيضا أن هؤلاء الهكسوس أو الأماليك كما تقول التوراة، قد نَقلوا إلى شبه الجزيرة ما قبلوا عن المصريين من معتقدات دينية ورواسبَ لغوية، مع ما حملوا من لغتهم القوقازية – فهم موجة سابقة من موجات القوقاز – من مفردات وعادات في التعبير. وربما كانت هذه المرحلة الهكسوسية ، مرحلة "الملوك" الرعاة – تمثل فترتهم الجاهلية الأولى التي يحدثنا عنها التاريخ العربي والأساطير العربية".

ومعذرةً عن الإطالة في الاقتباس؛ لأنني لا أحب ابتسار الأقوال أو الآراء، وأعود إلى ما طرحناه من أسئلة؛ لأقول إن رفض هذه النتائج من حق أي قارئ دون إبداء الأسباب. أمَّا إذا قال قائل: إنها خاطئة؛ فعليه أن يثبت ذلك بأسلوب علمي موضوعي. وأول ما يفرضه المنهج العلمي الصحيح هو التثبت من صحة أو عدم صحة كل ما قدم من حقائق أو فروض، وبصورة أوضح، عليه أن يرجع إلى المختصين في كل علم، وأن يطلع على أحدث الأبحاث؛ ليجيب عن الأسئلة الآتية:

ـ ماذا يقول علم الإثنولوجيا أو الأنثروبولوجيا الاجتماعية في مسألة

19- اختلاف المصريين عن العرب إثنولوجيًّا وسُلاليًّا.

ـ ماذا تقول أحدث نظريات الجغرافية وعلوم البيئة والمناخ عن شبه الجزيرة العربية وأحوالها المناخية، في الألف الثالثة والرابعة قبل الميلاد (وأعتقد أن هناك أبحاثًا أُجريت بأحدث الوسائل العلمية بهذا الخصوص) هل أصابها الجفاف، أم احتفظت باستقرار مناخي حينذاك؟ وكذلك الرجوع إلى أحدث الاكتشافات الأثرية، وما تقوله عن نقوش الخط الآرامي في شبه الجزيرة العربية وعن أقدم نص عربي ولا بأس من تكوين فريق بحث من الباحثين البارزين في هذه الميادين لوضع النقاط فوق الحروف في هذه المسائل الخطيرة التي ترتبط بأصول ثقافتنا، ولغتنا، بل وعقائدنا. هذا هو الأسلوب العلمي الملائم لهذه الحالة، وهو أسلوب ضروري لإقامة البحث العلمي والنتائج العلمية في علوم اللغة والتاريخ والأنثروبولوجيا على أساس سليم يبني عقلَ الأمة بالمعرفة الحقَّة والمنهج القويم، ويزود أجيالها بالثقة والإقدام، ويؤهلهم للدخول في عصر الفتوحات العلمية بقلب سليم.

هذا عن منهج المناقشة المسئول الذي يَحترم الحقائق الموضوعية. أما أن نترك الحقائق، ونبحث عن نوايا المؤلف وعقيدته، وما يمكن أن يترتب على أفكاره قبل أن نقرأها ونستوعبها، فهذا موقف أيديولوجي منحازٌ، ومعادٍ للعلم إلى حد كبير؛ فمن السهل أن يقفز أحد المتعصبين للقومية العربية مثلاً، ويقول: إن التسليم بأن العرب هم أحدث الأمم يضعف حجة القوميين العرب في إقامة الوحدة العربية على أساس العروبة أو القومية العربية، وإن لويس عوض يثبت أن الهكسوس طُردوا من مصر ولاذوا بالجزيرة العربية حاملين معهم لغة المصريين وعقائدهم الدينية، ليؤكد أن مصر الفرعونية هي أصل الثقافة العربية، وبهذا يدعم دعوته للقومية الفرعونية، وبهذا ندخل في البحث عن الأهداف والغايات.. فتضيع جهود العلماء والباحثين عبثًا؛ لأن منهجنا في العلم صار منهجًا غائيًّا، مفصلاً لتحقيق فكرة أو تصور في عقلنا أو خيالنا.. وهذه مناهج مدمرة للعلم وللأخلاق.. مناهج يصطنعها الدعاة لا العلماء.

أقول هذا بالإشارة إلى **كتاب الدكتور بدراوي زهران** أستاذ فقه اللغة المشارك بجامعة أسيوط، والذي نشرته رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة 1985 بعنوان: **" دحض مفتريات ضد إعجاز القرآن ولغته وأباطيل أخرى اختلقها الصليبي المستغرب الدكتور لويس عوض.."** وأقول: تأملوا هذا العنوان، واحكموا هل هذا عنوان كتاب أم منشور تحريضي للإثارة والاستفزاز؟

لقد نشر الكاتب محتويات الكتاب في شكل مقالات بمجلة الإذاعة المصرية 1981، اجتزأ فيه بعض العبارات من سياقها، وحوَّرها لتناسب غرضه، وهو إثارة رأي عام ضد الكتاب، بحجة أنه يفتري على الإسلام واللغة العربية، على أساس أن لويس عوض (صليبي مستغرب) ومعذور الدكتور بدراوي؛ فهو لا يعرف أن لويس عوض من أقباط مصر الذين حملوا راية الإسلام مع عمرو بن العاص، وفتحوا ليبيا قبل أن يستخلص

عمرو الإسكندرية من الرومان، وهؤلاء الأقباط هم أيضًا الذين حاربوا الصليبيين مع صلاح الدين، ولا زالوا يقاومون - بقوَّة واستماتة - كل دعوة للتغريب والمسخ للشخصية المصرية – لقد نسي البدراوي – أيضًا - أننا إخوة في جسد واحد، هو مصر.

ومن لهجة البدراوي، تحسُّ أنه لا يهمه سوى مصادرة الكتاب وقبره بأسرع ما يمكن، حتى إنه هاجم **الأستاذ رجاء النقاش والأستاذ يوسف القعيد**؛ لأن الأول نشر مقالا في "الدوحة" (أبريل سنة 1982) والثاني نشر تحقيقًا بالمصور (7 مايو 1972) حول الكتاب، واتفق كلاهما على رفض المصادرة والاكتفاء بمحاورة الكاتب. وقال البدراوي: "إن رجاء ويوسف على خط واحد مع لويس عوض ضد الإسلام.." هكذا!

ونعود إلى الكتاب؛ حيث يقول البدراوي:

"وهذا الكتاب قد يُعجَب القارئ بما فيه من ثراء في المعلومات، وجرأة في وضع أبعاد نظرية لغوية." ثم يقول: "وقد خصص الكتاب كله لمغالطات علمية، ولا سيما الفصل الثاني؛ حيث خصص لدعاوَى لا علاقة لها بدراسة اللغة العربية ولا صلة لها بفقهها، وهي دعاوَى متعددة ومتنوعة، وكل واحدة منها في حاجة إلى مقال خاص بها تناقَش من خلاله، غير أنني أدع هذا الأمر الآن، فلي موقف معه قد يطول، وأكتفي بأن أقتطف من الكتاب بعض الدعاوَى، ولي أن أقول الأباطيل، وأضعها بنصها وبجانبها بعض الملاحظات لي عليها، على أمل أن أجد الجواب عليها، وإن كان السؤال يغني عن الجواب".

هكذا ترك أستاذ فقه اللغة العربية في جامعتي "أسيوط" "وأم القرى" تخصصه وركنه جانبًا، وتخلى عن دوره الأصلي في تصحيح ما جاء حول اللغة من مغالطات – على حد قوله – ليقتطف بعض الأقوال على طريقة الكلمات المتقاطعة، ثم يعقب عليها ببعض التساؤلات قائلاً: "غير أنني أدع هذا الأمر الآن، فلي موقف معه قد يطول"، وقد طال انتظارنا لإجابات الدكتور البدراوي منذ 1981 حتى الآن.. ويبدو أننا سوف ننتظر ربع قرن آخر حتى يجود علينا الدكتور بإجاباته.

وإذا كان الدكتور البدراوي جادًا فيما يقول، من أن هذه الأمور التي ناقشها لويس عوض لا علاقة لها بدراسة اللغة العربية وفقهها، فليأذن لنا أن نقدم له رأي كاتب آخر من أهل العلم والنزاهة، هو **الأستاذ علي الألفي**، موجه أول اللغة العربية بالدقهلية؛ ليحدثنا عن هذه الأمور، ويبصرنا بها؛ إذ يقول في مقال "ابن منظور القبطي":

"تذكرت كل ذلك وأنا أراجع المحاورات الجديدة.. وتاريخ الفكر المصري الحديث – لأستاذنا لويس عوض.. ثم بدأت القراءة المتأنية لمقدمة "في فقه اللغة العربية" (طُبع بالهيئة المصرية للكتاب) وشعرت بأن الدكتور لويس يستحق – أكثر من غيره – لقب ابن منظور القبطي، ومن المفارقات المحزنة، أني تركت مقدمة الدكتور لويس لأتصفح جريدة، فوجدت مقالة لمهرج دجال ينشد إعجاب الدُّهماء وتصفيق المقهورين، عن أن اللغة العربية هي أصل اللغات جميعًا.. هكذا.. دون سند ودون منهج، ودون دراسة لنسبة

اللغة العربية للساميات الأقدم، ونسبة الساميات والحاميات والآريات للمنبع القوقازي المفترَض للأجناس واللغات..

وتركت الزَّبد وعدتُ لما ينفع الناس في مِنهجية الدكتور لويس وتفهمه العميق "للعلاقة الحميمة" بين الفونوطيقا والأنثروبولوجيا، وتحليله الذي أدى به إلى تبين تداخل علم اللغة مع علم الأجناس، وهذا واضح في قول علماء اللغة وعلماء الأجناس: إن العرب ساميون ولغتهم سامية، وإن المصريين حاميون ولغتهم القديمة حامية.. ويطمئن الدكتور لويس إلى هذا التقسيم حين "ينظر في الواقع الحي ويرى المصريين، رغم أنهم قبلوا اللغة العربية، يقلبون السين "حاء" أو "هاء" في لغتهم العامية؛ فحين تقول الفصحى: سأكتب.. تقول العامية المصرية: حاكتب أو هاكتب.. هناك – إذًا - أجناس تنطق بالحاء أو الهاء، وأخرى بالسين، وثالثة الشين، وهم الشاميون؛ حيث ينطقون بالشين كالعبرانيين: فالعربية تقول: سماء، والعبرية: "شمايم" والشين صوت مركب من السين والهاء أو الحاء h إذا نُطقا دفعة واحدة، والتعبير الصوتي عنه موجود في الهجاء الإنجليزية لحرف الشين sh.

"لقد نضج المصري حضاريًا وعقائديًّا قبل عصر الدولة القديمة.. ومن خلال الحيرة بين "الحي الذي مات واندثر و"صورته الذهنية" الباقية في خيال الأحياء. أدرك المصري الفرق بين الجسد والروح، فبدأ الدين، وأشرق "فجر الضمير" وميز المصري القديم بين "مادة الجسد" وصورة الجسد "كا" والروح المفارقة "با" وأثّر هذا التقسيم المصري في المنطقة كلها عقائديًا ولغويًا، فظهرت "الخا أو الأخت" تحريفًا عن "كا" المصرية (تبادل السقف حلقيات) (ولا يزال بعض المعمرين من العوام يتحدثون عن أخت القتيل التي تخرج من تحت الأرض في صورة شبح) وأثرت "با" المصرية أب وآب العربية والسامية.. بل في كل ما يتصل بالوالد في كافة اللغات.. كما أننا نشعر فونيطيقيًّا بأن "رع" أو "را" الفرعونية يتضح صداها في "رب" الساميات و"لا" جذر "الله" بحذف "ال" التعريفية، بل نجد صداها في "جا" السنسكريتية (بتبادل الحلقيات والسقف حلقيات) وما تفرع عنها في اللغات الهند/أوروبية.

ويرى أستاذنا لويس عوض أن الجذر "كت" في السنسكريتية واضح في "قط" العربية، وقطع ومشتقاتها، كما أنه واضح في Cut الإنجليزية، ونظائرها في المجموعة الجرمانية.. كما أن "صور" وكور "وصاغ" العربية ومشتقاتها، من جذر مشترك مع السريانية "صار" بمعنى صور و"صورتا" بمعنى صورة، والعبرانية "صوراه" بمعنى صورة.. ويؤكد الدكتور لويس أن كلمة خبر hpy المصرية القديمة، من الكلمات الأساسية في شئون الدين والدنيا، وهي بمعنى كان أو صار.. وحين تعلَّم المصريون العربية حفظوا كلمتهم القديمة "خبر" بالتكرار "التوتولوجي" في اصطلاح "خبر كان" ومعناه في اللغتين كان كان، وهي وسيلة لوجومورفية؛ لقولهم: إن "كان" العربية ترادف "خبر" المصرية القديمة، ومن أمثلة هذا الاستقصاء لجذور الكلمات تتبع الدكتور لويس لذنب بمعنى ذيل في العربية، وتنوعات الجذر في لغات مختلفة: زاناب العبرانية و"زيباتو.. الأكادية، وذنبا السريانية، وزنب في الأمهرية الأثيوبية".

ويرى الدكتور لويس أن هناك "فونيطقيا علمية" في العالم القديم "فليس اعتباطًا أن الكتابة النبطية التي اصطنعها العرب لأبجديتهم، كانت تتفهم علم الأصوات؛ بدليل إعطاء الرسم نفسه للحروف المتقاربة صوتيًا: فصورة الباء والتاء والثاء واحدة (والتنقيط للتفريق جاء متأخرًا) كذلك الجيم والحاء والخاء، والدال والذال، والراء والزاي، وللحرفين س، ش، و(ص، ض)، و(ط، ظ) ثم الحرفين (ع، غ) و (ف، ق)... فوحدة الرسم هي التعبير الأصلي عن فكرة علماء اللغة القدماء، عمَّا بين هذه المجموعات من علاقة فونوطيقية في المنشأ، وفي التطور المورفولوجي "وبعد.. فإذا كان ابن منظور المصري قد أضاف إلى فقه العربية بلسان العرب، وبغيره مما يروي أنه كتبه، ونقله عنه غيره، ولم يصلنا باسمه هو، فإن أستاذنا لويس عوض يستحق لقب ابن منظور القبطي؛ إذ إنه أسهم في وضع القواعد للدراسة العلمية لفقه اللغة العربية، وإسهامه في هذا المجال لا يقل عن إسهام أستاذنا إبراهيم أنيس، أو جورجي زيدان أو مراد كامل.

. ويكفي الدكتور لويس عوض أنه أثرَى اللغة العربية في فقهها وآدابها بمنهجيته العلمية الواضحة، وتمكنه من لغات كثيرة جعل منها روافد للدراسة ومنابع للإبداع والترجمة لعيون التراث العالمي. نقَّب عن شجرة العائلة المصرية، وتتبع جذورها الحضارية وتأثيرها العميق في الحضارة العالمية، في وقت يحاول فيه بعض أبناء مصر طمس تاريخ الحضارة المصرية، مثلما يحاولون الإساءة إلى أعلام التنوير المعاصرين، جاهد – ولا يزال – لتحرير الإنسان المصري من الخوف والقهر والضعف، وفي وقت كثرت فيه خفافيش الظلام الذين يرتاحون لجو الجهل والتخلف ويرهبون نور العلم والحرية.

تحية تقدير وعرفان لأستاذنا لويس عوض من دارسي العربية وآدابها من كل مصري يعتز بمصريته كما يعتز بعروبته".

إن الاعتزاز بالمصرية يشكل فاصلاً مهمًّا بين الذين يرون رأي لويس عوض، وبين خصومه من المتعصبين، الذين ينكرون حقائق التاريخ والجغرافيا، ولا يعترفون بوجود مصر قبل الإسلام، فلا يكادون يعترفون لمصر بأي فضل، وبعبارة الأستاذ علي الألفي: كأن المصرية "نجس" لا يجب الاعتراف بها. ومن ثَمَّ كان اهتمامي بتقديم هذه الفقرة من مقاله الثاني الذي نشره بعنوان طويل هو: "لويس عوض وداعًا: قراءة في "مقدمة في فقه اللغة العربية": الكشف عن جدل اللغات" (أدب ونقد/ أكتوبر 1990) حيث يشرح تأثير الثقافة المصرية واللغة المصرية في العربية فيقول:

"إن اللغة العربية، طور متأخر من أطوار السامية، ومن الثابت أن المصرية القديمة أثرت في الساميات، وفي غيرها من الأمثلة التي يذكرها كاتب هذه السطور:

هناك ترجيحٌ بين دارسي اللغات القديمة لاشتقاق الفعل العربي "أمن" ومشتقاته، وقبله العبري، والآرامي، من "آمون" الهيروغليفية والهيراطيقية؛ إذ من المؤكد أن "آمين" كاسم فعل بمعنى "استجب" في كافة لغات الأرض، هو ترديد لآمين أو "آمون" الهيروغليفية والهيراطيقية، ثم القبطية.. ذلك أن صلوات المصريين القدماء كانت تنتهي

"بآمين" منذ الدولة الوسطَى، وسادت العالم المعمور في المرحلة الإمبراطورية المصرية.. وكل ما يتصل بالإيمان والاعتقاد الصحيح في المصرية القديمة مرتبط بآمون.. وكذلك كل ما يتصل بالأمن والإيمان في العربيات والساميات الأخرى.. كان آمون – وبالإحالة في الهيراطيقية "آمين" – علمًا على الله، وعلى العقيدة الصحيحة عند قدماء المصريين؛ وذلك من خلال نحت "المعنويات" من الأعلام المرتجلة... والأمن والأمان، تفريغ معنوي عن "آمون" و"أمين" والإيمان؛ إذ تُثبت بردية "تورين" في حديثها عن "أول إضراب في التاريخ" أن "العمال والمثّالين" والحجَّارين لجئوا إلى معبد "آمون" محتمين به وآمنين من بطش الحراس ..." ويتضح من سطور البردية أن العمال المثالين والحجارين كانوا يهددون دائمًا باللجوء على الأسوار الداخلية لمعبد آمون للاحتماء به.. مما يقطع بأنه كان حرمًا مقدسًا، كالكعبة عندنا الآن.

وهذا كله يرجِّح نحت "الأمن" و"الإيمان" من "آمون".

...ومن اللافت للنظر أن القاموس المحيط ولسان العرب ذكرا أن "الأمان" (على وزن زمان) هو الزارع.. فهل هذا من ذكريات آمون رب المصريين، والمصريون زرَّاع؟! كذلك ذكر القاموس المحيط أن آمين وأمين (بالمد والقصر) اسم من أسماء الله (كما نقل الفيروز آبادي عن الواحدي في البسيط.. الجزء الرابع من القاموس المحيط 197 طبعة دار المأمون 1938).. وهذه مسألة في غاية الأهمية والخطورة؛ حيث يوحي قول القاموس المحيط، باستعارة اللغة العربية أحد اسماء الله، من المصرية القديمة.. وهذا أمر أشبه بالحق؛ لعراقة المصريين فيما يتصل بالإلهيات..

* وهناك تأكيد على أن كلمة "كوبا" أو "كوبا" المصرية القديمة (وقد تنطق الألف الوسطَى عينا" كعبا.. لأن المصرية القديمة حامية، وتعرف الحروف الاحتكاكية وهي العين والحاء والخاء).. وهي بمعنى مكعب أو هرم كعبة أو كعبة.. وهي كلمة مقدسة؛ لارتباط الهرم أو "الكعبة" بالله؛ حيث يثوي الملك الإله، أو ابن الإله في الكابا أو الهرم.. وهناك يقين موثق لدى دارسي اللغات القديمة الحديثة، أن هذه الكلمة "كابا" انتقلت – كآمون – بلفظها ومعناها، وأحيانًا بالقداسة المرتبة بها، إلى كافة المجموعات اللغوية السامية والحامية والآرية.

هذان مثلان يقطعان بأخذ الساميات – ومنها العربية – من المصرية القديمة..

ويرى الدكتور لويس أن "الأمر يتجاوز أن يكون مجرد اقتباس اللغة العربية لمئات الألفاظ من اللغات الأخرى، وأكثرها من ألفاظ الحضارة، كما كان يظن فقهاء اللغة العربية كالجواليقي، والسيوطي، والبشبيشي، والخفاجي وغيرهم، ومن جاء بعدهم من المتأخرين؛ ذلك لأن اللغة العربية – كما يدلل التحليل المورفولوجي والفونوطيقي والسيمانطيقي – كغيرها من اللغات السامية، ليست في صلبها وسمتها الأصلي، إلا تطورًا طبيعيًّا، ومن نفس العائلة والجذور التي خرجت منها السامية والحامية والآرية، بكل تفريعاتها؛ مثل السنسكريتية، وإيرانية الزند، واليونانية واللاتينية، والمجموعة النيوتونية".

أما من حيث قِدَم الجنس العربي، فيثبت الدكتور لويس عوض أنه غير قديم: "فقد عرف المصريون القدماء – كما تكشف وثائقهم – الهكسوس Hyksos والعمو Ammo والميتاني Mittani والحيثيين Hatti، وبني إسرائيل أيام مرنبتاح (1232 – 1224 ق.م) وفي الألف الأولى قبل الميلاد، عرفوا الآشوريين، والفرس والبطالِمَة، ولم يرد للعرب ذكر في التاريخ المصري القديم.

. كذلك لم يرد للعرب ذكر في أي نص من نصوص حضارات الشرق القديم، قبل القرن التاسع قبل الميلاد.. والوثائق التاريخية الآشورية، التي ترجع إلى أواخر القرن التاسع قبل الميلاد، تشير إلى "ملكات العرب"، ولعل "ملكات العرب" اللاتي تُشير إليهن الوثائق، وشيوع أسماء القبائل المؤنثة (كندة – ربيعة – مرة – مزينة) جعلت بعض العلماء يعتقدون، أن القبائل العربية القديمة، عرفت في مرحلة من تاريخها، نظام المجتمع "الأمومي"... إذن، فالعرب أمة حديثة نسبيًا، إذا قيست بما جاورها من أمم". ويرجح الدكتور لويس عوض أن الأصول العربية الأنثروبولوجية، تعود إلى موجة هندية إيرانية "فالعرب" ينتسبون إلى "إبراهيم"، وربما كان "براهما" الذي نسمع صداه في "أبراهام" و"إبراهيم" هو "الأبونيم" Eponym (اسم رمزي طوطمي لجماعة عرقية) من موجة إيرانية استقرت في "أور" عبر لوريستان، في إيران، ثم هاجرت إلى حران في عهد الكاسيين (1800 ق.م).

والتوراة تجعل إبراهيم ينتمي إلى بدايات الألف الثانية قبل الميلاد (1800 ق.م) وقد نشأ – برواية التوراة – في "أور" أو في "حِران"، في بيئة تعبد الإله "سن" SIN رب القمر، وثار إبراهيم على عبادة قومه، ودعاهم للتوحيد، وهاجر غربًا إلى كنعان مع مريديه، وكان اسم الإله الذي عبده إبراهيم شداي Shaddai أي: "إله الجبل".

ويعود الدكتور لويس للتحذير من أسطورة النقاء السُّلالي، والنقاء اللغوي، بالنسبة للعرب واللغة العربية حتى في ذاتها في العصر الكلاسيكي، ويؤكد الدكتور لويس رأيه بقوله: "وحين ننظر إلى خريطة بطليموس - في القرن الثاني الميلادي - لشبه الجزيرة، لا يسعنا إلا أن نتوقف طويلاً. أمام بعض الأعلام، التي يمكن أن تكون آثار جالية مصرية.. فمنطقة الطائف، تظهر في "بطليموس" باسم "طيبة"، ومكة، تظهر باسم "ملكاي Malichae"، وهي صيغة مجزوءة من "مهليك" Mahlik الحامية.. ووجود هذه الأسماء، في شبه الجزيرة العربية، أكثر من خمسة قرون قبل الإسلام، يوحي بتأثيرات مصرية قديمة، سابقة على التاريخ الميلادي... والتوراة تشير إلى أن "أماليك" كانوا يسكنون شبه الجزيرة... وهذه الرواية تطابق الرواية العربية، بأن مكة كانت قبل مجيء العرب إليها، يسكنها قوم اسمهم "العماليق" ومنهم بنو جرهم، وهذا يفسر اسم مكة، كما ورد في بطليموس، وهو "ملكاي" أو موطن "أماليك" أو عماليق المذكور في التوراة... وقد استخلصنا أن الهكسوس أو ملوك الرعاة، عندما طُردوا من مصر، استوطنوا الحجاز، واتخذوا من مكة عاصمة لهم... ولا يُستبعد أن يكون المصريون، بعد أن طردوا الهكسوس عبر برزخ السويس، طاردوهم بعد ذلك بتجريد حملات عليهم، عبر

البحر الأحمر، في مواجهة الأقصر والقصير، أيام مجد طيبة، في الدولة الحديثة، في زمن النخامسة والرعامسة، واحتلوا ساحل الحجاز المواجه لمصر، أو جزءًا منه، فأطلقوا عليه اسم: "طيبة" كما ورد في بطليموس؛ ليمحوا آثار الهكسوس. وبعد استقلال مصر، انتهى النفوذ المصري، وبقي اسم طيبة "الطائف" الذي ورثه العرب، بعد احتلالهم للحجاز، في زمن تالٍ للقرن التاسع قبل الميلاد "فالعرب – إذًا - موجة متأخرة جدًا من الموجات التي نزلت على شبه الجزيرة، من القوقاز والمنطقة المحيطة ببحر قزوين والبحر الأسود (نحو 1000 سنة ق. م أو قبل ذلك بقليل).

* ثم كان الفرض. الذي أسس عليه الدكتور لويس عوض مقدمته في فقه اللغة العربية، وهو: "أن المجموعة السامية، ونموذجها اللغة العربية، والمجموعة الحامية، ونموذجها اللغة المصرية القديمة، ليستا مجموعتين مستقلتين بذاتهما، وإنما هما فرعان أساسيان في تلك الشجرة السامقة، التي خرجت منها المجموعة الهندية الأوربية".

ثم بدأ الدكتور لويس عوض بعد ذلك (ص149) حصْر المبادئ الفونوطيقية التي بنى عليها نظريته. والتي تتفق مع آراء علماء اللغة في العالم الذين يرجحون - بل يؤكدون- وحدة الأصل بين المجموعة الهند/أوربية، والمجموعة السامية الحامية... حصر الدكتور لويس المبادئ والأمثلة.. ولا يقوم بهذا الجهد إلا عالم ضليع باللغات، وبالمنهج العلمي لدراسة اللغة والأجناس... ومن أبرز الأمثلة على قوانين: تبادل الحروف السنية، وتبادل السقف/حلقيات، وتبادل الحلقيات، وتبادل أصوات الأزبز أو (الهسهسة) وتبادل السوائل و"الأنفميات" (أنف/فم) وتبادل الحلقيات. ما ذكره الدكتور لويس في الصفحات الباقية من الكتاب:

"أنا" و"نحن" العربية، قريبة من "نحنا Nehna" في الحبشية و"احنا" في العامية المصرية، وهي قريبة من نطقها في المصريات القديمة ومن "نينو" و"أنينو" في الأكادية، و"نونكي Nonki في لغة البربر، و"نو Nos.. في اللاتينية ونو Nous" الفرنسية.. وكلها بمعنى "نحن".

اسم "نوح" صيغة حامية من "إنس" أو "عنخ" المصرية القديمة، (قارن أخنوخ Enoch في المصرية القبطية)، "عوذير" هو "أوزير" و"أوزوريس" مذكر "إيزيس".. يرى ديدور الصقلي، أن أوزير أو "أوزيريس" كان ملكًا مصريًا، اكتشف الزراعة والصناعة والأبجدية.. وكلام ديدور، يعبر عن تحويل الشعوب للآلهة القديمة إلى أبطال، حين ظهر التوحيد.. وأوزير هو عزيز أو العزيز (قانون فرنر – ز) وعزيز مصر، اشتُهر في العالم القديم، بحامي حمى مصر، وقاهر أعدائها، وآخذهم "أخذ عزيز مقتدر". و"عزيز" باقي في "عاشور" المصرية، وفي العُزَّى - صنم جاهلي - وفي "ليعاذر" وعاذر؛ لأن البعث وإحياء الموتى، كانا في دائرة اختصاص أوزير، ملك الموتَى (عوزيرإيل – عزرائيل)، كما أن "إيزيس" لا تزال باقية في "عايدة" الحبشية والمصرية.

ويثبت مانيتون - في المُكتشف من وثائقه - أن موسَى كان كاهنا مصريًا في معبد رع. بهليوبوليس، وكان اسمه "أوزير سيف"، وكانت له دعوةٌ دينية جديدة، فخرج على

كهنة رع. وهاجر إلى "أفاريس" عاصمة الهكسوس، وأقام بينهم وأعطاهم شرائعه، ثم قادهم (وهم من أصول سامية) في خروجهم من مصر، وقد سموه "موسى" أي: ابن النهر.

بعد هذا العرض للتحولات الفونوطيقية، التي تثبت صلة العربية بغيرها من الساميات، وغير الساميات بالعائلة الهند/أوروبية، لا ينسَى لويس عوض الدكتور إبراهيم أنيس الذي "كان له فضل الريادة بين المحدثين في تعقب هذه التحولات الفونوطيقية".

لقد اضطررت إلى هذا الاقتباس الطويل من مقال الأستاذ علي الألفي لعدة أسباب هي:

* إن الأستاذ علي الألفي قد ركز على المحتويات الأساسية لكتاب لويس عوض، وقدم أفكاره وفروضه ونتائجه في سياقها الصحيح، وهو الأمر الذي حاول المغرضون أن يخفوه، وأن يهيلوا عليه التراب، رغم ضرورة عرضه بهذه الحَيدة الكبيرة لقارئ هذا البحث.

* إن الأستاذ علي الألفي من أهل الاختصاص في فقه اللغة العربية، ولا يستطيع أحد أن يتهمه بالكيد للعروبة، أو الإسلام، وخصوصًا وهو ينشر في مجلة تحرص أشد الحرص على إجلاء الجوانب المشرقة للحضارة العربية الإسلامية، والدفاع عنها بوعي وعقلانية واستنارة؛ عملاً على ترسيخ لغة الحوار في مناقشة الرأي الآخر.

20 - حنين بن اسحق وعصر الترجمة العربية

في تقديمه لهذا الكتاب يقول الدكتور عبد المنعم تليمة:

يضيف هذا الكتاب إضافة علمية جديدة إلى جهود العلماء والدارسين الذين عملوا في حقل التراث بأحيائه وتوثيق نصوصه وتدوين تاريخه ورصد مواضع الإبداع ومواضع التقاء هذا التراث بالمشترك الثقافي الإنساني وأليات التأثير والتأثر بين تراثنا وما أبدعته الثقافات والحضارات القديمة والوسيطة.

وينص تاريخ العلم على أن حركة الترجمة في الإزدهارة العباسية قد نقلت كل ما وقعت عليه من موروثات الأمم دون تحفظ أو تردد أمام مضامين دينية أو فكرية تغاير عقيدة المسلمين، إلى جانب أن الذين نهضوا على تلك الحركة – مع العلماء والمترجمين العرب والمسلمين- مترجمون من النصارى واليهود والصابئة وغيرهم، وكل هذا جعل تلك الحركة قاعدة متينة من قواعد حوار الثقافات والحضارات، وبين أعلام هذه الحركة يسطع إسم حنين بن اسحق.

ويصوغ مؤلف هذا الكتاب الذى بين أيدينا سيرة موثقة وافية لحنين، محددا دوره الباقي من الترجمة ووضع المصطلحات وفى نشوء العلوم وريادة الحوار الحضاري، ويدعو المؤلف إلى استلهام ذلك التراث العلمي الخالد، بتأسيس مشروع علمي ثقافي عربي معاصر، يضيف إلى التراث ويبتكر جديدا نشارك به فى عمل العلم الراهن والإعداد لمستقبل حضاري إنساني.

ننتقل من التقديم ألى هذا المقال الهام وهو ثاني مقال ينشره الكاتب الصحفي الكبير **الأستاذ عمرو الديب** في الصفحة الثقافية التي يشرف عليها بجريدة الأخبار بتاريخ 6 مايو2024، بعنوان "حنين إلى سيد المترجمين " وكان المقال الأول في نفس الصفحة بتاريخ 28 فبراير 2019، بعنوان "إعادة الأعتبار الى سيد المترجمين"

يقول الأستاذ عمرو الديب:

حنين جارف إلى أجوائه الشيقة دفعني إلى البحث عنه وسط أكوام الكُتب المتراصة التي تغطى أرجاء هذه الغرفة الضيقة التي تمثل مكتبة إضافية بعد أن ازدحمت مكتبة منزلي تمامًا، وأيضًا مكتبتي فى بيت النشأة والصبوة حيث عجزتا تمامًا عن استيعاب المزيد، لم يستغرق الأمر طويلًا، فلحسن الطالع عثرت عليه بعد دقائق، انتزعته من بين عشرات العناوين التي تجاوره، وحاولت استعادة تلك اللحظات الممتعة حين حلقت فى عالمه لأول مرة بعد أن أهداني مؤلفه نسخة منه،

عاودت قراءته، والسفر مجددًا عبر صفحاته بعد نحو خمس سنوات من القراءة الأولى، وأخذني الكتاب الصادر في سلسلة دراسات الترجمة عن المركز القومى للترجمة إلى أجواء الازدهار، حيث كَرَّسه مؤلفه الأديب والناقد والباحث الجاد « نسيم مجلى» لإعادة الاعتبار إلى سيد التراجمة في الحضارة العربية الإسلامية على الإطلاق، وهو العَلَّامة المسيحي «حنين بن إسحق».. نجم بيت الحكمة الشهير فى بغداد بلا منازع،

وقد حاول الكتاب تعريف الأجيال به، وإلقاء الضوء على جوانب ووقائع مجهولة فى حياته، وطبيعة عصره الذى يمثل ذروة تلك الحضارة العربية التي ارتفعت صروحها كمنارات للحب، والتسامح، والتعايش الراقي، ورحابة الأفق، على الرغم من غيوم الخوارج من تجار الدين، ودخان الغلاة، والمتطرفين الذين حاولوا دائما طمس معالم تلك الحضارة، والتشويش على ملامحها الحقيقية تزييفًا للرسالة التي تعالت على ضفافها تلك الحضارة، وقد أهدت إلى الإنسانية فى عصورها الذهبية قيم التمدن، وقفزات العلم، ومبادئ الأخلاق، ومثل التسامح، وقبول الآخر،

والأسماء المذهلة التي تسطع في أفقها كفيلة وحدها بتأكيد تفوقها، وتفردها وطبيعتها التي تجنح إلى حوار الحضارات، وليس صراع أو صدام الحضارات البغيض الذى رَوَّج له أعداء الإنسانية، وما «البيروني».. رائد علم «الأثنوغرافيا»، و«الخوارزمى».. ملهم مخترعي الحاسوب، ومصممي برامجه، ومؤسس علم الجبر، وما «ابن رشد»، العظيم و«الفارابى» الفذ سوى نقطة فى محيط هائل من الرواد الأفذاذ الذين قدمتهم حضارة التسامح إلى العالم جنبًا إلى جنب مع «حنين بن إسحق» العبقري الذى نقل -بدقة وأمانة- عيون الحضارات الأخرى إلى الحضارة العربية الإسلامية فى الطب، والحكمة، والصيدلة، وهذا الكتاب الذى قرأته مجددًا لم يجعلني أجل عبقريته، وأعجب بعطائه فقط، وإنما دفعني إلى أن أحبه، وأحترمه لأخلاقه الرفيعة، وقيمه النبيلة التي أبت عليه أن يركب سمًا قاتلًا لاغتيال إنسان غدرًا مُعرضًا نفسه للخطر، ورافضًا لثروة يسيل لها اللعاب مكافأةً على الغدر.

كتاب "بطرس بطرس غالى وحلم المدينة الفاضلة'

تعقيبا على هذا الكتاب الهام أسجل هذه الكلمة هنا لعلها تلقى الضوء على رؤيتي لمهمة الكاتب: خاتمة المطاف

هذه خاتمة المطاف فى مغامرة شاقة ومثيرة، وهى مغامرة بل مخاطرة فمالي أنا والكتابة عن السياسة والسياسيين. إن محور الكتاب رجل من رجال الدبلوماسية المرموقين على مستوى العالم ومن علماء القانون الدولي المشهود لهم، والأصعب أنه يعمل فى ميادين لم أدخل إليها ولم أعش فى أجوائها أبدا. فكيف يمكنني أن أخوض هذه التجربة لأكتب عن شخصية فذة متعددة الجوانب مثل الدكتور بطرس بطرس غالى؟ خصوصا وأننى لم أعرف الدكتور غالى قبل البدء فى الكتابة عنه، ولم أقترب منه حين

كان وزيرا أو أثناء توليه منصب الأمين العام للأمم المتحدة، ولم أشهد شيئا مما كنت أقرأ عنه فى صداماته مع قوى الهيمنة الدولية أو مع البيروقراطية، أو وهو يتلقى الاتهامات والتهديدات من العرب والفلسطينيين.

لم أشهد أنا شيئا من هذا كله ولم أقترب منه، فكيف يمكنني أن ألم بأطراف هذا الموضوع لأكتب عنه بالجدية والصدق التي اعتدت عليهما في كتاباتي؟ هذا ما فكرت فيه في البداية. لكنني أعتقد أن هذا ليس شرطا ضروريا. وربما يكون ذلك ميزة تضمن للكاتب مساحة من الحياد والموضوعية. خصوصا فى ظروف توافرت فيها المعلومات بغزارة إضافة الى وجود شهود كثيرين من ذوي المصداقية في هذا المجال. وقد شجعني هذا على المضي في طريقي حتى وصلت به الى نهاية المطاف وأرجو أن أكون قد وفقت.

وأنا واثق أن بعض المثقفين سوف يسألونني الآن ولماذا بطرس غالى بالذات؟ كما سألوني لماذا لويس عوض؟ والجواب ببساطة شديدة هو أننى وجدت لدى ميلا الى الكتابة فى أدب التراجم وهو فرع من الأدب يجمع بين النقد والتوثيق للشخصيات والأحداث في إطار سردي أقرب الى الأسلوب القصصي، ويتميز عن الرواية والقصة بأنه يقيم بنائه على شخصيات وأحداث حقيقية من الواقع وليست من الخيال.

وقد قطعت فى هذا الطريق شوطا طويلا، وبدأت بكتابة سلسلة من التراجم كان أولها كتاب " ابن سينا القرن العشرين" وهو ترجمة لحياة جراح العظام والمفكر الكبير الدكتور محمد كامل حسين صاحب رواية " قرية ظالمة " ثم كتاب " أمل دنقل – أمير شعراء الرفض " الذى صدرت طبعته الرابعة في سلسلة كتاب الجمهورية في مايو 2008، وكتاب " لويس عوض ومعاركه الأدبية " 1995 ثم كتاب "الأصالة والمعاصرة " 1998، عن الشيخ محمود محمد شاكر. أما أحدثها الآن فهو كتاب " حنين ابن اسحق وعصر الترجمة العربية" الصادر عن المجلس الأعلى للثقافة فى 2006، فهل كان يمكن بعد هذا أن أتردد وأحجم عن الكتابة عن بطرس غالى وهو من أبرز الشخصيات على المستوى الوطني والدولي؟ لا، لم أحجم بل أقدمت معتمدا على ما نشر في العالم كله من كتب ومقالات ودراسات وهو متوفر بغزارة على شبكة الانترنيت الى جانب التقارير والوثائق الرسمية الصادرة عن الأمم المتحدة واليونيسكو.

وقد أمدنى الدكتور بطرس غالى بالعديد منها. وذلك بالإضافة الى شهادات صادرة عن وزراء ودبلوماسيين ومفكرين أوربيين وأمريكيين وأسيويين تشيد بشخصية الدكتور غالى ومواقفه الصلبة بشأن اصلاح الأمم المتحدة وتحقيق الاستقلال لمنصب الأمين العام. فضلا عن انحيازه لقضية التنمية فى أفريقيا والدول النامية عموما. وقد أغنتني هذه الكتابات ووفرت لى الكثير من المعرفة والفهم.

وكانت المشكلة بعد ذلك هي اختيار الاطار الذي أكتب فيه بحيث لا يتضخم الكتاب عن الحجم المعقول وكانت مشكلة فعلا أمام كثرة المصادر وتنوعها والتي تحفل بالكثير من التفاصيل المثيرة. وكان لابد لي أمام هذا الاغراء أن أتخير وأكتفى بما يخدم غرضي

في هذا الكتاب، وهو أن أرسم صورة صادقة وأمينة لرجل حظى باحترام قومي ودولي ليس له نظير.

وأنا أرى الآن أن هذا الكتاب سوف يكون تتويجا لهذه السلسلة التي تحمل أسماء باقة من النابهين والعباقرة المشهورين الذين تشرفت بالكتابة عنهم، وتقدمهم للشباب كنماذج تحتذى. كذلك أتمنى أن يمد الله في عمرى وأن يمنحني القدرة لأكتب عن نساء ورجال آخرين ممن يتحلون بالأصالة والشجاعة ويناضلون ضد الفساد والتخلف الزاحف على مصر مما يؤجج الفتن والانقسامات ويهدد استقرارها ووحدة شعبها.

إن بلادنا فى حاجة الى عملية تجديد ثقافي وسيأسى يركز على ثقافة السلام والتنمية من أجل بناء مجتمع مدنى حقيقي تحكمه المؤسسات الدستورية لا الأفراد. مجتمع يحتل فيه العلماء والمفكرون صدارة المشهد الإعلامي والاجتماعي بعد أن أصبح أبطال الكرة وأبطال المسلسلات والدجالون هم نجوم المجتمع وقدوته.

إن تجديد هذا المجتمع يستلزم عملية إحلال وتبديل لهذه النماذج قبل أن يغرق المجتمع نهائيا فى حالة الجهالة والفوضى ويسلم قياده للمتربصين الذين يريدون أن يحكموه بالحديد والنار ويقضون على حرية الأفراد والجماعات.

والآن هناك سؤال قد يطرحه القارىء: لماذا توقفت بعد مرحلة الأمم المتحدة فى هذا البحث رغم أن مسيرة الدكتور بطرس غالى لم تتوقف؟

وهذا حق والأجابة أن الدكتور بطرس غالى قد بدأ مرحلة جديدة بتوليه منصب الأمين العام لمنظمة الفرانكوفونية وقضى سنوات عديدة حقق فيها أشياء كثيرة تستحق الاهتمام والدراسة، لكن هذه كما قلت مرحلة جديدة يرتبط بها الدور الذى مازال يلعبه الدكتور غالى الأن على المستوى الوطني والدولي.

فبالإضافة الى رئاسته للمجلس الأعلى لحقوق الأنسان فى مصر. فإنه يتولى رئاسة اللجنة الدولية للديمقراطية والتنمية التابعة لليونيسكو ورئاسة معهد الدراسات السياسية للشرق الأوسط – نادى موناكو، بجانب عضويته في لجنة القانون الدولي وغيرها، والمشاركة في المؤتمرات والمنتديات من أجل نشر ثقافة الديموقراطية وحقوق الانسان. فهو لا يكف عن الحركة والنشاط والترحال من مكان الى آخر فى كل أنحاء العالم. وصدقت عليه نبوءة الدكتور عبد الحميد بدوى باشا فى تقديمه لكتاب " المنظمات الدولية" الذى ألفه بطرس غالى فى مقتبل حياته. قال الدكتور بدوى بعد تهنئة المؤلف:

" فأنى موقن بأن عقله وقلمه لن يتركا له فراغا أو راحة من الاستفادة والإفادة."

" فهل عرف هذا الرجل المعطاء فراغا في حياته المديدة التي تجاوزت الثمانين بعدة سنوات؟ سؤال يستحق أن نفكر فيه.

21 - تقارير وشهادات

- **الكاتب الستينى وجائزة الدولة للتفوق في الأداب**

كتب الأستاذ سامح سامي بجريدة الشروق .

يوم الجمعة 30 أغسطس 2013م

يقول:

كان فوز الكاتب والمترجم نسيم مجلي بجائزة الدولة للتفوق في الآداب، غير متوقع، فهو قرر الابتعاد بالجسد عن مصر، إلى بلاد المهجر، فلا يظهر إلا قليلا..

ولعل الوسط الثقافي المصري، من مثقفين وصحفيين، دائم النسيان، قليلا ما يسأل من هو نسيم مجلي؟ وكانت الإجابة لدى من يعرفونه جيدا: هذا كاتب ومترجم ومحقق تراث مبدع وآخرون كانوا يسألون: أليس هو مؤلف كتاب " أمل دنقل أمير شعراء الرفض"، الصادر عن دار الجمهورية للنشر..

ابتعاد مجلي عن مصر، وإقامته في الولايات المتحدة الأمريكية، جعلته يختفي عن أحاديث الوسط الثقافي، الذي "يفرم" البعيدين، ولا يتذكرهم إلا كبار السن، أو شديدي الاطلاع فقط..

وحسب صديقه المقرب الكاتب والناشط السياسي مجدي خليل، والذي كتب عنه مقالة وافية بمناسبة صدور كتاب مجلي عن" بطرس بطرس غالى.. وحلم المدينة الفاضلة"، الصادر عن دار الشروق: حيث يقرر ان عطاءه الفكري كان، ولا يزال غزيرا متميزا، رغم أعباء العمل والأسرة.".

ويحسب لمجلي، الكاتب الستيني، إصداره لعدة دراسات وكتب تثير الجدل، خاصة دراساته العديدة عن لويس عوض، وإعادة نشر كتابه " مقدمة في فقه اللغة العربية"، هذا الكتاب الذي قوبل بالرفض والمصادرة إلا أن دار سينا للنشر كعادتها سابقا، نشرت الكتاب الذي كان أثار معارك ضد لويس عوض الذي فكك فيه نشأة اللغة العربية.

كما أن لمجلى دور كبير في تحقيق التراث، خاصة كتابه الشهير "لطائف الذخيرة وطرائف الجزيرة لابن مماتي"، وهو من الأدب الساخر. وأذكر أن الكاتب الكبير إبراهيم أصلان، كان مهتما بعرض هذا الكتاب على صفحات جريدة الحياة اللندنية، وقت رئاسته للقسم الأدبي بها. ولا تقل أعماله المسرحية أو المترجمة أهمية عن دراساته النقدية أو تحقيق التراث، ومن مسرحياته: القضية، المجنونة، لقاء على القنال، ومن مترجماته: بريخت، الحب عند الفرنسيين، الأسد والجوهرة، القديس مرقس وتأسيس كنيسة الإسكندرية: حصاد كونجي، سكان المستنقع، وعشرون مدخلا في الموسوعة العربية العالمية، "فرانز كافكا" لرونالد جراي، "محاكمة سقراط" لـ"آي إف ستون"، و"سالومي" لأوسكار وايلد، و"العصر الذهبي للإسكندرية".

- إيلاف أول يومية إليكترونية | صدرت من لندن 21 مايو 2001
- نسيم مجلى.. حياة حافلة بالعطاء الفكري والثقافي
- دكتورمجدي خليل:

فى إحدى أمسيات يناير2008 أصطحبنى الأستاذ الكبير نسيم مجلى معه لزيارة منزل الأستاذ الدكتور بطرس بطرس غالى على نيل القاهرة وذلك لمراجعة مسودة كتابه الذى كان يكتبه عنه، وقد قضينا سهرة طويلة نقرأ بعض نصوص الكتاب وملاحظات الدكتور بطرس غالى عليها، كما تطرقنا إلى الكثير من المسائل العامة حول مستقبل الدولة والنظام والكنيسة فى مصر وعلاقة الكنيسة بالدولة، استفدنا فيها كثيرا من خبرات الدكتور بطرس بطرس غالى الثرية، وإن جاز لي تلخيصها ففي كلمات بسيطة: هناك حربا حقيقية بين النظام والإخوان، وحربا أخرى بين المؤسسات الأمنية والكنيسة وهم يعملون بكل الطرق لكى يكون لهم اليد الطولى فى اختيار البابا القادم.

منذ أيام وصلتني نسخة من الكتاب في شكله النهائي بعد الطبع بعنوان:

"بطرس بطرس غالى وحلم المدينة الفاضلة "

الصادر عن دار الشروق بالقاهرة عام 2010. وعندما تصفحت الكتاب وهممت بكتابة مراجعة له في عمودي هذا تذكرت إنه من الأفضل الكتابة أولا عن المؤلف الاستاذ نسيم مجلى، حيث أن الدكتور بطرس غالى كتبت عنه مئات المقالات وعشرات الدراسات والعديد من الكتب، فى حين أن نسيم مجلى مظلوم رغم عطاءه الفكري الكبير والمتواصل. تقد عمل مدرسا للغة الانجليزية بوزارة التعليم المصرية لمدة تقترب من العشرين عاما، ثم انتدب للتدريس بقسم اللغة الانجليزية بجامعة القاهرة من عام 1985 حتى عام 2000 ليتفرغ بعد ذلك كلية للبحث والكتابة

ورغم هذه الحياة الحافلة بالعمل المضنى في التدريس بل وبعض الدروس الخصوصية لكى يستطيع الانفاق على أسرته، إلا ان عطاءه الفكري كان، ولا يزال غزيرا متميزا، رغم أعباء العمل والأسرة.

ألف الأستاذ نسيم مجلى 10 كتب أحدثها كتاب "بطرس غالى وحلم المدينة الفاضلة"، و4 مسرحيات ليس آخرها مسرحية " المسيح يصلب في فلسطين" الصادرة بالإنجليزية في أمريكا عام 2009، وترجم إلى العربية 12 كتابا ومسرحية. ولكن هناك محطات في كتاباته ينبغي الوقوف عندها لتميزها وتفردها وشجاعتها

ولعل أبرز هذه المحطات دوره المشرف فى الدفاع عن تراث المفكر الكبير لويس عوض، ففي كتابه القيم "لويس عوض ومعاركه الأدبية، حوالى 600 صفحة، أرخ نسيم مجلى لمعارك لويس عوض الفكرية، فقد كان لويس عوض مفكرا عملاقا شجاعا ينادى

بالقومية المصرية فى عز سطوة القومية العربية أثناء الحقبة الناصرية، ويدعو للعامية المصرية فى ظل هوجة المد العروبي ثم المد الإسلامي واعتبارهم الفصحى لغة الإسلام، ويعتز بالتراث اليوناني والروماني والغربي في وقت نشر فيه كم كبير من الكتب المفبركة التي تعلى الحضارة العربية والإسلامية على ما عداها من حضارات العالم، ويفاخر بالفرعونية فى وقت كان الجميع يتمسح فى العروبة.

وقد فتح هذا التوجه على لويس عوض معارك لا أول لها ولا أخر... ولكن لويس عوض كان كفيلا بها، بل أن لويس عوض جسد فى معاركه الصدام بين الأصالة والمعاصرة، والصراع كذلك بين الهوية المصرية وبين الهويات الوافدة علينا من الصحراء. هذه المعارك الفكرية عرضها برصانة وموضوعية نسيم مجلى فى كتابه عن لويس عوض. ويحمد لنسيم مجلى أيضا دوره الشجاع لإعادة نشر كتاب "فقه اللغة العربية" للدكتور ليس عوض وكتابة مقدمة مطولة للكتاب والذى نشرته دار سيناء ثم دار رؤية للنشر بعد ذلك، وهذا الكتاب هو احد الدرر الثمينة التي كتبها المفكر الراحل لويس عوض لتشريح اللغة العربية والحضارة العربية، وقد تمت مصادرته عام 1981 بعد تقرير للدكتور رشاد رشدي رفعه للسادات طالبا منه مصادرة الكتاب،

ولم يكتف رشاد رشدي بذلك بل حرض أبن اخته الكاتب الإسلامي احمد بهجت، وكان وقتها رئيسا لمجلة الإذاعة لنشر سلسلة من المقالات التحريضية السفيهة ضد لويس عوض بقلم الدكتور بدراوي زهران أستاذ فقه اللغة بجامعة أسيوط، والتي جمعها بعد ذلك فى كتاب نشرته رابطة العالم الإسلامي بعنوان "دحض مفتريات ضد إعجاز القرآن ولغته وأباطيل أخرى اختلقها الصليبي المستغرب لويس عوض".

فى الرحلة الفكرية لنسيم مجلى نقف أيضا عند دوره فى ترجمة كتاب "القديس مرقس وتأسيس كنيسة الإسكندرية" لمؤلفه المؤرخ الدكتور سمير فوزى المقيم بسويسرا، ودوره أيضا فى المراجعة اللغوية لموسوعة "من تراث القبط" التي صدرت فى ستة أجزاء ورأس تحريرها الدكتور سمير فوزى.

من الكتب الجميلة التي نشرها الأستاذ نسيم مجلى دراسته الموفقة عن أهم رواية عربية عن محاكمة السيد المسيح وهى رواية "قرية ظالمة" للأستاذ الدكتور محمد كامل حسين جراح العظام ضمن كتابه "ابن سينا القرن العشرين."

ويحسب لنسيم مجلى إنه عرف القارئ العربي بروائع الأديب الأفريقي العالمي وول شوينكا الحائز على جائزة نوبل فى الأداب عام 1986 حيث ترجم له حصاد كونجي، الموت وفارس الملك، عابدات باخوس السلالة القوية، سكان المستنقع، والأسد والجوهرة..

إن هذه المقالة مجرد إطلالة صغيرة على بعض عناوين دراسات نسيم مجلى نبغى من ورائها تسليط الضوء على شخصية مصرية كافحت فى الحياة واستطاعت أن تنجح فى عملها، وأن تبنى أسرة مصرية ناجحة ومتحابة، فممدوح أبنه يعمل كجراح فى ولاية

ساوث كارولينا، وأيمن طبيب تخدير في فلوريدا، ونبيل مهندس معماري في نيوجيرسي، وإيرينى مديرة مبيعات في إحدى الشركات بولاية كونيتكت، ووراء كل هذا النجاح بالطبع زوجة وفية ومتفانية..

. ورغم أعباء العمل الشاق والمضنى فى مهنة التدريس، ورغم مسئوليات الإعتناء بأسرة ناجحة ومتميزة، رغم كل ذلك أستطاع أن ينظم وقته وينتج لنا كل هذا الإنتاج الفكري الغزير والمتميز والرصين من الكتب والمسرحيات والدراسات النقدية والترجمات علاوة على كم كبير من المقالات الصحفية واللقاءات الثقافية.

لعل هذه المقالة تكون جسرا لتعريف القراء على كاتبنا الكبير وعلى ابداعاته، وتفتح العيون على تكريمه الذى يستحقه... فجيل نسيم مجلى ملأ لنا رفوف المكتبات بكل ما هو غال وثمين.

شكرا نسيم مجلى على كل ما قدمته لعائلتك ولوطنك ولشعبك ولثقافتك... ولإتساقك مع ذاتك، والذى هو سر نجاحك... وتمنياتنا لك بمزيد من الصحة والعطاء.

ونحن هنا نقدم للقاريء العزيز أحدث عطاءات نسيم مجلى مسرحية "مأساة طبيب الخليفة" التي نتركها بين يديك عزيزي القارىء لتستمتع بها.

والسؤال الآن هو:

هل يؤهلني كل هذا لاستحقاق هذه الجائزة العظيمة؟ سؤال أترك الإجابة عليه للجان الفحص الموقرة وكلى ثقة فى نزاهة وحكمة القائمين على هذه المؤسسة الثقافية الرائدة. وأقول أن الكاتب الجاد يسعى إلى هذه الجائزة لتحميه من ضغوط القوى والمؤسسات التي تملك حق المنح والمنع كما تحرره من ضغوط الحاجة فيربط ضميره الأدبي بمصير أمته في المدى القريب والمدى البعيد على السواء.

وشكرا لأصحاب الجائزة على بعد نظرهم واهتمامهم بهذه الأمور والسلام.

كتبت هذه النبذة لأول مرة فى سنة 1987 تقريبا عند تقدمي لأحدى الجوائز الخليجية، وكنت اعرف مقدما أن هذا أمر بعيد المنال، ولكن كانت تحدوني دائما الرغبة في التجريب أو الاختبار حتى لا أبنى موقفي على سوء الظن خصوصا لأنني لن أخسر شيئا ويكفى أن كتبي سوف تعرض على لجنة من الاساتذة المختصين لتقرأها والتعرف عليها وهذا فى حدد ذاته مكسب كبير، ولست نادما على شيء، فالمستوى الذى حققته كتاباتي من ناحية الموضوعية والجسارة فى الكشف عن المسكوت عنه يضعني حقا وعملا في طليعة أبناء جيلي حتى الذين تمتعوا بفرص الدراسة فى أوربا وأمريكا, وكذلك الذين نالوا الحظوة واحتلوا المراكز المرموقة وحصلوا على الجوائز لأن غربال التاريخ على المدى البعيد لا يعرف التحيز في عملية الفرز بين الحقائق والأباطيل وبين المفكرين المخلصين وبين الهتيفا والدجالين وهذا هو الأهم .

وكما توقعت صدق ظني ولم أحصل على هذه الجائزة العربية ولا غيرها حتى من وطني مصر إلا أخيرا أخيرا عقب ثورة 30 يونية 2013 حدث بعض التغير فحصلت على " جائزة الدولة فى التفوق في الآداب "

أما جائزة الدولة التقديرية رغم أحقيتي في الحصول عليها إلا إنها تحتاج إلى أن ترشحني إحدى المؤسسات الثقافية مثل أكاديمية الفنون أو جامعة القاهرة على اساس أننى درست وقمت بالتدريس فيهما أكثر من خمسة عشر عاما وكان من المفروض ان يتم ذلك عن طريق اتحاد الكتاب باعتبارى عضو مؤسس فيه بل وكان عشمي أيضا في القائمين على هذا الإتحاد أن يقوموا بترشيحي ورغم معرفتهم بإنتاجي وقيمته إلا أن هذا لم يحدث مجاراة لموجة التعصب الديني الذى أصبح هو المعيار الأول في جواز القبول أو الحصول على الجوائز الأدبية والعلمية. وقد أدى هذا الى اختلال بقية المعايير وسوف تكون نتائج هذا النهج على المدى البعيد مدمرة لمستقبل هذه الأمة التي لم تتعلم من تجارب الأمم المتحضرة شيئا.

نسيم مجلى

31 أغسطس 2024

هذه التوصيات الثلاثة كتبها أصحابها باللغة الإنجليزية وأرسلوها الى المؤسسة المذكورة وأرسل لي كل منهم نسخة من خطابه هي التي ترجمتها في الصفحات التالية.

- خطاب الأستاذة الدكتورة هدى وصفى

الأستاذة الدكتورة هدى وصفى هي أستاذة الأدب الفرنسي بجامعة عين شمس ومديرة مركز الهناجر للفنون المسرحية سابقا كان لها الفضل في تشجيعي فقدمت لي مسرحيتين من ترجمتي هما "الموت وفارس الملك" ومسرحية "الأسد والجوهرة" لشاعر المسرح الأفريقي الكبير وول شوينكا والحاصل على جائزة نوبل 1986 على مسرح الهناجر 1997، 1999.

وفى سنة 2005 تقدمت لمنحة مقدمة من إحدى المؤسسات الأمريكية واحتجت ثلاثة خطابات تزكية فدعمتني بخطاب رائع ارسلته للمؤسسة ثم أرسلت لي نسخة، وعندما قرأت الخطاب فوجئت بانها كتبت تقييما شاملا ودقيقا لمؤلفاتي ولدوري ككاتب فأجادت وأبدعت وماكنت أظن أن هناك أحدا يهتم بي كل هذا الاهتمام حتى يكتب عنى بهذه الدقة الرائعة.

كتبت الدكتورة هدى الخطاب باللغة الإنجليزية وقمت أنا أخيرا بترجمته إلى اللغة العربية وإليكم نص الخطاب:

تقول الدكتورة هدى وصفى:

لقد تعرفت على نسيم مجلى من خلال كتاباته قبل أن أعرفه شخصيا. ففي البداية لفت انتباهي بنشاطه كناقد أدبى ومعلق على الأعمال الجديدة. في ذلك الوقت، أواخر الستينات من القرن الماضي، كان نسيم ينشر مقالاته في مجلتين شهريتين هما¨ "الكاتب"و "السينما والمسرح"

كان يراجع الكتب الجديدة في المجلة الأولى ويتابع عروض المسرحيات الجديدة فى المجلة الثانية، ثم بدأ نشاطه في مجال الترجمة بكتاب لرونالد جراي عن بريخت، يتناول فيه جراي بالتفصيل حياة بريخت ونظرية المسرح الملحمي، وأظن أن نسيم قد تأثر كثيرا ببريخت في كتابة مسرحيته الأولى المسماة " القضية" ثم توالى انتاجه في الظهور على شكل تحليلات نقدية لموضوعات أدبية وفكرية، أظهرت ميله الشديد للإنخراط بقوة في مناقشة الموضوعات الجدلية التي تستفز الأصوليين من رجال الدين عادة.

كانت حجته دائما تستند على معرفته العميقة بالموضوع محل النقاش بالإضافة إلى موضوعيته في التناول وتحليله البارع، ورغم هذه الحقيقة فإن مناقشاته كانت تبدو

دائما مستفزة للطرف الأخر. لكنه كان يحظى بالقبول عند المفكرين الليبراليين وعند القراء غير المنحازين.. إن صبره الطويل في البحث عن المعلومات الموثقة في طوايا المخطوطات والمراجع يحوز على إعجاب الباحثين والنقاد وهذه الطريقة تضفى على كتاباته قوة تأثيرها. فكتابه عن أمل دنقل يمثل محاولة مدهشة لدراسة الشعر الحديث. لقد تمت مصادرة الطبعة الأولى من الكتاب لكنه طبع ثلاث مرات بعد ذلك. المساحة الواسعة التي أعطيت لنشر أعماله في مؤسسات الدولة (25 كتابا تقريبا) تدل دلالة واضحة على أنه يحظى بنوع من القبول والإحترام. ومن ثم فإنني أجرؤ على القول بأن نسيم مجلى قد وضع بصمته ككاتب جاد حر.

إن دخوله مؤخرا إلى ملف التاريخ القبطي ومشاكله هو أمر واضح الدلالة. ففي كتابيه "لويس عوض ومعاركه الأدبية "و"صدام الأصالة والمعاصرة" يتناول فيهما التيارات الفكرية المتعارضة مع التأكيد على نقاط الإحتكاك بين تيارات الثقافة الإسلامية والمسيحية، وبهذا مهد طريقه للدخول بصراحة أكثر في التاريخ القبطي ليكشف لنا بعض أحداثه المأساوية من خلال كتاباته عن الأبطال والقادة العظام أمثال ابن مماتي وزير صلاح الدين البارز، والجنرال يعقوب قائد الفيلق القبطي في وقت الحملة الفرنسية، على مصر الذى ساعد الفرنسيين في محاربة الأتراك والمماليك من أجل تحقيق الاستقلال الوطني.

هؤلاء القادة الثلاثة قدموا لوطنهم خدمات جليلة، ورغم ذلك عذبوا واضطهدوا من جانب الحكام المسلمين، لهذا فإن موقف نسيم مجلى من هذه الشخصيات المرموقة موقف يستحق التقدير. لأن حقبة التاريخ القبطي، حوالى ستة قرون تم تجاهلها تماما من جانب المؤرخين المسلمين، ومازالت غائبة عن المقررات الدراسية في المدارس والجامعات. وغائبة أيضا عن الذاكرة الجماعية للشعب المصري، وهذا سبب رئيسي للتوتر والنزاعات الطائفية بين المسلمين والمسيحيين. وفي مثل هذا السياق الثقافي والاجتماعي، فإن كتابات نسيم مجلى تعد محاولة هامة لتصحيح زاوية النظر لتاريخنا كله في مصر، وفى المنطقة العربية. ونحن نعتقد أن هذه المراجعة ضرورية من أجل استقرار المجتمع وامنه.

لحسن الحظ أن هذه الموضوعات الجادة والخطيرة لم تأخذه بعيدا عن ميدانه المفضل وهو الدراما. إذ أنه يؤمن أن التاريخ هو المصدر الرئيسي للصراع الدرامي، وأن هذه الشخصيات الثلاثة ينبغي أن تكون هي المادة الأساسية للمسرحيات والأفلام. ونتيجة لهذا فهو يتقدم بهذه المشروعات الجديدة بغية الحصول على منحة. وأظن أن هذه المنحة سوف تكون خير دعم للبحث العلمي وللفن المسرحي في وقت واحد. إن قراءة مسرحيات نسيم مجلى تمثل متعة خاصة. ففي مسرحيته "المجنونة" يقدم رؤية جديدة لعصرنا تؤكد ان الجنون في روح العصر وليس في ناس العصر. في نفس الوقت فإنه يعبر عن رؤية ثاقبة وعميقة حين يصر على حق المرأة الوحيدة في أن تخرج من بيتها

بحرية وقتما تشاء، وأيضا على حقها في اختيار الزوج فنسيم مجلى مدافع شجاع عن الحرية والعدالة والمساواة، وقد كرس مواهبه ووقته كله للدفاع عن هذه المبادئ.

وكتابه الجديد "حنين بن اسحق وعصر الترجمة العربية" الذى لم ينشر بعد هو مغامرة كبرى في أرض مجهولة، حيث يضطر الى التنقيب العميق في لفائف المخطوطات والكتب الصفراء بحثا عن الأسرار الخفية لهذا التاريخ وعن صراعاته الفكرية.

وفيما يختص بمشروعه المقدم لمركز "دوروثى ولويس ب.كولمان للباحثين والكتاب " أرى أن خطته تشتمل على نقطتين:

- الأولى كتابة مسرحية تصور حياة حنين وكفاحه كعالم من العلماء أصحاب المبادئ الأخلاقية في سياق أوضاع ثقافية واجتماعية حافلة بالتناقضات والصراعات العنيفة.

- الثانية كتابة بيوجرافية موثقة وشاملة لحنين بن اسحق باللغة الإنجليزية. أرى أن هذا كله يقع في بؤرة اهتمام نسيم مجلى الأساسية. فهو كاتب متعدد المواهب ومؤهل بدرجة عالية وقادر على التعبير الواضح بالعربية والإنجليزية، وأنا عندي ثقة كبيرة في أمانته وشجاعته وإخلاصه. هذه الخصال تضاف إلى مغامراته في كتابة أعمال الخيال والدراسات النقدية تعطى الدليل القوى على أنه سوف يفي بوعوده وينجز لنا عملا رائعا من الأعمال الأدبية.

د. هدى وصفى
أستاذة الأدب الفرنسي – جامعة عين شمس

.

- خطاب الأستاذ الدكتور فوزى اسطفانوس :

في سنة 2005 كنت في كليفلاند مع إبنى الدكتور أيمن وتقدمت لمنحة بحثية مقدمة من مؤسسة أمريكية واحتجت ثلاثة خطابات تذكية فبادر بكتابة هذه المقالة وأرسلها للمؤسسة ثم أعطاني هذه النسخة الرائعة التي تؤكد أن ثقافة العلماء المتميزين تتعدى حدود التخصصات العلمية ألى مجال الثقافة العامة والأدب بصفة خاصة.

كتب المرحوم فوزى اسطفانوس بصفته رئيسا لمؤسسة القديس مرقس لدراسة التاريخ القبطي يقول:

لقد عرفت الأستاذ نسيم مجلى من خلال كتاباته في جريدة "وطني" المصرية الأسبوعية التي تصدر في القاهرة، وهى صحيفة مسيحية بالأساس. فتأثرت بدرجة اهتمامه بالتاريخ والثقافة القبطية وخصوصا في المرحلة التي أعقبت احتلال العرب لمصر. فتاريخ القبط في هذه الحقبة قد تم تجاهله تماما من جانب المؤرخين المصريين ولا يتم ذكره في الكتب المدرسية ولا في مناهج الجامعات أيضا. وجاءت كتاباته تنويعا فريدا فهي تنويرية وداعمة بقوة للروح المعنوية للمسيحيين في وطنهم مصر. لقد ترجم عددا من الكتب والمسرحيات الإنجليزية إلى اللغة العربية. ونحن نثق بقوة في قدراته الفنية على كتابة الأعمال الدرامية كذلك فى امتلاكه القدرة على التعبير باللغتين العربية والإنجليزية على السواء.

زد على ذلك، فإنه مؤهل تأهيلا عاليا فقد حصل على ليسانس الأداب من قسم اللغة الإنجليزية بجامعة القاهرة 1960 وعلى دبلوم الدراسات العليا في النقد والأدب المسرحي من أكاديمية الفنون 1970.

لقد أنشأنا مؤسسة القديس مرقس لنشر التاريخ القبطي منذ ثمانية أعوام ومنذ البداية دعونا الأستاذ مجلى لحضور اجتماعات اللجنة المختصة بوضع الخطة، وحضور جلسات البحث والدراسة، وكانت معرفته ومناقشاته والتعبير عن أرائه بوضوح مفيدة جدا لنا، خصوصا في التخطيط لإصدار عدد قليل من الكتب وهكذا عرفنا بعضنا بعضا بصورة أفضل. ولاحظت انشغاله العميق بالتاريخ القبطي ومشاكله التي بحثها بموضوعية شديدة في سياق نضالنا القومى كمصريين من أجل الحرية والاستقلال.

وهو يبدو كرائد شجاع في كشف المستور من أسرار هذا التاريخ والمظالم التي وقعت على الكثيرين من الأبطال الأقباط. وهذا واضح بصفة خاصة في مقالاته وفى كتبه عن الشخصيات المرموقة في هذا التاريخ مثل ابن مماتي الذى كان وزيرا لصلاح الدين القائد المسلم الذى طرد الصليبيين من بلادنا. كان ابن مماتي كاتبا عظيما ورجل دولة بارز ترك لنا عددا كبيرا من الكتب المحطوطة التي تبرهن على قدراته الفنية وريادته الأدبية. أما الجنرال يعقوب فهو قائد الفيلق القبطي في زمن الحملة الفرنسية الذى حارب المماليك والأتراك ألى جانب الفرنسيين من أجل الاستقلال والحرية لجميع المصريين.

أخيرا فجأنى بمخطوطة كتابه الذى لم ينشر بعنوان "حنين بن اسحق وعصر الترجمة العربية" وهو دراسة لحياة أشهر مترجم وعالم في العصر الذهبي للحضارة العربية، وطلب أن يعرف رأى في هذا الكتاب، شعرت إننا أخيرا عثرنا على كاتب جاد يهتم بالبحث عن الحقائق الحقيقية للتاريخ العلمي، واضعا نصب عينيه مشكلة التبادل الثقافي. ولعل أكثر الأشياء تأثيرا في هذا المخطوط هو كمية المراجع التي اعتمد عليها في بحثه وقارن بينها والكثير من هذه المراجع يحتاج إلى جهد هائل في البحث والتنقيب، وبعض هذه المراجع خاضع لتحكم السلطات المصرية، ويصعب الوصول إليها. وقد أبدى صبرا طويلا في قراءة ليس فقط الكتب المطبوعة بل أيضا فى فحص المخطوطات لكى يدقق في رؤية الإختلافات ويصحح الأخطاء الكثيرة التي وقع فيها الكثيرون من كتاب التراجم الشخصية.

لقد قدم نسيم مجلى حقا مساهمة عظيمة فى إحياء ذكرى هذه الشخصيات المتميزة في تاريخنا وألقى ضوءا قويا على الدور الذى لعبه كل منهم في خدمة الوطن.

لم يكن مجلى طائفيا فى نظرته إلى هؤلاء الرجال لأن الواقع يقول أنهم كانوا وطنيون أمناء ومخلصون كرسوا حياتهم ومواهبهم لخدمة المصريين جميعا مسلمين ومسيحيين على السواء، وفى النهاية تنكرت لهم السلطة الإسلامية وعاملتهم معاملة ظالمة بل عذبتهم واضطهدتهم. وللمرة الثانية أقول إن تركيز مجلى على هذه الشخصيات المنسية هو جزء من رؤيته الشاملة للتاريخ العام لوطننا مصر. إنه عمل رائد واستثنائي يمثل تحديا لهؤلاء الذين تجاهلوا تاريخ الأقباط على مدى ستة قرون. مما زاد من انحيازهم فيما سمحوا بنشره. ولكن إصرار نسيم مجلى ومثابرته في معظم الأوقات مكنته من تقديم عمله لجماهير القراء في مصر والعالم العربي.

وهو كناقد صريح وشجاع يبدو أنه قد كرس قدراته وجهوده لكشف أسرار هذا التاريخ الخفية التي لم يذكرها أحد من قبل، فهو يشعر أن له رسالة عظيمة هي تنويرهم وتزويدهم بوقائع حقيقية قدر الإمكان. وهو يطمح فى تحويل هذه الأعمال الأدبية إلى مسرحيات وأفلام وقد دعانا في مؤسسة القديس مرقس إلى تمويل هذا المشروع إيمانا منه بأن هذه الوسائط الفنية أكثر فاعلية في توصيل هذه الرسالة حتى إلى الأميين الذين لا يعرفون القراءة أو الكتابة.

وفى رأيي أن نسيم مجلى كاتب متعدد القدرات كثيرا ما يبرهن على تفوقه في الأعمال النقدية والإبداعية، وثقتنا كبيرة فيه بحكم معرفتنا به كإنسان على استعداد دائم للتعاون. باختصار هو رجل صاحب كلمة.

وبالنسبة لاقتراحه المقدم "لمركز دوروثى ولويس ب. كولمان للباحثين والكتاب " أرى أنه يسير في نفس الاتجاه الذى تسير فيه أعماله النقدية والإبداعية. والاقتراح يشمل موضوعين:

1- كتابة بيوجرافيا موثقة وشاملة لحياة حنين بن اسحق باللغة الإنجليزية.

2- كتابة مسرحية تصور حياته وجهاده كعالم يؤمن بمبادىء أخلاقية في وسط اجتماعي وسياسي مليء بالتناقضات الصارخة. وإنني واثق انه سوف يبذل أقصى جهده لإثبات جدارته.

أشعر شعورا قويا ان إعطاء منحة للأستاذ مجلى هي شيء مستحق، إنه مبلغ من المال يخصص لنوعية مغايرة من البحوث الفكرية لجزء هام من تاريخنا القبطي.

د. فوزى جورج اسطفانوس

رئيس مؤسسة القديس مرقس لنشر التاريخ القبطي

- **خطاب الناقد الكبير الدكتور عبد المنعم تليمة**

أستاذ الأدب الحديث بجامعة القاهرة :

حضرات الأساتذة الأجلاء

يسعدني أن اكتب هذه التوصية الخاصة بالأستاذ نسيم مجلى الذى تقدم للحصول على منحة البحث المعلن عنها في مركز الباحثين والكتاب عندكم.

لقد عرفت نسيم مجلى في إحدى الندوات حوالى 1959، وتعارفنا كزملاء في كلية واخدة حيث كنت أدرس في قسم اللغة العربية. منذ ذلك الحين، أخذنا نتقابل من وقت لأخر للمشاركة فى مناقشة الكتب الجديدة وكذلك العروض المسرحية الجديدة، وتبينت من خلال هذا النشاط ميله الشديد إلى تعميق معرفته بالفنون المسرحية عن طريق قراءة النصوص المسرحية وترجمة كتب النقد الأدبي. لقد أهلته جهوده فى هذا المجال ليكون بين القلة التي حصلت على منحة التفرغ للدراسة بمعهد الفنون المسرحية وذلك من خلال امتحان مسابقة في أكتوبر 1968 حيث قضى عامين في دراسة مقررات أهلته للحصول على دبلوم الدراسات العليا في النقد والدراسات المسرحية بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف.

وهكذا وضع نفسه على طريق الكتابة النقدية والإبداعية وازدادت مساهماته في الندوات والمؤتمرات الأدبية بصورة واضحة، لقد لفت نظري بقدرته الواضحة على التحليل المنطقي لأي موضوع يكون قيد المناقشة في هذه اللقاءات. كانت ملاحظاته وتعليقاته تتميز بالعمق وبالأصالة. وكانت تجري في المسار العام للثقافة القومية مع تركيز خاص على قضية الحرية بمعناها الشامل أي الحرية السياسية والاجتماعية. إذن فلا غرابة أن يكون أول كتبه بعنوان "المسرح وقضايا الحرية" وأنا أرى أن مسرحياته تتناول نفس المواضيع ففي مسرحيته " القضية" برهن على نزاهته في مناقشة قضايا خطيرة ذات دلالة سياسية ودينية. كانت المسرحية مغامرة جريئة بالنسبة للتيار الغالب في المسرح المصري. أما مسرحية "المجنونة" فهي كوميديا اجتماعية، تناقش أوضاع مجتمع يعانى من غياب العدل والمساواة، والحرية الفردية. بينما ينتشر فيه الفساد والرشوة والتسيب وحتى التعصب الديني.

لقد استطاع المؤلف بحساسيته المسرحية المرهفة، أن يطور من صياغته الواقعية، مقدما إضافة جديدة إلى الفن الدرامي، وهى الإضافة التي تبتعد عن التجريبية الساذجة التي تفتقر إلى النضوج، بقدر ما تبتعد عن الواقعية المباشرة التي عانى منها مسرحنا أكثر من معاناته من التجريبية. فالواقعية مشحونة بالمعنى والدلالة، حيث يجدل الواقع والرمز في نسيج واحد وحيث تومئ الشخصية المتفردة المرسومة بكل دقة وعناية (ناهد) إلى معنى أكبر منها دون أن تتردى للحظة واحدة في هوة الرمز أو التجريد.

وبعيدا عن مغامراته الخيالية فى مجال المسرح، دعونا ننظر في أعماله النقدية. ففي كتابيه "لويس عوض ومعاركه الأدبية" و"صدام الأصالة والمعاصرة" نجده

يقدم على مناقشة بعض القضايا الثقافية الكبرى وقد تم ذلك بقدر كبير من الحرية. أن مراجعه الموثقة وتحليلاته المنطقية يضفيان على أرائه درجة كبيرة من المصداقية.

لكنه يميل إلى مناقشة قضايا التاريخ القبطي بصفة خاصة. وهو يبحثه بموضوعية شديدة ضمن رؤية شاملة لنضالنا القومى من أجل الحرية والإستقلال. وهو يبدو لنا كرائد في كشف خبايا التاريخ القبطي وأسراره المؤلمة. وإبراز المظالم البشعة التي وقعت بحق الكثير من أبطاله المرموقين، وهذا واضح في مقالاته وكتبه عن ابن مماتي وعن الجنرال يعقوب. فالأول كان وزيرا لصلاح الدين، القائد المسلم الذى هزم الصليبيين وطردهم من بلادنا، أما الجنرال يعقوب فكان قائد الفيلق القبطي أيام الحملة الفرنسية الذى تعاون مع الفرنسيين في محاربة المماليك والأتراك من أجل الحصول على استقلالنا القومى. هؤلاء الرجال تنكرت لهم السلطة الإسلامية وأساءت معاملتهم وكانت نهاية كل منهم مأساة محزنة.

وأنا كناقد فحصت أهم أعماله، أحب أن أعلن أن نسيم مجلى كباحث ليس منحازا لطائفته القبطية لكنه يحاول أن يملأ الفجوات الموجودة في هذا التاريخ ويستعرض أمامنا أحداثا هامة وخطيرة تجاهلها المؤرخون الرسميون. والأهم من ذلك كله أن هؤلاء الرجال الذين ذكرهم نسيم كانوا وطنيون أمناء كرسوا مواهبهم وجهودهم من أجل رفعة وطنهم. إنني معجب بصلابته الشخصية ومثابرته على البحث في هذه الأمور الجادة.

وفى هذا الخصوص فإنه يمكنني أن أقرر أن كتابه عن" حنين بن اسحق وعصر الترجمة العربية " الذى لم ينشر بعد هو كتاب هام ومشوق. إنه يحيي ذكرى أعظم التراجمة في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية وهو الطبيب العلامة حنين بن اسحق. أن صورته كطبيب أمين وشجاع هي بلا شك مصدر إلهام عظيم لأنها تجسد فترة عظيمة في تاريخ التبادل الثقافي بين الحضارة العربية والحضارة الأوربية وهذه تمثل دعوة مضادة لدعوة صدام الثقافات. لقد فحص مجلى كثيرا من الملفات والمخطوطات بصبر وأناة من أجل تصحيح الأخطاء الموجودة في الكتابات السابقة، وفى ضوء هذا، فإنني أجرؤ على القول أن نسيم مجلى سوف يثبت كفاءة عظيمة في إنجاز مشروعيه بدرجة مقنعة.

-كتابة مسرحية عن حياة حنين.

-كتابة بيوجرافية موثقة عن هذه الشخصية كمقدمة لمسرحيته.

عبد المنعم تليمة

أستاذ الأدب الحديث

تعقيب:

أصدقائي وأساتذتى الأوفياء

أشكركم على ثقتكم في شخصي الضعيف، وأعدكم بأنني سوف أفخر ما حييت بهذه الشهادات الرائعة والصادقة الصادرة عن عقول واعية وقلوب مخلصة تحب الخير لنفسها ولغيرها ويسعدني أن أقول لكم ولمن يهمه الأمر أننى لم أخيب لكم ظنا وأنجزت وعودي وكتبت كتابا بعنوان**" حنين بن اسحق وعصر الترجمة العربية"** نشر بالمجلس الأعلى 2006، ومسرحية اسمها **" مأساة طبيب الخليفة"** هي من أمتع إن لم تكن أمتع مسرحية كتبت في المسرح المصري حتى الآن. نشرت بمجلة "مسرحنا" 2014.ثم صدرت فى كتاب عن منتدى الشرق الاوسط للحريات2016 لكنني أرجع وأقول: قيراط حظ ولا فدان شطارة. لأنني لم أحصل على المنحة ولا أي جائزة سوى جائزة الدولة للتفوق الأدبي 2013.

أما جائزة الدولة التقديرية التي أستحقها منذ سنوات لم ترشحني لها أي مؤسسة ممن لهم حق الترشيح لهذه الجائزة الأدبية، لأن رئيس اتحاد الكتاب ظهر أنه سلفي متعصب رغم أننى أحد الأعضاء المؤسسين للاتحاد، وكذلك تجاهلتني أكاديمية الفنون التي درست وقمت بالتدريس فيها اكثر من خم سة عشر عاما، وكذلك جامعة القاهرة التي درست ودرست فيها أيضا نفس المدة لان مقاييس الجدارة العلمية والموضوعية غابت عن مجتمعنا الآن ويكفينا بركة الاولياء. س

القسم الرابع: فى النقـــــد والمصـــــادرة

اقرأ في هذا البحث:

1- **تجربتي مع المصادرة.**
2- **فى البحث عن مصادر أمل دنقل.**
3- **كيفية النظر إلى عناصر التراث فى القصيدة الحديثة.**
4- **نقاد ومصارعون.**

أعد هذا البحث عام 1996 ليكون مقدمة للطبعة
الثالثة لكتاب " أمير شعراء الرفض – أمل دنقل "
لكن صدرت الطبعة الثالثة سنة 2000 عن مكتبة الأسرة بدون هذه المقدمة.
ونشرت في الطبعة الرابعة الصادرة في سلسلة كتاب الجمهورية في سنة 2008.

22- تجربتي مع المصادرة:

لا يكفى أن نكتب أدباً جميلاً أو نقداً صادقاً بل لا بد أن نناضل ً من أجل إزالة المعوقات أمام حرية التعبير وتحرير ضمير الكاتب من الخوف ومن وصاية قوى القمع والإرهاب التي تتخفى أحياناً خلف ستار الدين أو مصلحة الوطن لسلب هذه الحرية.

ولعل أخطر أسلحة القمع التي تواجه الكتاب الآن، هي المصادرة. وهذه المصادرة تتم للأسف بأساليب مختلفة خفية أو معلنة. وقد عانيت من هذه الأساليب الأمرين. فقد حجبت مسرحية " القضية " 1973 والتي تناولت فيها وثيقة التبرئة التي حصل عليها اليهود من الفاتيكان، ووضعت فيها جريمة اغتصاب فلسطين أمام طلب التبرئة لأكشف هذا التناقض. كيف تجوز تبرئتهم وهم يرتكبون المجازر كل يوم وكما يقول الراوي:

"فالجريمة المستمرة هي موضوع القضية
والمحاكمة ما انتهتش لكن العدالة جاية"

وبعد أن أستعد المخرج سمير العصفوري لإخراجها تم الضغط عليه حتى يتخلى عنها ليخرج مسرحية رشاد رشدي " حبيبتي شامينة " التي كانت تروج لفكر السادات وتشير إلى أن العرب قد باعوا فلسطين.

وقد تم ذلك فى هدوء وصمت لم تستنكره سوى جريدة " الأخبار" فى مقال كتبته الناقدة سناء فتح الله ثم أسدل عليها الستار. وقد صدرت المسرحية فى كتاب سنة 1978 بعد أربع سنوات، وذلك لأن الدكتور محمود الشنيطى رئيس هيئة الكتاب فى ذلك الوقت اعترض على نشرها ولم يوافق إلا بعد تدخل الراحل العظيم الشاعر صلاح عبد الصبور بعد تعيينه وكيل وزارة ومسئول عن النشر بالهيئة. كان صلاح يؤمن بحرية التعبير إيمانا صادقا عبر عن هذا الإيمان فى أشعاره وفى مواقفه، ومنها هذا الموقف معي فقال للشنيطى إن الكاتب يستخدم تراثه وعقيدته للتعبير عن قضية وطنية وإنسانية ولا حرج عليه فى هذا طالما أنه يحمل رؤية انسانية تدعو الى التفاهم والحرية والسلام، وهيئة الكتاب جهة نشر وليست مؤسسة رقابية حتى تحجر على فكر الكاتب. ومن يعترض على المسرحية بعد نشرها أمامه القضاء ليطلب مصادرتها. وهكذا قدر للمسرحية أن ترى النور.

أما مصادرة كتاب "أمل دنقل: أمير شعراء الرفض" فكانت تجربة مؤلمة لي لكنها لم تخلو من جوانب إيجابية. وهى جديرة بأن تقدم هنا كمثل لكشف الأساليب الملتوية وكوسيلة للتنبيه والتحذير حتى نحمى هذه الحرية. وكانت الطبعة الأولى قد صدرت عن المركز القومى للآداب، وواكبت صدوره ضجة صحفية شارك فيها عدد من الكتاب والنقاد منهم: الأستاذ رجاء النقاش والأستاذ جمال الغيطانى وآخرون كما شارك فيها صحف عربية كثيرة كالرياض والوطن والاتحاد وغيرهما.

أما السبب المباشر لهذه الضجة فكان يتمثل فى منع الكتاب من التداول لعدة شهور بعد طبعه من أجل تغيير العنوان ولا شك أن هذا الفعل يمثل عدواناً على حرية التعبير

وعلى حق الكاتب فى اختيار العنوان الذى يراه معبراً عن فكرته المحورية التي بنى عليها بحثه.

وقد حاول الدكتور عبد العزيز الدسوقي رئيس المركز القومى للآداب – تبرير فعلته فأتهمني بدس العنوان المرفوض على المشرفين على النشر بمطابع هيئة الكتاب. ولم يكتف بهذا بل هاجم الأستاذ رجاء النقاش لأنه كتب مقالين بمجلة " المصور "عن هذا الكتاب، انتقد فى مقاله الأول موقف الدكتور عبد العزيز ومنعه للكتاب من التداول واعتبره مصادره لحق الكاتب وعدوانا على حرية النشر.

ورغم عبثية التهمة التي وجهها إلى الدكتور عبد العزيز وعدم معقوليتها، إذ كيف يتهم إنسان بالدس على نفسه أو كيف يتهم كاتب بدس عنوان كتابه إلا أن كلمة "الدس " فى حد ذاتها تمثل تهمة مشينة وجارحة، فقررت رفع الأمر إلى القضاء واتفقت مع احد المحامين الكبار الذى كتب عريضة الدعوى وقام بإنذار الدكتور عبد العزيز الدسوقي تمهيداً لإتخاذ باقي الإجراءات. ورغم تشجيع عدد كبير من الكتاب لي للمضي في هذه القضية حتى يتم الحصول على حكم من المحكمة بإدانة فعل المصادرة، ومثل هذا الحكم سوف يعزز بلا شك موقف المبدعين والمفكرين فى وجه قوى القمع والتسلط التي لا زالت تمارس دورها المعادي للحرية، إلا أننى توقفت فى منتصف الطريق خشية أن يفسر الأمر على أنه محاولة لجلب الشهرة أو طمعاً في تعويض مالي أو دعاية جديدة للكتاب الذى نفذت طبعته فى أسابيع قليلة.

لكن تراجعي عن إقامة الدعوى وتنازلي عن حقي الشخصي، لا يعنى شطب هذه القضية من دفتر اهتماماتنا الثقافية. فهناك شقها الموضوعي الذى لا أملك حق التنازل عنه لأنه يخص جميع المبدعين والمفكرين عموماً ألا وهو حق الكاتب والفنان فى التعبير بكامل حريته دون رقابة أو مصادرة لعمله أو لأى جزء منه. وهذا المبدأ لن يتأكد بمجرد الحصول على حكم قضائي وإنما يتأكد فقط عن طريق الوعى والاقتناع، حين نؤمن به جميعاً ونصر على تطبيقه في حياتنا بإعتباره حق أول من حقوق الإنسان الكريم وأنه يمثل اللبنة الأولى في أي بناء ديمقراطي ومن أجل هذا قررت ان أضع نص عريضة الدعوى – كما كتبها المحاميان– أمام جماهير القراء واترك الحكم النهائي لهم.

المحـــــاميـــــان: فايز جريس

حلمى فخرى 13 ش رشدي بالقاهرة

القضية مرفوعة من: نسيم مجلى ابراهيم

ناقد ومؤلف مسرحي ومترجم

ضـــــــــــد:

الدكتور عبد العزيز الدسوقي شخصياً ثم بصفته رئيساً للمركز القومى للآداب التابع لوزارة الثقافة ومقره متحف محمد محمود بشارع مراد بجوار مجلس الدولة ومدرسة الأورمان بنات بالجيزة.

المـــــوضـــــوع:

فى صيف 1985 قدم الأول دراسة نقدية بعنوان " أمير شعراء الرفض – أمل دنقل " لنشرها فى سلسلة (كتاب المواهب) التي يصدرها المركز القومى للآداب. وتمت الموافقة على نشر الكتاب من أعضاء لجنة القراءة وهم الأساتذة:

1- **أحمد الشيخ**
2- **صلاح عبد السيد**
3- **نبيل فرج**

وكانوا يشتركون فى الإشراف على هذه السلسلة.

وفى يناير 1988 تم نشر الكتاب بعنوانه الأصلي "امير شعراء الرقض – أمل دنقل"

وفجأة قرر الدكتور عبد العزيز الدسوقي رئيس المركز القومى ورئيس التحرير التحفظ على الكتاب ومنع تداوله فى السوق ..... واستمر هذا الحال عدة شهور حتى نشرت جريدة " الأهالي " بتاريخ 25 مايو 1988 (ص 11) صورة غلاف الكتاب المطبوع وتحت عنوان ممنوع من التداول نشرت البيان التالي:

" أصدر الدكتور عبد العزيز الدسوقي مدير المركز القومى للآداب قراراً بمنع تداول كتاب " أمير شعراء الرفض – أمل دنقل " للكاتب نسيم مجلى حتى يتم تغير عنوان الكتاب. وكانت الهيئة العامة للكتاب قد انتهت من طبع وإعداد الكتاب لحساب المركز على أن يصدر فى الذكرى الخامسة لرحيل أمل دنقل فى سلسلة "المواهب ".

وفى أول يونيو سنة 1988 نشرت الأهالي البيان التالي ص 11:

" حول قرار منع كتاب " أمير شعراء الرفض – أمل دنقل " للكاتب نسيم مجلى جاءنا من الدكتور عبد العزيز الدسوقي رئيس المجلس القومى للآداب هذا التوضيح: يقول الدكتور عبد العزيز أن العلاقة الحميمة بينه وبين الشاعر حتمت عليه إحتضان هذا الكتاب وقد أمر بنشره رغم قرار لجنة القراءة – بالرفضٍ، حيث رأت هذه اللجنة أن فكرة إمارة الشعراء أمر مرفوض.

وأضاف الدكتور عبد العزيز أنه أمر بنشر الكتاب بعد ان اتفق مع المؤلف على بعض التغييرات التي لا تمس جوهر الدراسة – إلا أنه فوجئ بتغيير العنوان الموجود فى الفاتورة المرسلة لهيئة الكتاب فى غفلة من المشرف على الطبع - مما أوقع المركز فى مأزق ورغم ذلك تم التوصل إلى اتفاق مع الهيئة على أن يصدر الكتاب فى شهر يونيو. ولم يكد ينشر هذا الكلام حتى هب أعضاء لجنة القراءة يحتجون على هذه المغالطة ونشرت الأهالي البيان التالي بتاريخ 22 يونيو 1988 " أمل دنقل ولجنة القراءة "

في خطاب لرئيس التحرير قال الأديب صلاح عبد السيد: دافع الدكتور عبد العزيز الدسوقي في جريدة الأهالي بتاريـــخ 1988/6/1 عن قراره بمنع كتاب " أمير شعراء الرفض – أمل دنقل " فقال إن :- العلاقة الحميمة بينه و بين الشاعر حتمت عليه

احتضان هذا الكتاب وقد أمر بنشره رغم قرار لجنة القراءة – بالرفض، حيث رأت هذه اللجنة أن فكرة إمارة الشعراء أمر مرفوض.

ولما كنت عضواً بلجنة القراءة التي أجازت هذا الكتاب فإنني أقول أن ذلك امراً غير صحيح فأنا لم أرفض الكتاب. وبالعكس فإنني قد أشدت به ولم أرفض نشره تحت هذا العنوان: - " أمل دنقل - أمير شعراء الرفض " وأن الذى رفض ذلك هو الدكتور عبد العزيز نفسه. وأتحدى الدكتور أن ينشر تقريري المحفوظ لديه عن الكتاب وكذلك تقرير زميلي أحمد الشيخ بهذا الرفض إلا إذا كان الدكتور قد استكتب بعض الموظفين لديه تقارير بهذا الخصوص.

ثم نشر " المصور" بتاريخ 8 يوليو 1988 للناقد الكبير الأستاذ رجاء النقاش مقالاً تحت عنوان " عبث أدبى غير مقبول " تناول فيه أفكار الدكتور عبد العزيز فى الأدب ولثقافة ثم ركز على موضوع الكتاب قائلا: فلماذا يصادر الدكتور الدسوقي كتاب " أمير شعراء الرفض – أمل دنقل " بعد طبعه. وكيف يعطى لنفسه فرصة الحجر على آراء الآخرين فى عصر أبرز مزاياه أنه حرر الأقلام والعقول والأفكار من القيود وسمح لكل صاحب رأى بأن يعبر عن رأيه حتى لو كان ما يقوله صاحب الرأي نقداً للنظام أو حتى رئيس الجمهورية. الذى يتقبل برحابة صدر كاملة ما ينشر فى نقده ونقد الحكومة والنظام ويتمسك بالدفاع عن حرية التعبير للجميع؟ ومضى الأستاذ رجاء فى كلامه قائلا: " هل يمثل الدكتور الدسوقي نظاماً آخر غير النظام الذى نعيش فيه؟ " هل هو ملكي أكثر من الملك؟ هل يعارض الدكتور ما جاء فى كتاب نسيم مجلى عن الشاعر أمل دنقل؟ وإذا كان معارضا لما جاء فى الكتاب فلماذا لا يكتب رأيه ويعلنه للناس وهو صاحب قلم يستطيع ان ينشر ما يراه ويؤمن به مثله مثل غيره من أصحاب الأقلام فى هذا البلد وهذا العصر؟

إن الطريقة الوحيدة المقبولة للاعتراض الفكري، هي التعبير عنه بالقول والشرح وليس من حق أحد أن يصادر آراء الآخرين، والدولة لا تعطى هذا الحق إلا لوزارة الداخلية فهل المركز القومى للآداب تابع لوزارة الداخلية أو هو تابع لوزارة الثقافة؟

" إن هذا الموقف لا يمكن وصفه إلا بأنه عبث أدبى غير مقبول. ولا نجد ما نقوله للدكتور الدسوقي ولمن يتخذون موقفه إلا كلمة وهى: -

كفاية لقد سأمنا من الضغوط الفكرية المفتعلة وآن لنا أن نتنفس بحرية، وان نشم أنسام التفكير المتحرر من كل القيود

ثم يشير الأستاذ رجاء إلى فيلم " 451 فهرنهيت " الذى عرضه نادى السينما عدة مرات، وبه فرقة إطفاء مهمتها ضبط الكتب. كل الكتب وإحراقها، حتى لا يفكر الناس. وعلق على ما فعله الدكتور عبد العزيز بقوله:

" لو كان المخرج العظيم تريفو الذى قدم لنا هذا الفيلم يعلم ان عندنا من يصادرون الكتب ويضيقون بالرأي الحر فلعله قد صور جزءا من فيلمه فى بلادنا تخليدا لأعداء الفكر وأعداء الثقافة ".

وهنا يتوقف رجاء النقاش امام كتاب " أمير شعراء الرفض " فيقول: -

لقد حصلت بالحيلة – على نسخة من هذا الكتاب وقرأته ولى عليه ملاحظات وبيني وبين كاتبه خلافات فى بعض آرائه. ولكن الكتاب بكل المعايير كتاب ممتاز يحرك الفكر ويلقى كثيراً من الضوء على فن شاعر كبير هو أمل دنقل ويثبت بالدليل ان هذا الشاعر الموهوب الجاد كان – فى جيله – جيل الستينيات أميرا لشعراء الرفض حقا وصدقا فأشعار أمل دنقل إن لم نقل كلها كانت عن الرفض.

ثم يتحدث الكاتب الكبير رجاء النقاش عن مؤلف الكتاب قائلا: " أما نسيم مجلى مؤلف كتاب " أمير شعراء الرفض" فهو كاتب مثقف فنان لــه العديد من الكتب والمسرحيات المترجمة والمؤلفة والتي تثبت جميعاً انه بلغ سن الرشد "الفكري" منذ سنوات بعيدة وأنه بغير حاجة إلى وصاية أحد، وانه يستطيع أن يتحمل مسئولية ما يكتبه ويواجه الناس بآرائه، ولن يتحمل مسئولية هذه الآراء أحد سواه.

ثم ختم مقاله بالنداء الآتي:

" فأرفعوا أيديكم أيها الباطشون بحرية الفكر عن كتاب " أمير شعراء الرفض" فلم يكلفكم أحد بحراسة حرية الرأي في مصر. ولم يكلفكم أحد بإعطاء تأشيرة دخول أو خروج للأفكار والآراء فى عصر ينادى كل شيء فيه بأن الخلاص من أزمتنا قائم على الحرية والتمسك بالحرية، وتعميق الممارسة الديمقراطية ".

وبدلاً من الإفراج عن الكتاب، أمر الدكتور عبد العزيز بنزع أغلفة جميع نسخ الكتاب وإلغاء الصفحة التالية التي تحمل عنوان " أمير شعراء الرفض " ووضع غلاف جديد بدون عنوان سوى عبارة " امل دنقل " أي أنه ألغى العنوان الذى يعبر عن رأى المؤلف وهو عدوان خطير على حرية التعبير يضر الكاتب ضرراً بالغاً .... إذ هو فى حقيقته يعد خرقاً لأهم مبادئ حقوق الإنسان وهى حق التفكير والتعبير الذى يكفله الدستور والقوانين وكافة التشريعات.

ثم رد الدكتور عبد العزيز الدسوقي على مقال رجاء النقاش .... محاولاً تبرير هذه الجريمة قائلا وذلك (بالمصور فى 15 يوليو 1988).

" ناقشت المؤلف في كل ذلك فاقتنع بتغيير العنوان إلى " أمل دنقل شعره وحياته " وهو عنوان يتفق مع طبيعة ما فى الكتاب.

ومع الأسف فقد حدث أثناء الطبع خطأ عندما دس على المشرفين على الطبع العنوان المرفوض وكان لا بد ان تصحح هيئة الكتاب الوضع منعاً للالتباس فى المحاسبة المالية. وقد تم ذلك.

وهذا الكلام يقلب الحقائق رأساً على عقب ويوجه للمؤلف تهمة الدس، وهى تهمة أخلاقية خطيرة، كما يتهم المشرفين على الطبع بهيئة الكتاب بالإهمال والغفلة وعدم الأمانة ... وهو كلام يتحمل تبعته القانونية الدكتور الدسوقي فالدكتور عبد العزيز وهو رئيس مجلس إدارة المركز القومى للآداب ورئيس تحرير سلسلة " كتاب المواهب " التي يصدرها المجلس وقد أصدر المجلس ثلاث كتب في ثلاثة شهور متوالية (اكتوبر / نوفمبر / ديسمبر 1987 والكتب هي:-

1- **واحد ضد الجميع – تأليف: أدريس على (عدد 46).**
2- **اعترافات شاعر الكرنك تأليف: محمد رضوان (عدد47)**
3- **مزامير العصر الخلفي تأليف: عبد الستار سليم (عدد 48)**

وفى أخر كل كتاب من هذه الكتب نجد قائمة تعلن أن من بين الكتب القادمة: - " أمير شعراء الرفض " تأليف نسيم مجلى، فمن دس على الدكتور عبد العزيز هذا الإعلان المتكرر لمدة ثلاثة شهور، وأين كان سيادته طيلة هذه الشهور الطويلة وهو المسئول الأول والمشرف على هذه السلسلة.

إن قيام الدكتور بتمزيق غلاف الكتاب بعد طبعه وتجليده ونزع الصفحة الأولى هو تصرف غير عادى وغير مفهوم.. من جانب الدكتور عبد العزيز ولكنه يمثل عدواناً خطيراً على حرية التفكير والتعبير وسابقة لا مثيل لها فى مصر فضلا عن كونها تبديد للمال العام من قبل رئيس مصلحة حكومية ... وبدون سبب معقول وإنما إشباعاً لرغبته فى الوصايا والتسلط على أفكار الأخرين وهو أمر لا يقبله أي منطق سليم.

لهذا نترك لهيئة المحكمة الموقرة تقييم هذا الفعل المعادي لحرية الرأي. وتقدير ما وقع من ضرر على موكلنا نسيم مجلى مؤلف الكتاب ومن أساء لسمعته حيث اتهمه الدكتور وشهر به على صفحات الصحف مثل الأهالي والمصور وقد بينا بطلان هذا الاتهام لذلك نطلب الحكم بالآتي:

1- إن عنوان الكتاب " أمير شعراء الرفض – أمل دنقل " هو العنوان الحقيقي للكتاب. اختيار العنوان حق مطلق للمؤلف تحميه كافة التشريعات الوطنية والعالمية وقضاؤنا العادل.
2- الحكم بمبلغ 101 جنيها على سبيل التعويض المؤقت.

عند هذا الحد قررت التوقف حتى لا أترك أي فرصة لإساءة تقدير موقفي. وبالنسبة لاتهامي بالدس فهي تهمة عبثية ومضحكة لا يقبلها عقل ولا بأس من التسامح بشأنها. خصوصا لأنني شعرت أن الدكتور عبد العزيز قد دفع دفعا الى هذا الموقف المتناقض

لأنه لم يكن أبدا ضد الكتاب وكان يحتفى بمقالاتي في مجلة الثقافة التي كان يرأس تحريرها، فما الذى حدث وجعله يبالغ في الهجوم على وعلى الكتاب بهذه الطريقة؟

كذلك تذكرت أننى كنت مع الدكتور عبد العزيز فى مكتبه فى اليوم السابق على مصادرة الكتاب وهناني على خروجه من المطبعة وأهداني نسختين ثم كتب تصريحا لي باستلام عشرين نسخة أخرى من هيئة الكتاب كهدايا للمؤلف، وكان ذلك حوالى الثانية بعد الظهر، وفى صباح اليوم التالي ذهبت لاستلام هذه النسخ فصدمت بخبر منع الكتاب من التداول وبناء عليه رفض المسئول تسليمي نسخ الكتاب، وكانت مفاجأة مؤلمة. فهل يمكن أن يكون الدكتور عبد العزيز قد انقلب على نفسه في مدة لا تزيد عن ستة وثلاثين ساعة؟ لابد أن هناك جهة أخرى تدخلت فى الأمر ودفعته الى محاولة التبرء من مسئولية نشر الكتاب. وقد يفصح هو عن هذه القوة الخفية فى يوم من الأيام ومن ثم يكفيه ما تعرض له من نقد وهجوم بسبب هذا الكتاب.

وقد صدق حدسي فقد أعترف لي الدكتور عبد العزيز فيما بعد وكان يسكن الى جواري في مدينة 6 أكتوبر وقال بالحرف الواحد " لقد اتصل بي مسئول كبير في الأمن في الثالثة صباحا وطلب منى التحفظ على جميع النسخ المطبوعة وعدم السماح بتوزيعها" ويكفيني أنا الأن توضيح موقفي للقراء. فالأمر لم يعد يتعلق بمسألة كتاب أو بعنوانه، بل يتعلق أساساً بمشكلة حياتنا جميعاً وهى الحرية، حرية التعبير بمعناها الحقيقي الذى لا يخضع لأى مصادرة أو تضيق.، فحق الاختلاف في الرأي هو الذى يؤكد حرية التعبير.

إن المثقف لا يمكن أن يكون حراً حقيقة إلا إذا عمل على ضمان حرية الآخرين، ممن يخالفونه في الرأي بالدرجة الأولى. أما أن يطلب الحرية لنفسه فقط لكى يحكم ويتسلط، فهوهنا لا يعرف معنى الحرية. ومن أجل هذا، لم يعد المهم هو إدانة شخص بذاته، وإنما إدانة الفعل، أي فعل المصادرة أو التعدي على حرية الكتّاب والمبدعين بشتى الطرق. وذلك حتى يكون كل منا حارساً لحريته وحرية الآخرين. وبهذا فقط يمكننا ان نقيم حياة كريمة للجميع.

على أي حال، فإن صدور الكتاب كان مناسبة هامة أثبتت أن أنصار الحرية أكثر كثيراً وأقوى من أعدائها. وان صحافة مصر تعرف دورها الصحيح فى حماية حرية الكلمة الشريفة الصادقة سواء كانت صحفا موالية كالمصور والأخبار أو صحفا معارضة كالأهالي والوفد وصوت العرب وغيرها.

كذلك كان الأمر بالنسبة لصحف عربية مثل الرياض وغيرها بالسعودية، والسياسة والوطن بالكويت، وجريدة اتحاد الإمارات، ومجلة الكفاح العربي بقبرص، وكان موقف هذه الصحف والمجلات يتميز بالتركيز على مادة الكتاب ومنهج البحث فخصصت مساحات كبيرة لعرض وابراز أهم الأراء النقدية الواردة فى هذه الدراسة، لكنها لم تغفل تماماً موضوع الخلاف فكان عنوان جريدة الرياض " الكتاب الذى تسبب

عنوانه فى مصادرته ". وكان اجمل التعليقات وأشدها سخرية فى السياسة الكويتية مقال بدون توقيع يقول فيه كاتبه:

" وتأتى هذه الضجة انطلاقا من أن الكتاب قد تأخر فى صدوره بضعة أشهر لا لشيء في مضمونه، ولكن لشيء في عنوانه. فقد كان عنوانه الأول الذى اختاره المؤلف – وأهل مكة أدرى بشعابها – هو " أمل دنقل - أمير شعراء الرفض " وكان هذا سبب رفض الكتاب من قبل رئيس المركز الدكتور عبد العزيز الدسوقي الذى رأى ان لقب أمير الشعراء ليس لقباً رسمياً لأمل دنقل. إنه لم يصدر مرسوم حكومي مثلا يمنحه اللقب، فكيف يأتى فرد مثل نسيم مجلى ويمنحه ما لا يملك؟ "س

(السياسة 18 أغسطس 1988)

23- فى البحث عن مصادر أل دنقل

وبعيداً عن الضجة الصحفية فإن نشر هذا الكتاب قد أثمر ثماراً طيبة وعديدة في حقل النقد الأدبي إذ أيقظ الاهتمام بشعر أمل دنقل وحياته وطرح أسئلة هامة حول مصادر ثقافته، وعلاقاته الفكرية والفنية بأسلافه وأساتذته الراحلين، والمعاصرين فى تراث الثقافة العربية والإنسانية.

إذ لم يكد ينشر الأستاذ رجاء النقاش مقاله " شاعر من الصعيد وشاعر من اليونان والذى يشير إلى وجود علاقة بين شعر أمل دنقل وشعر الشاعر اليوناني كفافي الذى عاش وكتب أشعاره كلها بمدينة الإسكندرية، حتى جاءته رسالتان تؤكدان على أن تأثر أمل دنقل بشاعر آخر هو الشاعر السوري محمد الماغوط.

فى ذلك الوقت تلقيت رسالة من الشاعر والصديق وصفى صادق ومعها صورة لمقال منشور بمجلة " الآداب" اللبنانية (نوفمبر 1967) بعنوان "اتهامات امام أمل دنقل" يقول فيه كاتبه الأستاذ محمد على الخفاجي من كربلاء بالعراق:

" إن الشاعر استفاد من تجارب شعراء آخرين ومع تطويره الذكي لهذه الاستفادة إلا أنه لم يستطع التخلص من الشبهة ونفى العلاقة وكان اول ما وجدته فى قصيدته (لا وقت للبكاء) التي لا تعدو ان تكون فى بعض أبياتها امتصاصا لأبيات من قصيدة (وصفى صادق مينا) المنشورة فى مجلة الآداب العدد 11 لسنة 1967 والتي عنوانها (أمي والجرح الذى يدمى). ثم قدم أمثلة على صحة ملاحظاته.

بعد ذلك انتقل الأستاذ محمد على خفاجي للمقارنة بين قصيدة " الضيف " لنازك الملائكة وبعض أبيات أمل دنقل دون أن يتمكن من تحديد من الذى أثر ومن الذى تأثر، وذلك لأن هذه القصائد لا يوجد تاريخ محدد لكتابتها لنعرف من منهما سبق الآخر. لكنه يؤكد بشدة على تأثر امل دنقل فى قصيدته (ميته عصرية) بقصيدة (الفرح ليس مهنتي) لمحمد الماغوط رغم عدم وجود تواريخ لهذه القصائد أيضاً.

هكذا انفتحت آفاق البحث فى شعر أمل وفى مصادر ثقافته وفنه بفضل هذه المساهمات وغيرها. وكان هذا الجانب مثار تساؤل وجهه إلى الأستاذ رجاء النقاش فى مقاله " أمل دنقل أمير شعراء الرفض " بالمصور (11 أغسطس 1988) على النحو التالي:

" على ان الكتاب على قيمته وجديته يثير فى الذهن عدداً من النقاط السلبية. فقد كان بحاجة إلى فصلين كبيرين يتحدثان بوضوح ودقة عن حياة الشاعر وثقافته. فالميسور أمامنا – حتى الأن – من حياة الشاعر ضئيل ولا يكفى للكشف عن الحقيقة، أو رسم صورة دقيقة للشاعر. ورغم ان أمل دنقل كان يعيش فى شوارع القاهرة ونواديها الأدبية ومقاهيها المختلفة. وكان بطبيعته المتمردة والفضولية والمقتحمة يعرف عدداً كبيراً جداً من الناس ويعرف أخبارهم وحقائق حياتهم فإنه هو نفسه كان يخفى بذكاء ودهاء شديدين

كثيرا من الحقائق حول حياته، ونحن لا نعرف مثلا أي شيء عن الفترة التي قضاها في السويس .... لماذا سافر إلى هذه المدينة، وماذا كان يفعل بالضبط هناك، وما البيئة التي ارتبط بها في هذه المدينة؟ .... كذلك فإن فترة إقامته فى الإسكندرية كانت أكثر غموضا. فقد أقام هناك عدة سنوات، انقطع فى معظمها عن كتابة الشعر ..... فكيف كان يعيش فى الإسكندرية؟ وما البيئات التي كان يختلط بها وماذا كان يعمل وماذا كان يقرأ؟

هذه الأمور كلها أشار إليها الناقد إشارات عابرة ولم يبذل ما كان مفروضاً عليه أن يبذله من الجهد فى سبيل الكشف عما فيها من غموض، ولقد كان كشف الغموض عن حياة امل دنقل وخاصة فى المرحلتين الأولى والوسطى منها، أمراً ضرورياً لفهم هذا الشاعر ورسم صورة واضحة ودقيقة له. وانا في ظني ان الكشف عن غموض هذا الجانب فى حياة أمل دنقل ليس بالأمر الميسور أو السهل، لأن الشاعر لم يكن يحب أن يتحدث عن ذلك حتى إلى أقرب الناس بالنسبة له. ومع ذلك فلن تكون لدينا صورة حقيقية لهذا الشاعر الكبير بدون الكشف عن هذه الفترة الغامضة من حياته ".

هذه إحدى السلبيات التي سجلها الأستاذ رجاء النقاش فى نقده. وأنا أتفق معه على أهمية استكمال هذا الجانب، ولكن كيف السبيل؟ وقد أشار هو إلى السبب الأساسي الذى يجعل هذا الأمر صعباً عسير المنال بقوله إن الشاعر أمل دنقل كان يخفى قراءاته وأسرار فنه عن أقرب الناس إليه .... كذلك لم يكتب لنا شيئاً عن حياته أو تعليمه أو ثقافته كما فعل صلاح عبدالصبور والبياتي والسياب مثلا. كذلك لم ينشر أحد من أصدقائه أو القريبين منه ما يفيد فى كشف غموض هذه المراحل الهامة من حياته، فماذا يفعل الناقد فى هذه الحالة غير ان يعتمد على ما هو متاح وعلى شعر الشاعر وما تيسر من حوارات معه لكى يستضئ بها فى دراسته. لقد كان الشعر هو طريقي إلى أمل دنقل ولم تكن لي به أى علاقة شخصية. فأنا لم ألتق به سوى مرتين فى أوائل السبعينات فى مجلة الكاتب وعند ظهور كتابي سألني عن ذلك أحد الأدباء المعروفين قائلاً: "ربما لو عرفت امل كما عرفناه لما تحمست للكتابة عنه".

كان طبيعياً جداً فى ظل هذه الظروف أن أعتمد على الشعر بالدرجة الأولى ليكون دليلي إلى الشاعر. فالشعر أولاً وبعد ذلك تأتى اهمية الشاعر وحياته وثقافته. لأن الشاعر يعرف بشعره، فما أكثر الذين يقولون الشعر وتحتفى بهم وسائل الإعلام وليسوا بشعراء. وقد ساعدني هذا الموقف على أن احافظ على قدر كبير من الحياد والموضوعية في دراستي له وتقييم دوره.

لقد عمدت إلى دراسة المؤثرات التراثية والثقافية فى شعر أمل دنقل وفى عقلي وذاكرتي إحدى مقولات ت . س . اليوت فى مقاله " التقاليد والموهبة الفردية " التي تقول ان شكسبير خرج من قراءته "لبلوتارك" بشيء هام جداً وجوهري لم يكتشفه أحد ممن قرأوا معظم كتب المتحف البريطاني. هذا القول يبين أن الموهبة الفردية لها الدور الحاسم فى عملية الإبداع الشعرى والفني عموماً. فليس المهم أن يقول كاتب أو شاعر إنه قرأ لهذا أو ذاك بل المهم ان نجد أنه قد استفاد بهذه القراءة، ثم نقرر: هل كان ذلك له أم

عليه وهذا ما طبقته على امل دنقل دون إغفال لأى معلومة مفيدة مما وقع تحت يدى وأطلعت عليه، وهذا الكلام يمهد السبيل لتوضيح نقطة أخرى خاصة بدراسة أمل للقرآن وأثر هذه القراءة فى شعره، وهو ما أخذه على الأستاذ رجاء النقاش حين قال:

" أما النقطة الثالثة التي أحب أن اثيرها هنا فهي تركيز الناقد " نسيم مجلى "على تأثير" العهد القديم والإنجيل" على شعر أمل دنقل. ولا شك ان ما وصل إليه الناقد، فى هذا الميدان هو أمر صحيح ومفيد ودقيق، ولكنه مع ذلك – يبدو شديد النقص، فامل دنقل - كما يتضح من شعره – قد أهتم اهتماما واسعاً بقراءة الكتب الدينية عموماً، ولم يقتصر على القراءة الدقيقة للعهد القديم والانجيل، بل قرأ القرآن. وربما تكشف معلومات أخرى فى المستقبل، أنه حفظ القرآن. وقد ترك القرآن أثره الواضح على الأداء الفني لأمل دنقل في صوره وإيقاعاته وفى القصص الدينية الكثيرة التي استخدمها في قصائده المختلفة .... فلماذا تجاهل الناقد الأثر القرآني على شعر أمل دنقل، واكتفى بالاهتمام الواسع بأثر الانجيل والعهد القديم على الشاعر؟

والأستاذ رجاء النقاش على حق فى طرح هذا السؤال، لأن أمل تأثر فعلاً بالقرآن فى شعره وقد أشرت أنا لهذا التأثير فى عدة أماكن وبالأخص فى الفصل الأخير الخاص بـ " القيم التراثية فى شعره " (ص 260) حين تناولت الجزء الثاني من قصيدة " صلاة":

تفردت وحدك باليسر إن اليمين لفي الخســــــــر
أما اليسار ففي العسر إلا الذين يماشـــــــــــون
إلا الذين يعيشـــــون يحشون بالصحف المشتراه
العيون فيعشـــــون إلا الذين يـوشـــــــــون
ياقات قمصانهم برباط السكوت

وهذا يؤكد انه لم يكن هناك تجاهل أبداً. ولكن ما حدث فعلاً هو أننى أشرت إلى كل المؤثرات والرموز التراثية فى شعر أمل دنقل ، ولكنى أعترف أن هناك قصصاً ظننتها من التوراة مثل قصة " يوسف محبوب زليخا " فى قصيدة " العشاء الأخير " وحكاية الطوفان فى قصيدة " لقاء خاص مع ابن نوح " وقد وردت فى التوراة فعلاً لكن أمل أضاف إليها جوانب أخرى وردت فى القرآن وهذا ما عرفته من قراءة كتاب الدكتور جابر قميحة " التراث الإنساني فى شعر أمل دنقل " حيث قدم المؤلف رصداً دقيقاً لمصادره التراثية وتناول فيه طريقة تناوله للتراث ، واحتج على صياغة أمل للعبارات والرموز القرآنية بطريقة بدت للدكتور قميحة مخالفة للمفهوم القرآني دون مبرر لكنه أثبت فيه تلاحم الأسلوبين الإنجيلي والقرآني فى بعض القصائد.

وقد انتقد الدكتور سيد البحراوي منهج الدكتور قميحة بقوله: -

" وكان أمينا فى رصده ما جاء فى شعر أمل وحواراته، ولكن مع الأسف لم يستطع أن يقدم تحليلاً- ولو جزئياً – لمنهج الشاعر فى التعامل مع التراث فيما عدا انتقادات ايدولوجية أثبت فيها رفضه لتمرد أمل على الصيغ التي قدم بها القرآن، الشيطان وابن نوح .... الخ، دون ان يحاول استيعاب ما إذا كان ذلك التمرد ممتداً وعميقاً أم هو مجرد مخالفة ظاهرية، ولماذا فعل الشاعر ذلك فى ضوء بناء القصيدة ... الخ " (البحث عن لؤلؤة المستحيل ص 154).

وهذا الخلاف الواضح بين الناقدين فى التفسير انما يؤكد إشكالية التعامل مع الرموز الدينية فى القصيدة الحديثة. وهذا الاختلاف فى التفسير ليس وقفا علينا كمصرين أو كعرب، بل أنه قائم فى الغرب أيضاً، وهو مرتبط عادة بالموقف الأيديولوجي للمتحاورين. فقد أوردت فى الفصل الأخير من كتابي هذا القصيدة التي كتبها أحد الشيوعيين قبل الثورة الروسية سنة 1917 ليسخر فيها من القيصر وحكومته على النحو التالي:

أبانا الذى في بطرسبورج
اللعنة على اسمك
ليهوى ملكوتك
ولا تتم مشيئتك حتى فى الجحيم
خبزنا كفافنا الذى سرقته منا
أعطنا اليوم وسدد لنا ديونك حتى الآن
ولا تدخلنا فى تجربة لكن نجنا من الشرير
من بوليس بالسيف، وضع حدا لحكومته اللعينة
ولكن لأنك ضعيف ومنسحق فى الروح
وفى القوة والسلطان .... فليسقط إلى الأبد اسمك
آمين.

(كتاب" كارل ماركس " ترجمة: عزت زكى – لم يذكر اسم الناشر ولا تاريخ النشر).

ليس في القصيدة أي مساس بالمشاعر الدينية طبعاً لأن السخرية واللعنة موجهه بشكل واضح جداً إلى الساكن في بطرسبورج أي القيصر ثم رئيس حكومته المسمى (بالسيف) الذى كان يطارد الثوار. ورغم هذا الوضوح فإن الكاتب الغربي (ريتشارد رمبراند) مؤلف الكتاب، يقدم هذه القصيدة على أنها صلاة تجديفية ضد الله وهذا يردنا إلى نقطة البداية في مناقشة هذا الإتجاه الخاص باستلهام عناصر التراث الثقافي والديني في الشعر ولماذا يلجأ إليه الشاعر الحديث.

إن القصيدة الحديثة كتبت أساساً للتعبير عن تجربة إنسانية يعيشها الإنسان في هذا العصر، وتزداد خصوبة هذه التجربة وقوتها بمدى صدقها فى التعبير عن واقع الإنسان

فى وطن معين أو بيئة معينة، وذلك لأنها تجربة خاصة وليست تعبيراً عن كليات أو مفهومات فلسفية أو دينية مجردة. وهذا ما يضفى عليها صفة الحداثة، وفى شعر أمل دنقل – هذا الشاعر القومى الثائر تكتسب هذه الطريقة بعداً جديداً فتصبح القصيدة عنده سلاحاً نضالياً لتدمير كل المفاهيم الخاطئة التي تكبل العقل العربي ..... وتعجزه عن استيعاب المفهوم الحقيقي للحرية بمضمونها الاجتماعى والسياسي الذى لا يقبل الفصل أو التجزئة وإلا لأنقلب الحال إلى سيادة طبقة طاغية مستغلة للمكافحين والمنتجين الحقيقيين على كل صعيد.

إن الشاعر حين يستعين بالرموز التراثية أو الدينية لا يقصد في أغلب الأحيان إلى إحياء قيمة من قيم الماضي أو شرح نص ديني أو موقف ديني أساساً وإنما يقصد إلى إضاءة جانب من تجربة إنسانية عصرية ويصبح من الضروري النظر لهذا العنصر الديني في إطار السياق العام للقصيدة كجزء من كل: هو القصيدة.

فإذا ذكر الشيطان فى قصيدة " كلمات اسبارتاكوس" مثلاً، فإنما ليبرز زاوية واحدة فقط هي تمرد الإنسان المعاصر على السلطة المهيمنة التي تسحقه بطغيانها، وليس أبداً تمجيداً لعصيان الشيطان لله سبحانه. فهذه السلطات حينما تقهر الإنسان وتقتله فهي تؤله نفسها وتدعى ما لا يحق لها من سلطان.

24 - كيفية النظر لعناصر التراث في القصيدة الحديثة

نشرت مقالاً فى مجلة "أدب ونقد – يوليو 1985" بمناسبة الذكرى الثانية لوفاة الشاعر أمل دنقل تعرضت فيها لقصيدة "كلمات اسبارتاكوس الأخيرة" وفوجئت في العدد التالي من المجلة بمقال يهاجمني فيه كاتبه بإسلوب ملئ بمشاعر التعصب والإستعلاء فرددت عليه رداً مستفيضاً حرصت فيه على الدقة والموضوعية والأدب لأجعل منه مثلاً فى كيفية التحاور بين الدارسين والنقاد، ومحاولة لكيفية النظرة الصحيحة لعناصر التراث فى القصيدة الحديثة. ابتدأته بعتاب رقيق ثم أخذت في تفنيد ملاحظاته العديدة واكتفى بذكر مثل واحد منها هنا فقلت

أما عن اعتراضه على تفسيري لقول أمل دنقل:

المجد للشيطان معبود الرياح

من قال: لا، فى وجه من قالوا: نعم .....(1)

حين يجتزئ الدكتور عبارة " نموذج العصيان القاطع فى وجه جمهرة الخائفين " ثم يقفز إلى أن المقصود بجمهرة الخائفين هم الملائكة ثم ينبري للدفاع عن الملائكة وعن طاعتهم لله ودوافعها مع أننى لم أذكر الملائكة من قريب أو بعيد لأن الإهتمام كله مركز على الشيطان كمعادل موضوعي لتمرد بعض الأفراد ضد السلطة المطلقة أو ضد الطغيان وهى قيمة أدبية أو تقليد أدبى استخدمه الشاعر الألماني جوتة في قصته "دكتور فوستس" واستعمله الشاعر الإنجليزي مارلو فى مسرحية بنفس الاسم واستخدمه الشاعر الإنجليزي ميلتون في ملحمته "الفردوس المفقود" الذى قام بترجمتها أخيراً الدكتور محمد عناني ... ونفس الشيء فعله العقاد في قصيدة كبرى باسم "الشيطان" يعدها بعض النقاد أفضل قصائده.

فلماذا كل هذا الغمز واللمز والتهديد بإثارة الجدل العقيدي والاتهام – وقول الدكتور مصطفى رجب " إن هذه اللغة من الكاتب من شأنها أن تثير جدلا على "المستوى العقيدي لدى المتذوقين والقراء". فليطمئن الدكتور أن الملحدين لا يعترفون بوجود الشيطان أصلاً كجزء من انكارهم لما وراء الطبيعة أى انكارهم لعالم الغيب. والمؤمنون فقط هم الذين يذكرون الشيطان ويذكرون تمرده أو رفضه كرمز للشموخ أو العصيان كما يفعل بعض الشعراء. وبناء على ما تقدم لا يكون فيما كتبته سبباً للإثارة أو الإصطياد أو التشكيك. وإدعاء الإيمان الذى هو "ما وقر فى القلب و صدقه العمل" والمزايدة عليه ثم تصيد هذه الأخطاء ليس من مهنة النقاد أبداً.

أما قولك على مستوى الفهم الأدبي الراقي المستند إلى رؤية واقعية تنظر إلى ما وراء النص الشعرى لتفهم ما يريد الشاعر ان يقول وهذا ما فعلته أنا في دراستي ولكنك أنكرته على أساس أنه تفلسف – مع إن الفلسفة والتفلسف أمور من طبيعة النقد الأدبي ويكفى دليلاً على ذلك ان أول من وضع أصول النقد الأدبي هو الفيلسوف "أرسطو"

بكتابه "فن الشعر " وما زال فلاسفة علم الجمال والأخلاق والإجتماع يساهمون في قضايا الفكر الأدبي ومناهج النقد. رفضت كل هذا ورفضت "أن تنظر إلى ما وراء النص الشعرى" حتى ترى الوحدة من خلال التنوع أو ترى التوافق فى الرؤية خلف التناقض الظاهري واكتفيت يا دكتور بطرح الألغاز على أنها ملاحظات وتهربت تماماً من تقديم وجهة نظر واضحة صريحة حتى أننى وكل من قرأ كلامك لا يعرف ماذا ترفض وماذا تقبل فأنت ترفض أن يكون أمل داعية للتمرد وترفض أن يكون داعية للاستكانة والخنوع. وترفض قولي بأن " الشاعر يستخدم النقيضين ساخراً سخرية مريرة بواقع الإنسان فى مجتمعنا، وبالبدائل المطروحة أمامه. وهو يستخدم هذا الأسلوب الغريب لكى يستوقف قارئه و يستفز مشاعره وعقله حتى يفكر فى مأساة حياته". (1)

فبناء القصيدة يقوم على المفارقة المركبة التي سماها الدكتور لويس عوض "بلاغة الاضداد" حيث يقول فى مقاله " شعراء الرفض " (الاهرام 1972/7/7) " وهكذا ينتقل أمل دنقل من النقيض إلى النقيض، فالقائل: المجد للشيطان فى أول المنولوج ينتهى بقوله إن كل دمعة سدى. ولكن ما هكذا ينبغي أن يفهم شعر الشعراء، فهناك نوع من التهكم الخفي الذى يقصد إليه الشاعر سواء فى تمجيده لشموخ أعظم العصاة أو في تبشيره بضرورة الإنحناء والإنهزامية بغير قيد أو شرط وهذا التهكم الخفي مجسد في المقابلة يقيمها الشاعر بين الرفض الأعظم و القبول الأعظم، وإلا كانت دعوته فى آن واحد عبادة للشيطان و لعنة على البشر"

" هذه طريقة شعراء الرفض إذن في التعبير عن إحتجاجهم على الواقع المرفوض. هم يؤلبون الطغاة على الطغيان بتمجيد الطغيان .... وهم يؤلبون العبيد على العبودية بتمجيد العبودية وهذه بلاغة الاضداد"

وقد تناول الرائد الكبير صلاح عبد الصبور فكرة استشراء الطغيان وسيادته فى رائعته "مسافر الليل" حين يتحول عامل التذاكر إلى طاغية يحكم على الراكب بالموت ثم يطلب إلى الراكب أن يكون كبش فداء حتى يهدأ الناس ويستتب الأمن ولنقرأ معاً هذه السطور حتى يستقيم لنا فهم هذه الفكرة:

عامل التذاكر: لا داعى للشكر

هل تدرى ما معنى فقد بطاقتك الشخصية

معناها أنك لست بموجود

فالسارق قد قتلك

إذ أفقدك تشخصك المتعين

الراكب: سامح جهلي يا مولاى

ما معنى هذه الكلمة؟

عامل التذاكر: أي أفقدك وجودك
أفهمت
ولهذا حين أقول:
أنت قتلت الله
لا أعنى طبعاً أنك – استغفره – قد ....
لا لكنى أعنى: أنت سرقت بطاقته
وبهذا يتساوى الأمران.

الراكب: لكنى لم أفعل شيئاً من هذا قط

عامل التذاكر: هذا أمر آخر
نتداول فيه فيما بعد
لكن الموضوع .....
إن الله تخلى عن هذا الوادي
لا يعطينا شيئاً قط
لا ينظر فى هذه الناحية كما كان
قلنا: ماذا حدث
قالوا: أحدهم قد قتل الله هنا

ولهذا فهو يخاصمنا
أعنى – طبعاً – أحدهم قد سرق بطاقته
الشخصية
وانتحل وجوده

لا يحتاج هذا الحوار البليغ إلى مزيد من الشرح. فقد أصبح واضحاً الآن أن الطاغية يدعى فى أغلب الأحيان أنه يحكم بتفويض من الله وبهذا ينتحل صفة الربوبية. وضد هذا الطاغية المتأله يكون التمرد سواء كان التمرد ضد قيصر روما مثل

اسبارتاكوس أو قيصر روسيا كقصيدة" ابانا الذى في بطرسبورج" وليس في هذه القصائد خروج عن جوهر الإيمان الصحيح بالله باعتباره أساس العدل والحرية فى كل مكان وزمان، لكنه خروج عن مفاهيم دينية ومسلمات تحتاج إلى تحليل وغربلة حتى تستقيم مع منطق العقل السليم الذى هو مناط التكليف الأساسي في الشريعة الإلهية. فالخلاف إذن بين مفاهيم ومواقف أيديولوجية بشرية وليس مع الدين أو الإيمان الصحيح الذى يستقر فى القلب ويصدقه العمل. وفى هذا السياق يمكن أن ننظر لهذه القصائد التي تستلهم النصوص أو الرموز الدينية.

وكما تقول **عبلة الرويني**

" إن قصيدة (مقابلة خاصة مع ابن نوح) لا تشكل خروجاً فقط عن الموروث الديني السائد بل تشكل تعديلا وتثويراً لطبيعته حيث يطل ابن نوح فيها متمرداً عصرياً، خارجاً من فكرة العقوق السلفي إلى الثورة".

خرج أمل أيضاً على ثقافة الطبقات السائدة والأطر الشرعية الجامدة حين تكتسب رموزها تجسيداً سلطوياً بل عبثياً باطلا يهبط دائما إلى نتائج خاضعة .....

أبانا الذى فى المباحث
نحن رعاياك .....باق
لك الجبروت .... وباق لنا الملكوت
وباق لمن تحرس الرهبوت

(كتاب " الجنوبي" ص81)

إن الفهم الصحيح لهذا الموضوع يفتح الطريق لدراسة العناصر الدينية فى شعر أمل دنقل دراسة نقدية بعيدة عن تشنج المتعصبين وحساسية السلفيين حتى يتسنى لنا رسم صورة حقيقية لهذا الشاعر العربي الفذ بالتعرف على مكونات ثقافته ومعتقداته الأساسية التي ساهمت كمصادر الإلهام الشعرى – ولا خوف من النتائج فمن الواضح وكما تقول زوجته عبلة الرويني: إنه قلق لا يحمل يقيناً ..... تاريخ معتقداته حافل بالعصيان، لكنه غير ملحد. (ص 6).

والواقع أن السيدة عبلة الرويني تضئ لنا جانباً هاماً من ثقافة أمل وقراءاته المبكرة حين تذكر أنه فى الخامسة عشر من عمره .... اشترى من إحدى مكتبات مدينة قنا كتابين
(الفتوحات المكية) و(ألف ليلة وليلة).

وفى تلك السنوات قرأ العديد من كتب التراث والملاحم والسير الشعبية، ثم أعاد قراءتها بعد ذلك مرات عديدة، يحركه حس تاريخي لإكتشاف الطبقات المتراكمة وراء الحكايات المعلومات.

ففي قراءته لكتاب ألف ليلة وليلة – كما ذكر يوماً – كان يبحث عن الجزء المصري فيها والآخر البغدادي والآخر الذى يرجع إلى ممالك تيمور لنك كما وجد رؤية شعبية لها ... إن أغلب أبطال ألف ليلة وليلة تجاراً حيث شهدت هذه الفترة إزدهاراً لطبقة التجار الذين امتلكوا الحياة الاقتصادية بينما امتلك المماليك مقاليد السلطة.

كانت القراءة بالنسبة إليه بحثا واكتشافا. يقرأ عن الإله (هبل) فيبحث عن امتداداته في الحضارات الأخرى ويعقد مقارنة ودراسة مكتوبة بينه وبين الإله (بيل) عند الكنعانيين، والإله (بعل) عند الآراميين. ثم يقدم دراسة تاريخية عن قبيلة (قريش عبر التاريخ) ويقوم بنشرها ثم يقوم بإعداد دراسة طويلة عن أسباب نزول القرآن من منظور تاريخي. رفضت الاهرام نشرها.

ظل اهتمامه بالتراث وبأيام العرب والتاريخ الإسلامي يرجع بالإساس إلى محاولته الدائمة للبحث عن هوية – كما أكد دائماً – انطلاقاً من حس عربي وإيمان بأن مصر عربية الروح، عربية الانتماء، وتختم عبلة الرويني هذه الفقرة قائلة:

" ويظل برأيي كتاب القرآن الكريم والكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) هم أهم ثلاثة كتب فى ثقافته، تلقى الكثير من الضوء على ابداعه ولغته "

(كتاب "الجنوبي" ص 93)

كان أمل دنقل ينظر إلى هذه الكتب في نطاق التراث العربي، بل يذهب في رأيه إلى اعتبار التوراة والتراث السامي كله تراثاً عربياً. كذلك يؤكد الدكتور سيد البحراوي على حرص أمل على عروبة التراث وليس اسلاميته.

لكن هذا لا يمنع من فرز عناصر هذا التراث، لتحديد دور هذه المؤثرات فى شعره. وقد إتبع الدكتور سيد البحراوي منهجاً صحيحاً فى الفصل بين العناصر التوراتية والعناصر القرآنية فى دراسته لقصيدة (مقابلة خاصة مع ابن نوح) كما بين دور كل عنصر ودلالته فى تشكيل هذه القصيدة. ومن الضروري تطبيق هذا المنهج بدقة لفرز الرموز والصور المستلهمة من الكتب الثلاثة، وتحديد نصيب كل كتاب فى هذه العملية بدقة.

لذلك فإنني ما زلت أسعى للحصول على هذه المعلومات من كل المصادر الممكنة، والتي يحتمل أن تفيدنا فى تغطية هذا النقص الخاص بحياة الشاعر أمل دنقل، لذلك استبشرت خيراً حين أخبرني الأستاذ رجاء النقاش بأنه تلقى خطاباً من الأستاذ أنس دنقل، شقيق الشاعر الأصغر، يقول فيه أن لديه الكثير من المعلومات ومن رسائل أمل وهو مستعد لإطلاعنا عليها.

ونصحني الأستاذ رجاء بالاتصال به ليرسل لي صورة منها. ورحبت بالفكرة وكتبت له خطابا وانتظرت حوالى تسعة أشهر ثم اتصل بي تليفونيا وعرفني أنه موجود فى القاهرة و فى المساء التقينا فى الأتيليه. اهديته نسخة من الكتاب، و عرفت أنه لم يقرأه و إنما رآه مع واحد من الناس. وواضح أنه لم يهتم بما كتب عن أخيه وعن شعره لأنه يعمل محاسباً لا يهتم إلا بالأرقام. وهذا ما عرفته من حديثه ً معي. إنه يشكو من شح الناشرين، ثم سألني عما أريد منه. فقلت أن تطلعني على صور من رسائل أمل التي تفيد عن تعريفنا بحياته فى السويس والإسكندرية وعن أصدقائه من الشعراء أومن غير الشعراء فى هذه المدن وعن قراءاته التي ساهمت في تكوين شخصيته وأفكاره وساهمت فى تطوير شعره.

و ذكرته بما جاء فى خطابه للأستاذ رجاء النقاش فوعدني بأن يرسل هذه الأوراق قريباً كذلك قال إنه جمع عددا من الأحاديث و قدمها للأستاذ مصطفى نبيل فى الهلال لكى تنشر فى كتابً لكنه عاد وسحبها حين عرف أن الدار لن تدفع له أكثر من مائتي جنيه مكافأة وهو يفكر فى نشره على حسابه، وقد شجعته على نشر هذا بأي طريقة حتى يتيح لكل الدارسين لشعر امل فرصة الإطلاع عليه، وطمأنته بأن الكتب لا تدر عائدا يذكر لمعظم كتاب الأدب فأنا مثلاً لم اتقاض عن كتاب أمل سوى (94) أربعاً و تسعين جنيهاً وأربعين قرشاً رغم ما بذلته من جهد ووقت لمدة تزيد عن سنتين . المهم أن الأستاذ أنس دنقل لم يطلب منى ثمناً ووعد بـأن يرسل لي ما طلبت ولكنه لم يبر بوعده حتى الآن بعد مرور سنوات طويلة على هذا اللقاء. وعلينا نتيجة لهذا الموقف أن ننتظر سنوات أخرى حتى يتم نشر هذه الأوراق وإخراجها بأي صورة.

وكان أول من استجاب لدعوتي هو الدكتور وصفى صادق الذى أرسل إلى "موجز لحياة أمل دنقل فى الإسكندرية " قال فيه "

* فى عام 1960، استلم الشاعر أمل دنقل وظيفته الصغيرة التي تقدم إليها في جمرك الإسكندرية، تاركا مدينة القاهرة، وأبناء بلدته: الشاعر عبد الرحمن الأبنودي، والقاص المبدع يحيى الطاهر عبدالله، وكان يناهز العشرين عاماً (من مواليد 1940) بالتحديد.

* ظل طوال فترة عمله بالإسكندرية يقيم بصفة دائمة في اللوكاندات المتواضعة، وبالتحديد اللوكاندة العثمانية الكائنة بميدان المنشية – فوق مقهى العثمانية – وأحيانا لوكاندة شارع فرنسا.

* كانت الوظيفة بالنسبة له عبودية ضرورية مؤقتة، من أجل رغيف العيش، فقد عاش على الكفاف بعدة جنيهات شهريا، يعانى الحرمان، وشظف العيش والحاجة، كثير التدخين، واحيانا يشرب الخمر.

* وكان يسهر كل ليلة فى مقهى النيل الكائن حتى الآن بميدان المنشية، وقد كان المقهى وقتئذ ملتقى الشعراء والأدباء على اختلاف مشاربهم، وكان يصغرهم فى السن وهؤلاء كانوا:

(د. حسن ظاظا ، والأساتذة: عبد الرحمن الأنصاري، عبد العليم القباني، محمود العتريس، أحمد السمرة، فوزى الميلادي، وعبد القادر العوا، والسقا الشناوي)، والأخيران قد توفيا منذ فترة.

* في عام 1962 انضم إلى هذه الكوكبة طالبان بكلية الصيدلة بالإسكندرية هما: وصفى صادق مينا ومصطفى سليم قويدر، والسيد الشرنوبى الطالب بكلية الآداب (والذى توفى عقب تخرجه بسنوات فى ريعان شبابه).

وكان الشاعر أمل دنقل عضوا فى جماعة نشر الثقافة – فى أيامها الأخيرة - وكان يلقى الشعر مع غيره من شعراء الإسكندرية فى عدة أماكن: مثل نادى موظفي الحكومة وفى كلية الآداب ، وفى دار الجامعة الشعبية التي تحولت إلى الثقافة الجماهرية وكان يتمتع بحضور شخصي ويحوز إعجاب المثقفين وقتئذ.

طوال فترة إقامة الشاعر أمل دنقل فى الإسكندرية لم يكتب سوى بعض القصائد القليلة من الشعر العمودي والشعر الحديث. فمن قصائده العمودية: قصيدة " طفلتها " التي نال عنها جائزة المجلس الأعلى للفنون والآداب، وقصيدة " الأفعى " التي لم تنشر مطلقا في داوينه المتفرقة أو أعماله الكاملة ً ومطلعها: امشى ولا امشى قيودي خفية وقصيدة "رسالة من الشمال " وقصيدة " الملهى الصغير ".

أما قصائد الشعر الحديث التي كتبها فهي: قصيدة " حكاية المدينة الفضية " وقصيدة " ماريا " وقصيدة " كريسماس" التي لم تنشر أيضاً فى أعماله وقصيدة "المطر.

كان متأثراُ فى قصائده العمودية خاصة قصيدة " الأفعى " بالشاعر" محمود حسن إسماعيل " كما كان تأثره واضحاً – باعترافه – بالشاعر أحمد عبد المعطى حجازي في مجال الشعر الحديث.

* ترك مدينة الإسكندرية ورحل إلى مدينة السويس ليعمل فى جمرك السويس، ليعود إلى القاهرة عام 1966.

وفى ختام رسالته وعد الدكتور وصفى أنه سوف يرسل نص قصيدة "الأفعى" المفقودة والمشار إليها سالفاً ثم أخبرني فيما بعد أنه لم يعثر عليها فى أوراقه، لكنه أرسل إلى قصيدة " كريسماس " التي ننشرها هنا:

قصيدة: كريسماس

اثنان ... لم يحتفلا بميلاد المسيح:
أنا والمسيح
غرفتنا لم تنطفئ أنوارها عند انتصاف الليل
لأنها لا تعرف الأنوار!
غرفتنا لا تعرف الليل من النهار
عين المسيح فى دجاها قمر حزين
فى الصمت ينزف الدموع
يسوعنا في حاجة إلى يسوع
يمسح عن جبينه كآبة الأحزان
لأنه فى عيده السجين
مد يديه، لم تصافحا سوى القضبان، والقضبان!

النور ميت بلا شواهد الذكرى، بلا ضريح
أين المسيح؟
أي؟ يا من تجرعون باسمه الأنخاب
يا أيها الذين يرقصون فى ذكرى القتيل
استمتعوا بالرقص والأنغام.. والشراب
فالناس يرقصون دونما أسباب
لكن فى صفوقهم من يقرع الطبول
لحناً بدائياً!

الناس يرقصون في مدينتي
لأن غيرهم يصفقون!
ومن يصفقون قد لا يعرفون ...
من أجل من يصفقون!
لا تسألوا أين يسوع وابتسامه الوديع
فمن رثاه ميتا .... لم يرثه حيا

يموت فى زنزانة بلا عيون
وضجة الميدان تنتهى إلى آذانه وتضمحل ...
صمتاً خرافياً

انا انتظرت أن يموت الموت، ان يموت
أسكت في لساني الحروف حتى يورق السكوت!
هل تتكون الحروف فى فم ما زال يمضغ اللجام؟
أنا تركت طفلتي تجوس في شارع المدينة
تسألكم أن تبتسموا لها، مجرد إبتسام
لكن ...رددتم دونها الأبواب

لو كنت ريحاً.. لأختنقتم حين لا تهب!
لو كنت نوحا فوق لجة الطوفان
طردتكم من السفينة!
لو كنت نيرون لطهرت قلوبكم ... على ألسنة اللهب!

لكنى أحبكم
أعرف أنكم تقاتلون من يحبكم
لكنني ... أحمل نعش الحب فوق كاهلي الصغير
أمشى به .... لعل هذا الجسد الهامد يوماً يسير!
باسم الذين يولدون ميتين
ومن يضاحكون وجه الشمس فى الحقول
ومن يقاتلون دون سيف
ومن يضاجعون هذا الخوف،
ينجبون منه كل صيف!
اسألكم أن تفتحوا الأبواب للمسيح
لكى تباركوا زمانكم به، تعمدوا أطفالكم فى دمعه المنهل

أخشى إذا مر الربيع
وانفض رقصكم ... وخيم الصقيع
يكون قد مات المسيح! **(أمل دنقل 1963)**

اتصلت بعد ذلك مباشرة بالدكتور نصار عبد الله، الشاعر المعروف وأستاذ الفلسفة بكلية آداب سوهاج، وكان الدكتور نصار عبد الله، رفيقاً لأمل مدة من الزمن وقد أكد فى شهادته على أن أمل دنقل كان معجباً جداً بالشاعر العراقي سعدى يوسف في ديوانه الأول وكذلك بالشاعر السوري محمد الماغوط. كذلك دلني الدكتور نصار على أن لأمل دنقل عدداً من قصائد الهجاء الهامة كتبها فى هجاء عدد من اصدقائه الشعراء واسمعني بالتليفون عدداً من هذه القصائد، ثم أخبرني أن امل قد كتب قصيدة هامة يهجو فيها الشاعر الراحل سعد درويش ورد عليه الأستاذ سعد بقصيدة أشد عنفاً منها كقصيدة معارضة وأن هذه القصائد محفوظة فى ملف كان يحتفظ به الأستاذ سعد درويش ونصحني بالاتصال بالشاعر عبد العليم عيســـى الذى وعدني بتقديم ما عنده والإتصال بالأستاذ عبده درويش ليسهل لي مهمة الإطلاع على هذه القصائد.

وحين إتصلت بالأستاذ عبده درويش بمنزله بمدينة منوف أعرب عن تقديره لهذا الإهتمام وأكد أنه واجب يفرضه البحث الأدبي وأنه لا يمكنه التقاعس عن أداء هذا الواجب وسوف يأتي إلى القاهرة ويدعوني للقائه فى شقة شقيقه الراحل للإطلاع على هذه الأوراق وكررت الإتصال به لكنه اعتذر فى النهاية. وقد أكد لي الشاعران نصار عبد الله وبدر توفيق تميز قصيدة امل دنقل بالبناء المحكم وبدقة التصوير وشدة السخرية وعلى العكس من قصيدة سعد درويش الحافلة بالألفاظ الفاحشة والبذيئة، فإن قصيدة أمل لا تتضمن إلا على عدة أبيات قليلـــــة خارجة مثل هذا البيت"
كلما قام نقب الأرض بحثا عل (قرشاً) من (جيبه) فر سهوا.
ما بين الأقواس كلمات بديلة وضعتها تفاديا للحرج من الكلمات الأصلية التي تصور وسوسة سعد درويش بصورة جارحة.

ومن الشهادات التي لا يمكن تجاهلها فى سياق البحث عن حياة أمل دنقل وثقافته وعلاقته بالآخرين من الشعراء والنقاد هذه الشهادة التي سجلها الشاعر أحمد عنتر فى ذكرياته، ونشرها فى مجلة " الأقلام " العراقية، حيث يقول أنه تعرف على أمل فى ندوة برابطة الأدب الحديث فى نوفمبر 1969، و خرج وراء أمل دنقل وقدم نفســـــه له انه شاعر مجند، وفى الحال تذكر أمل انه قرأ لهذا الجندي قصيدة نشرت قبل بضعة أسابيع بجريدة الجمهورية عن صبى استشهد فى القناة وهى قصيدة جيدة. ومن هذه اللحظة بدأت العلاقة بين أمل دنقل وهذا الشاعر الذى يعيش في جبهة القتال بالسويس أداءا لواجبه

الوطني ثم يأتي في أجازاته إلى القاهرة ليلقى أشعاره فى المنتديات الأدبية ويتعرف على غيره من الشعراء.

وقد توثقت العلاقة بينهما فيما يبدو ومما يذكره أحمد عنتر أنهما أقاما فى غرفة واحدة على أحد السطوح بحي بولاق الشعبي، وهذا ما يجعلنا نصغى لأحمد عنتر باهتمام وفى الذكريات يقرر أحمد عنتر" ان امل ابتهج حين حدثه عن الأغاني والعقد الفريد وزهر الآداب وبدأنا نتبارى فى استظهار محفوظاتنا من أبى فراس والمتنبي والشريف الرضى واكتشفت عدم رضائه عن شوقي .... وتحدث " أمل " عن اعجابه بأبي نواس فاقررته إياه .... وقادني إلى حب عمر أبى ريشة وتقاسمنا الإعجاب بشاعرية نزار قباني والتقينا عند حجازي والفيتورى واختلفنا حول عبد الصبور والسياب"

وعن علاقة أمل دنقل بالنقاد يقول أحمد عنتر: لم يكن أمل – رحمه الله - حريصاً على استمطار بركات النقاد المقدسة خاصة الأكاديميين منهم فرأيه فيهم كان يتوزع بين المشاكسة و المداعبة واطلاق التشنيعات المضحكة لم يستثن من هؤلاء إلا ثلاثة: الدكتور عز الدين اسماعيل لأن منهجه النفسي في النقد وسعة صدره اتسع لمشاكسات أمل ونزقه فكانت علاقتهما طيبة و الدكتور جابر عصفور الذى توثقت علاقته به فيما اعلم – فى تاريخ متأخر عن فترة الصعلكة الأولى أي بعد عام 1975 ، و الذى شاءت الأقدار ان يعايش فترة حرجة مصيرية من حياة امل إلى أن لفظ الشاعر أنفاسه بين يديه. والدكتور على عشري زايد الذى أعجب بأمل وكتب عنه بحب ووعى فى كتابه المهم " استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر" قبل ان يتعرف عليه أمل، عن طريقي بكلية دار العلوم وعلى كثرة ما قيل أو كتب حول " البكاء بين يدى زرقاء اليمامة " كان امل يعتد بمقال الناقد جلال العشري – ولم يكن اكاديميا – الذى نشره فى مجلة الفكر المعاصر المصرية – العدد 53 – يوليو – 1969 بعنوان :

" أزمة الشاعر الجديد: والبكاء بين يدى زرقاء اليمامة ".

وفى حديثه عن احب قصائد هذه المجموعة الشعرية الأولى قال امل: قصيدة بكائية ليلية لأنها عن مازن أبو غزالة وحديث عن أبى موسى الأشعري لجودتها فنياً – وقصيدة " يوميات كهل صغير السن " بها مقطع يخص صديقنا الشاعر نصار عبدالله و قد قصد الشاعر الصعلوك منزله ذات مساء ....

... اطرق باب صديقي في منتصف الليل
تثب القطة من داخل صندوق الفضلات
كل الأبواب العلوية والسفلية تفتح إلا ... بابه
وأنا اطرق ..... اطرق
حتى تصبح قبضتي المحمومة خفاشاً

يتعلق فى بندول
يتدفق من قبضتي المجروحة خيط الدم
يترقرق عذبا ... منسابا .... يتساند فى
المنحنيات
تغتسل الرئتان المتعبتان من اللون الدافئ
يتلاشى الباب المغلق والأعين والأصوات
وأموت على الدرجات.

ثم يضيف أحمد عنتر على ذلك قوله إنه كان يطيب لأمل دنقل أن يقرأ في أي ندوة تضمه مع الصديق الشاعر محمد عز الدين المناصرة (الذى كان يدرس بكلية دار العلوم بالقاهرة) قصيدته " البكاء بين يدى زرقاء اليمامة " ليس اعتداداً بها بل إغاظة ونكاية فى الصديق الشاعر المناصرة الذى كان يرى انه صاحب الفضل في اكتشاف الجانب الميثولوجى لقصة" زرقاء اليمامة " وأورده في قصيدته التي نشرت في مجلة الآداب قبل قصيدة أمل ..... وكان المناصرة يعلن ذلك لكل من يقابله في القاهرة أنداك.

وعلى ذكر " مجلة الآداب ": كان يحلو له أن يستعيد فى مواجهة شلة من شعراء السبعينيات تتطاول على ما كتب وما أثير عن سطوه على رمز(بردى) في قصيدة محمد الماغوط (أمير من المطر وحاشية من الغبار) ليجعله (نيلا) فى قصيدته "ميتة عصرية " من ديوان (تعليق على ما حدث) ... كان يذكر ذلك بجرأة ولا يرى حرجاً فى هذا ... فهو فارس فى مواجهة نفسه قبل أن يفضح رياء الآخرين .(الأقلام – عدد 6 حزيران 1987 م – أمل دنقل – أوراق قيد الإصفرار) .

وهذا الكلام الأخير يؤكد أن ما يثار الأن حول تأثر أمل أو سطوه على هؤلاء الشعراء ليس جديدا، ولكن الشاعر أحمد عنتر لم يوضح صراحة إن كان ترديده لهذه الإتهامات نابع من رفضه لها والسخرية منها ام اعتراف بالسطو وإقرار بالتأثر فما تفسيره لهذا كله؟ للأسف الشديد إن صاحب هذه الذكريات قد تركنا عند أهم نقطة، امام إشارات تحتاج إلى تفسير فى وقت نحن أحوج ما نكون فيه إلى سند أو وثيقة تقودنا إلى شيء من اليقين.

وننتقل الأن إلى شهادة الشاعر بدر توفيق، وهو واحد من جيل أمل ورفيقه وأحد شعراء كتيبة الأهرام – كما كان يسميهم لويس عوض – وقد كتب الشاعر بدر توفيق مقالتين هامتين عن أمل دنقل: الأولى دراسة لمجموعة البكاء بين يدى زرقاء اليمامة نشرها عام 1969 فى مجلة " الآداب " بعنوان " كوميديا القلب المعتم " و الثانية فى عام 1983 بجريدة الرياض بعنوان " أول الراحلين من كتيبة الأهرام ".

وتتسم كتابات بدر توفيق عن دنقل بسمتين واضحتين أولهما: رؤيته النافذة لشعر أمل دنقل واكتشاف أهم سماته الفنية وابعاده الإنسانية والإجتماعية وثانيهما – حبه العميق لأمل وإعجابه بشعره والاعتزاز بتفوقه ونبوغه.

والواقع أن بدر توفيق قد أثبت بهذا الموقف أنه فارس نبيل ، وأكد ذلك بتقديمه صور المقالات لي وبالبحث معي عن كل مصادر الموضوع بحماس شديد ، واعتبر إهتمامى باستكمال هذا الكتاب عملا مخلصاً جديراً بالتقدير ، وأهداني المقالين للأستفادة بهما فى هذا الشأن، وطلب منى أن أنشر مقاله " أول الراحلين من كتيبة الأهرام" فى ملاحق هذا الكتاب حتى يتيح الإطلاع عليه لمن يهتم بأمر الشعر الحديث كله ورواده ودور لويس عوض والأهرام فى تقديمه لهذه الكتيبة وإلقاء الأضواء على ابداعات أمل دنقل خصوصاً وأن الشاعر بدر توفيق لا ينوى إعادة نشر هذا المقال قريباً .

ونحن نلاحظ بوضوح أن بدر توفيق فى مقاله "كوميديا القلب المعتم" قد وضع يده على أهم ملامح الشعر عند أمل دنقل، وسجل بذلك سبقاً حقيقياً في دراسة القصيدة الدنقلية. فهو يكشف عن ولع امل بحكايات الحياة اليويمة الكوميدية النادرة والشائعة لرجل الشـــارع وهـــــو بذلك يذكـــرنا بحـــكايـــات توماس دكر صفحات " الطاعون " من " العالم المدهش " بحكاية الزوج الذى طلب إلى زوجته بعد إصابتها بالطاعون أن تعترف له حتى تلاقى ربها بلا ذنوب ... وتعترف الزوجة وهى على فراش الموت بعلاقتها الجنسية بأزواج جاراتها ... ولكن بعد الاعتراف تشفى من مرضها ويستطيع القارئ تصور ما يمكن ان يحدث لها.

أمل يشدنا إلى مثل هذه المطبات الواقعية النادرة والشائعة التي تكشف أنواع الضعف الإنساني بكثافة وحصافة أكثر من لغة شعره وكل ما فيها من إيحاء وتركيز.

حبيبتي فى لحظة الظلام، لحظة التوهج العذبة
تصبح بين ساعدى جثة رطبة
ينكسر الشوق داخلي وتخفت الرغبة
اموء فوق خدها
اضرع فوق نهدها
أود لو انفذ فى مسام جلدها
لكن يظل بيننا الزجاج والغياب والغربة
وذات ليلة تكسرت ما بيننا حواجز الرهبة
فاحتضنتني
لكنها وهى تناديني سمعتها تناجيني ....

سمعتها تناديني ....
باسم حبيبها الذى حطم اللعبة

ومن هذا الإهتمام بنوادر الحياة الواقعية تتكشف رؤية أمل الكوميدية لحياة الإنسان ولا يكتف بدر بهذا بل يقتفى جذور هذه الرؤية التراجيكوميدية في طفولة امل و صباه و يكشف عن وقائع لم اقرأها عند أحد من قبل. ويقول ربما لا تكون حياة الفنان الخاصة شيئاً يمثل قيمة خاصة يتلون بها فنه ولكننا فى معظم الحالات نجدها كذلك ولكن تبقى دائما الإثارة لكل من الناقد والدارس والقارئ.

وهكذا نحن أيضا فى التقائنا بالشاعر "محمد أمل فهيم محارب دنقل" الذى يبلغ طوله 184 سم ووزنه 60 كجم والذى ولد في 1940/6/23 في قرية " قفط" التي تبعد 20 كم عن محافظة قنا. نراه يرحل إلى القاهرة سنة 1941 مع أبيه مدرس اللغة العربية ليبدأ تعليمه فى كتاب الشيخ عبده بحدائق القبة مؤديا التحية لمدرسة الفصل عند دخولها للمرة الأولى برفع قدمه اليسرى إلى رأسه بدلا من يده اليمنى ثم يعود عام 1947 إلى قنا فيعلمه أبوه بنفسه مناهج الروضة والقراءة الرشيدة ... وتستمر حياة التلميذ الصغير فى صحبة والده المدرس مليئة بالاضطراب و" العصلجة " ومع مرور الأيام وتعددها تتعدد عقوبات التلميذ الصغير وتتبادله أرجل السرير الحديدية مشدود الوثاق ومضروبا وباكيا .... والشيء الغريب الغامض المثير يكبر ويمتد آسرا عقله الذى ينبض بين جنبيه ... ويصبح المزلاج الداخلي لباب الحمام صديقه الوحيد الذى يدفع عنه شرور الهجوم الأبوي الغاشم على حريته في " الصياعة " وفى الوقوف على رصيف محطة قنا عام 1948 منتظرا مرور قطار " مولانا المعظم الملك فاروق " مضحيا بعلقة عظيمة من أجل مشاهدة الملك المعظم. ويقرأ أمل دنقل فى كتاب أن من حفظ ألف بيت من الشعر صار شاعرا ومن هنا انكب امل على حفظ ألف بيت حتى يكون شاعرا.

ثم يضيف بدر توفيق إلى هذا قوله:

كان الشعر فى حياة امل دائما هو الإصرار والنية المبيتة. وبدأت رؤيته الكوميدية لحياة الإنسان وموته واضحة في الإقتراب من جسد أبيه المسجى على فراش الموت فيفتح عينيه المغلقتين بالموت ثم يقفلهما ويخرج من غرفة الميت بلا دموع تسح على الخدين ليقول للواقفين خارج الباب "لقد مات أبى" كان هذا فى عام 1950.

وفى عام 1957 يحصل على شهادة الثانوية العامة ثم ينتقل إلى القاهرة ليلتحق بقسم اللغة العربية بكلية الآداب ويقضى بها سنتين فاشلتين ويبدأ حياته العملية الفاشلة

أيضاً كموظف بمصلحة الجمارك ثم يترك العمل متجولاً نهاره وليله فى شوارع القاهرة وليس سوى الشعر فى رأسه وفى جيوبه وفى حقيبة ملابسه الصغيرة.

مبالغات النقاد

وعن هذا يقول بدر توفيق: إن أمل دنقل ليس أحسن شاعر فى جيله كما يدعى بعض النقاد والذى يقول هذا فهو جاهل جدا بالشعر ولم يستطع حتى بينه وبين نفسه أن يجيب على هذا السؤال البسيط جدا والصعب جدا: ما هو الشعر؟ ومن هو الفنان الذى يطلق عليه صفة الشاعر؟ أمل دنقل فقط وبالتحديد هو أفضل شاعر مصري استطاع أن ينجح بدون غموض ولا مبالغة فى كتابة القصيدة الكوميدية حتى الآن ويمكن فى المستقبل أن يعقد على جبينه لواء الشعر الكوميدي الجديد في هذا العصر إذا استطاع أن يحقق عملاً كاملا فى كوميديا الطبائع البشرية.

ومن النقاط الهامة التي تطرق إليها بدر توفيق فى هذا المقال مقارنة أمل دنقل بكبار الشعراء مثل جون دون وبكتاب الرواية الساخرة مثل فيلدنج ثم يقف بنا امام شاعرين مصريين من جيل امل هما كمال عمار وأحمد فؤاد نجم .

فأمل هو الوجه الفصيح المقابل لوجه نجم العامي، ولكن تميز امل يكمن فى قدرته على النفاذ بالفصحى فيما يسهل على العامية أن تعبر عنه ... اما تماثلهما ففي ذلك التناول الكوميدي للقضايا الاجتماعية والوطنية وفى لا نهائية التجول اليومي والاصرار اللاشعوري في أن يكون الشعر مادة للحياة الأمر الذى يجعلهما لا يصلحان لأى شيء آخر.

هذه شهادات وملاحظات هامة ولكنها بحاجة إلى تأكيد وإضافة وهذا يضع على كاهل كل اصدقاء أمل وأقاربه مسئولية كبيرة، تملى على كل من لديه قصائد أو معلومات صحيحة عن حياة أمل وقراءاته أن ينشرها أو يقدمها لنا للاطلاع عليها. إن دراسة حياة امل دنقل ومصادر ثقافته وفنه الشعرى، مشروع ممتد امام الباحثين في الحاضر والمستقبل.

الصدفة وتصاريف الأقدار

وكانت الصدفة الحسنة هي التي وضعتني في مقدمة الذين اضطلعوا بهذا المشروع وأولوه جل اهتمامهم، وكانت الطبعة الأولى من هذا الكتاب قد صدرت فى يناير 1988 وبعد أربع سنوات من كتابتها أصبحت هي الشهادة الحقيقية على هذا الاهتمام الجاد ولم يكن هذا الاهتمام أمراً طارئا بالنسبة لي، بل امتداداً طبيعيا لاهتمامي بدراسة الشعر عموما والشعر الحديث بوجه خاص

وكان الاهتمام فى بدايته يتركز على الشعر المسرحي كجزء من تخصصي فى دراسة المسرح وقد ظهرت هذه الدراسات في كتابي "المسرح وقضايا الحرية" الصادر فى 1984 من هيئة الكتاب وشملت مسرحية الشرقاوي:" النسر الأحمر" ومسرحية" حكاية

من وادى الملح" للشاعر محمد مهران السيد وبحث طويل عن " مصر فى مسرح صلاح عبد الصبور".

وفى كتابي " قضايا الإبداع والنقد" 1986، يجد القارئ بحثاً عن " البياتي بين صلاح عبد الصبور ونزار قباني" بالإضافة إلى بحث عن" نقد المسرح الشعرى فى المجلات الأدبية " ودراسة لديوانين لشاعر عربي هو عذاب الركابي بعنوان " شاعر يبكى الغربة والنفي" بالإضافة إلى كتاباتي عن اليوت وترجماتي لبريخت ثم" وول شوينكا " النيجري الحاصل على جائزة نوبل عام 1986 حيث ترجمت له ست مسرحيات " الموت وفارس الملك " و"الأسد والجوهرة" و"حصاد كونجي" و"عذارى باخوس" و"سكان المستنقع" وكذلك مسرحية "السلالة القوية" وكلها مسرحيات شعرية تعد من روائع المسرح المعاصر.

كذلك فإنني دخلت عالم الكتابة من خلال الشعر. وشاءت الصدفة أن تكون أول قصيدة أنشرها هي قصيدة عمودية كتبتها بعد زيارتي لبورسعيد بعد العدوان الثلاثي ونشرتها "جريدة وطني " 24 ديسمبر 1961 ويسعدني أن أضعها امام القارئ هنا باعتبارها محاولة مبكرة للتعبير بالشعر. وفى سنة2014 نشرت مجموعة بعنوان "أشعار وأغاني مصرية" في دار الحضارة للنشر بالدقي.

وهناك أشعار أخرى حديثة وعامية واغان كتبتها على فترات وقد أذيعت بعض أشعاري الوطنية في أواخر الستينيات قبل نكسة يونيو 1967 ولكنى لم أهتم بنشر باقي هذه القصائد وحتى الأغاني لم اهتم بعرضها على المسئولين فى الإذاعة و التلفزيون لصعوبة السير فى دهاليز هذه الغابة. وقد نشرت هذه المجموعة أخيرا باسم "أشعار وأغاني مصرية" في دار الحضارة للنشر بالدقي.

على كل حال فإن القارئ بإمكانه أن يرجع لمسرحياتي المنشورة مثل " القضية " 1979 و" المجنونة " 1988 و" لقاء على القنال" وسوف يجد روح الشعر تتخلل نسيج العمل كله ثم تتبلور وتنفجر فى لحظات لتغطى مشاهد بأكملها، هذا هو سر ارتباطى بالشعر وبالشعراء ومع ذلك فإنني لم أزعم انى شاعر لأن لصورة الشاعر في عقلي نماذج رفيعة مثل "ميلتون " و"شكسبير" واليوت " و" بريخت " و"المتنبى " و" أبى العلاء " و" شوقي " و" صلاح عبد الصبور" و" أمل دنقل" وباقي العباقرة المجددين في كل بقعة من بقاع الأرض، وهيهات ان أبلغ هذه القمم الشاهقة. ورحم الله امرىء عرف قدر نفسه، فاكتفيت بالنقد والبحث الأدبي وكتابة المسرحيات
واعتقد إني مؤهل لهذه الأمور بصورة أفضل.

من وحى القناة:

قناة بلادي قد طغى الشوق والجوى
فجئت قناتي كي أزور الموانيا
واشتم نفحا من نسيمك عاطرا
وريح انتصار قد اعـــاد قناتيا
فتراب أرضك يستثير محبتي
وصفاء مائك يستطير جنانيـــا
قد مات جدى فى ترابك حافـرا
ورنت إلى الأحفاد تشكو البواديا
فهل كان يمكن ان نعيش بلا قنا
ويقال بريطانيا الحليفة حاميـا
ويقال أخت النيل قد سلبت سدى
وغدا عرين الأسد يخشى الضواريا
لا بل أبينا واستشطنا ثـــــورة
وخلعنـــا ثوبـا كـان رثـا باليـــا
فطردنا غازية البحار وإلفهـــا
واسقطنـــا ايدن في ميـاهك خابيا
وهزمنا باريس الخليعة كلهـا
واغرقنـا بينـــو فى البرلس زاريا
وضربنا كلب الصيد أخذا بغدره
وردننا موشى وابن جوريون صاديا
حطمنا انفاهم وفزنا بكبرهم
وكشفنـا عـارهم صراحـــا وعاريا

وقلنا سلامة للبرية والورى

سلامـا سلامـا مثل مـــــائك صافيـــــا
فبنيـــــا سداً للرخاء وعزة
واقمنـــــا صرحـــــا للعروبة عاليـــــا
لك الله يا مصر العزيزة فى المحن
ورعـــــى جمـــالا للسفينـــة هاديـــــا
رجل البطولة والعدالة والهدى
رجـــــل السلام إلـــى الأخوة داعيـــــا
أقسمت بأسمك، بأصالة منبتى
لأعيش لاسمـــك أو امـــوت فدائيـــا
الا فأعذروني إن بالقلب نشوة
فـالخلد والأحباب كانـــوا مزاريـــــــا

لقد ذكرت هذه القصيدة لأوضح مسألة غاية فى البساطة وهى أن موقفي صادر عن إنتماء حقيقي للشعر والشعراء، وأن كتابي يمثل تحية وتقدير لمدرسة الشعر الحديث ولشعراءها ممثلا في امل دنقل . ولذلك تجنبت المقارنات والموازنات التي قد تشير إلى تمييز شعر أمل عن غيره واتجهت مباشرة إلى ابراز جوانب التفوق والتميز حتى لا أغضب أحدا منهم. وكان هذا سببا لبعض الانتقادات، مثل ما قاله الدكتور صلاح فضل بالذات فى ندوة الأتيليه" بعد قراءة الكتاب لا نكاد نضع ايدينا على الربط بين طريقة امل دنقل الشعرية وطرق السابقين عليه، لنعرف الإضافة الحقيقية التي أضافها " هذه مبالغة من الدكتور صلاح فضل لكنها تحتوى على جزء من الحقيقة يتمثل فى المقارنة الحادة بين أمل وبين أبناء جيله بل والسابقين عليه أولا.

25- - نقاد ومصارعون

وفى ندوة الأتيليه (11/12/ 1989) التي عقدت لمناقشة الكتاب، وأدارها الدكتور سيد البحراوي، كان أول المتحدثين الناقد والمفكر الكبير الأستاذ محمود امين العالم .
وقرأ الأستاذ محمود العالم بحثا مكتوبا لم يقصره على مناقشة كتابي بل تناول فيه أيضا مقال الدكتور صلاح فضل " توليد الدلالة فى شعر أمل دنقل" الذى نشر فى فصول فى أكتوبر 1980 وكذلك " البحث عن لؤلؤة المستحيل " للدكتور سيد البحراوي " ثم قارن بينهم جميعا وقد نشر هذا البحث فى مجلة " الشعر" فى يوليو 1990 بعنوان: " أمل دنقل وثلاث إتجاهات نقدية " .

وكان رأيه أن كتابي قد اهتم بإبراز البعد الذاتي للشاعر والبعد المعنوي المضموني للشعر في سياق البعد الموضوعي والسياسي والاجتماعي والبعد التراثي للرموز الشعرية وان المنهج النقدي للكتاب هو منهج التفسير والتقييم المباشر القائمين على القراءة الخارجية للنص، ومقابلته بشكل مباشر بواقع أحداث ووقائع نفسية أو سياسية أو اجتماعية دون تحليل أو معالجة للقيمة الجمالية للنص. ولهذا فمنهج الكتاب يكاد يكون امتداداً لمنهجنا فى الخمسينيات وخاصة فى أغلب تطبيقاته لا فى دعاويه النظرية.

ورداً على هذا أقول إنه بالنسبة للمنهج التفسيري فهو منهج نقدى سائد فى كل أنحاء العالم لا يكاد يفلت منه ناقد حتى أشد المتشدقين بالبنيوية، وهذا ما أثبته محمود العالم نفسه فى حديثه عن صلاح فضل وسيد البحراوي" والحق إن الأستاذ نسيم إذا كان ينتقد الدكتور صلاح فضل على اقتصاره على الجانب الشكلي. فانه هو كذلك يكاد يقتصر أو يغلب الجانب المعنوي السياسي والاجتماعي في تحليله وتفسيره لشعر أمل دنقل".
وفضلاً عن ذلك فإن هذا ما تتطلبه طبيعة دراستي والتي كان عنوانها الأصلي " أمل دنقل - أمير شعراء الرفض " والتي قصدت بها تقديم رؤية أو قراءة خاصة لشاعر رافض من خلال شعره. وهو شاعر متميز بحساسيته الشديدة إزاء قضايا وطنه وناسه الاجتماعية والسياسية، وكان ارتباطه الشديد بهذه القضايا سراً من أسرار إلهامه وتفجر موهبته، حتى كاد شعره كله وأفضل قصائده أن تكون وقفاً على هذه الأمور. فلم يعرف 177أن أمل دنقل قد كتب قصائد متميزة فى الحب أو الهجر أو فى أغراض أخرى كالمديح أو المناسبات.
كذلك ارتبطت حياته بشعره ومواقفه ارتباطا وثيقاً بصورة لا تكاد تتكرر عند شاعر آخر. وهذا ما أوضحته فى أول فصول الكتاب حين قلت: " أن تطوره الشعرى

سار بإزاء حركة الواقع فى نطاق قانون الفعل ورد الفعل أو التحدي والاستجابة و لهذا تحدد عنده موقف الرفض والقبول ومن ثم كان الرفض عند شاعرنا يمثل موقفاً أخلاقياً توصل إليه من خلال معاناته لتجربة الحياة والفن فى واقع محروم من أجواء العدل والحرية ". وإزاء هذا لم يكن هناك مفر من الاعتماد على المنهج التفسيري.

وكان يمكن للأستاذ العالم أن يكون منصفاً أكثر لو حذف من عبارته كلمة "المباشر" لأن فيها الحد الذى يفصل بين نقدى في هذا الكتاب ونقده هو وجماعة التفسير المباشر فى الخمسينات. ولعله أن تكون صدفة غريبة أن يأتي هذا الكلام في وقت اثبت فيه اعتراضي الشديد على منهجه هذا وذلك في كتابي "لويس عوض ومعاركه الأدبية" (عند مناقشتي لرأى طه حسين والعقاد حول الأدب الجديد ووصف طه حسين لكلام محمود العالم وعبد العظيم أنيس بأنه طلاسم وألغاز تارة وتارة أخرى بأنه كلام سرياني أو يوناني لا يقرأ ص 124)

فتفسيري يعتمد على تحليل بناء القصيدة ككائن عضوي مستقل بذاته، حتى يمكن التعرف على الصورة الكلية أو الانطباع العام الذى منه يمكن استخلاص الدلالة - وهذا ما صنعته بدرجة تكفى القارئ العادي الذى يتوجه إليه الكتاب. ومن أجل هذا ابتعدت عن الاستغراق فى الشكليات والتفصيلات البنيوية التي تهم المتخصصين، والتي تفسد على القارئ أو المثقف متعته في تذوق العمل الأدبي، وقد كان أمامي مقال الدكتور صلاح فضل الذى عرضت له في كتابي ونقدته بالقول:

" هذه نماذج للطريقة البنيوية فى النقد كما طبقها الدكتور صلاح فضل فى دراسته لشعر أمل دنقل وهى طريقة مفيدة بغير شك تساعد على فهم بنية القصيدة والعناصر الفاعلة في تكوينها. فهي دراسة لغوية أسلوبية تحصر نفسها فى دراسة الشكل الفني فقط ولا تكفى وحدها فى كشف علاقة نص أدبى بنص آخر أو ارتباط هذا النص بظاهرة ثقافية أو اجتماعية أو تاريخية".

ذلك إن مهمة النقد كما تعلمتها عند اليوت ومدرسته، هي تصحيح الذوق وتوضيح الأعمال الأدبية. وبتعبير آخر ترقية الذوق والفهم وزيادة الاستمتاع. فهي مهمة تنويرية قبل كل شيء. اما اظهار البراعة فى الثرثرة بذكر شفرات ولوغاريتمات كلامية، فهو أمر لا يستهويني ولم أعد به حتى لا يطالبني به أحد. وقد ضاق صدر الدكتور صلاح فضل ضيقاً شديداً بهذا النقد الموضوعي، واستشاط غضباً في الندوة خصوصاً عندما أشار الأستاذ محمود العالم إلى هذه الفقرة واخرجه هذا الغضب عن الموضوعية فى التناول حتى قال:

"كان على المؤلف أن يتساءل: ما الذى لا أجده فى شعر أمل دنقل، وهو ما لم يفعله وقد اكتفى بالإجابة على سؤال: ماذا وجدت فى شعر أمل دنقل؟ وهكذا حمله الغلو فقال كلاما كثيراً لا يمت للنقد الموضوعي بأي صلة وكان يقوله بغضب وانفعال شديدين، أصاب الحاضرين بالدهشة والوجوم وكان المكان ممتلئاً بنخبة كبيرة من الأساتذة والنقاد والكتاب فلم ينطق أحدهم باستفسار أو تعليق بعد أن تكهرب الجو هكذا دون مبرر معقول.

وكانت هذه ربما المرة الأولى التي تواجه فيها ندوة ساخنة في الأتيليه بمثل هذا الصمت. لم أكن مسئولاً أبداً عنه لأنني قابلت هجوم الدكتور صلاح فضل بابتسامة، ولم أرد عليه، فلأول مرة يحاسب كاتب على ما لم يقله، فالكاتب يحاسب دائماً على ما كتب أو قال . لم ينشر الدكتور صلاح فضل كلامه ولا أعتقد انه يمكن أن ينشره كما قاله أبدا فى أثناء ثورته العنيفة.

إن النقد بل حتى القسوة في النقد هي أحياناً حق من حقوق الناقد، وقد كان الأستاذ محمود العالم قاسياً لكنه لم يصل إلى هذا الحد. أما موقف الدكتور صلاح فهو المثير للتساؤل، فنقدى للبنيوية لا يصلح سبباً لذلك لأن الدكتور صلاح فضل لم يكن مسئولا عن قصور البنيوية ولا هو من دعاتها الأصليين وإنما هو أستاذ وناقد كبير مجتهد ساهم فى التعريف بهذه المدرسة الأوربية فى ترجماته ونقده. وقد اثنيت على تمكنه وتطبيقه لها ولا أعتقد أن تساؤلي عن توقفه عن مناقشة ديوان" العهد الآتي" بغير مبرر يمكن أن يدفع بناقد كبير مثله إلى هذه الثورة الغاضبة. فقد كنت أطالبه بما وعد به فى بداية حديثه عن المجموعة الشعرية وهذا ما قلته ص 265 ورغم تناوله لعديد من قصائد أمل دنقل إلا أنه توقف أمام ديوان " العهد الآتي" بغير مبرر ولم يتناول إلا قصيدة " صلاة " وهى أول وأقصر قصائد المجموعة، واكتفى بقوله " و بالرغم من أن مجموعة " العهد الآتي" ذات قوة آسرة تغرى باستمرار التناول النقدي، فإننا مضطرون لأن نخلع أنفسنا من منطقة جاذبيتها لنعود كما وعدنا إلى شرح فكرة التزاوج والتمثيل لها " وكان تعليقي كما ورد في الكتاب هو:

" وهذا عذر لا يكفى طبعاً لتبرير عدوله عن تناول أي قصيدة من قصائد المجموعة، لأنه لم يناقش القضية التي طرحها حين قال " فالشاعر يطمح إلى أن يكتب لنا انجيل العصر الحديث الذى يقف بين العهدين القديم والجديد، بل ينزع إلى الحلول بديلاً عنهما ". ولم يقل الدكتور صلاح فضل: هل نجح الشاعر أمل دنقل فى تحقيق هذه الغاية أم أخفق؟ رغم أنه طالبنا من البداية بمناقشة هذا الأمر دون حرج قائلاً: " ولا ينبغي أن نتحرج من تحليل هذه الظاهرة فكل مظاهر الخلق الإنساني تبدو وكأنها قبس من النبوة وفيض عنها، فلماذا عاد وتحرج من المناقشة؟"

وهكذا كانت مناقشتي في لب الموضوع. لم أقل كلمة خارجة أو كلمة جارحة بل كنت أطالبه بما وعد وأهيب به أن يكمل ما بدأه لأنى أثق فى قدرته على هذا، لكنه أخذ الأمر على محمل آخر. فلم يكد الأستاذ محمود العالم يعيد الإشارة إلى أقوالي حتى أخذ الدكتور صلاح فضل يدافع عن مقاله بشدة وعنف. وكان مما قاله انه كتب ذلك المقال فى ظروف سياسية صعبة لم تكن ترحب بالنقد عموماً . ولم يكن الحديث عن أمل دنقل وشعره يجد قبولاً من الأجهزة الاعلامية والثقافية فى الدولة، فمال الدكتور صلاح فضل إلى التخفي خلف منهج البنيوية حتى لا يقول صراحة ما ينبغي أن يقال ... ومع ذلك لم تنشر الأهرام مقاله، حسب اعترافه هو فى الندوة. ولا بأس أن يكتب الدكتور صلاح

فضل أو غيره من النقاد ما يريد وبالطريقة التي يراها ويختارها بشرط واحد هو أن يحترم حق الآخرين الذين قالوا ما لم يرغب هو فى قوله.

وحين أتذكر هذه الندوة أجد أن المشهد كان غاضباً بشكل غير عادى. كان الصراع واضحاً بين الناقدين الكبيرين، وأشهد أن محمود العالم كان قاسياً فى نقده لمقال الدكتور صلاح فضل، وفي نقده لكتابي، وكان منحازا جدا لكتاب صديقه سيد البحراوي الذى لم يتناول سوى قصيدة واحدة هي "مقابلة خاصة مع ابن نوح " وقد حاول الدكتور صلاح فضل أن يرد بالعنف أيضاً فكان كلاهما كمصارعين يريد كل منهما أن يصرع الآخر.

وتحول الجزء الأكبر من هذا العنف نحوى. كان الوضع بالنسبة لي أشبه بمعركة بين اثنين من النقاد الكبار المحترفين وبين أحد الهواة الذى اقتحم الملعب فجأة بكتاب صغير فأثار زوبعة وفجر حاجز الصمت فانطلقت الألسنة وجاءت بعض ردود الفعل أشبه بطلقات المدفعية الثقيلة لإرهاب هذا الدخيل وتحذيره.

لكنني تقبلت الأمر بابتسامة هادئة، ومال معظم الحضور إلى جانبي، فالتفوا حولي وغمروني بمشاعر التقدير والتشجيع، أذكر منهم الكاتب الفلسطيني الدكتور فيصل دراج الذى شد على يدى وقال: "رغم كل هذا فأنا أحييك على هذا الكتاب " أما الدكتور أنور لوقا فنصحني بألا أغضب لأن هذا دليل على تأثير كتابي ... وقال: " كتابك نفذت طبعته وأصبح جزءاً من ثقافة الشعب. أما هذه الكتابات الأخرى فسوف تظل محصورة بين قلة من المتخصصين".

وفى جانب كبار النقاد المنصفين يقف الدكتور عبد المنعم تليمة الذى أوجز رأيه فى نقاط محدودة و*ذلك فى برنامج مع النقاد بالإذاعة في 18سبتمبر 1989 حيث قال:

أعجبني في هذا الكتاب جملة من الأمور:

* استقامة المنهج، وهذا المنهج يصدر بالفعل عن وعى صحيح بعلاقة الشاعر بالواقع، واقع متدرج ينتظم البنية الاجتماعية والثقافية والسياسية ومرتبط بجذوره فى التراث والأساطير.

* نبه نسيم إلى أن الرفض عند أمل دنقل يصدر عن أساس أخلاقي ملتزم وليس الرفض الفوضوي أو الخروج على الجماعة بل رفضه كان مؤسساً على مصلحة الجماعة ومستقبلها.

* كيفية التعامل مع القصيد الشعرى. بشرنا نسيم وأنجز وعده، بأنه سيكشف من خلال التوافق أو التضاد أو التكرار عن رؤية الشاعر.

*فى قصائد أمل دنقل استطاع أن يبين الأداء الشعبي في العدودة والندب الصعيدي.

* أن يحدد أن قصيد أمل مبنى أساساً على المفارقة.

* أن يصوب بعض الأحكام الدارجة وأن يبين أن العنف والرفض ليس صادراً فحسب عن فلاسفة العنف كنيتشه وإنما عن بعض الكتب المقدسة كالعهد القديم.

أما الأستاذ رجاء النقاش في مقاله الثاني بالمصور بتاريخ (12 أغسطس 1988)" قال:

لا أعرف فى المكتبة العربية كتاباً آخر عن أمل دنقل له من القيمة والوضوح والدقة ما يتوافر فى دراسة نسيم مجلى. وفى البرنامج الثاني قال الأستاذ رجاء" إنه عموماً أهم كتاب صدر فى الفترة الأخيرة، وأهم كتاب نقدى وهو كتاب ساخن إن صح التعبير"

لقد نشرت آراء أخرى عديدة فى الصحف العربية الأخرى

وسمعت آراء عشرات من أساتذة النقد فى الجامعات ومن الشعراء البارزين كلها تشيد بمنهج الدراسة ومستواها، فإن دل هذا على شيء فإنه يدل على أن المستوى الذى حققته كتاباتي يحوز قبول وتقدير جمهور كبير من النقاد، ويؤكد على صحة منهجي وسلامة موقفي واتجاهي مبدعاً وناقداً.

وكان حكم القراء حاسماً إذ نفذت طبعة الكتاب الأولى فى أسبوعين واعيد طبعه فى هيئة الكتاب بالعنوان الأصلي سنة 1994 "أمير شعراء الرفض" ثم جاءت الطبعة الثالثة فى مكتبة الأسرة سنة 2000 ونفذت في ساعات وهأنذا استعد لتقديم الطبعة الرابعة بهذه المناقشة الساخنة والثرية فى آن واحد. هذه الطبعة التي نشرتها دار التحرير في سلسلة كتاب الجمهورية سنة 2008.وقد طلب منى الكاتب الصحفي الكبير الأستاذ على هاشم رئيس تحرير سلسلة كتاب الجمهورية التي تصدرها الدار، أن أكتب كلمة تصديرا لهذه الطبعة فكتبت الآتي :

26 - كلمة عابرة عن قراءة الشعر والأدب

النقد الأدبي، كما تعلمته، ينبغي أن يكون تجريبيا وعمليا أكثر منه نظريا. فأساتذة النقد الكبار يمارسون فنهم من أجل تجلية كل ما هو مضمر في العمل الأدبي لكى يصير مفهوما. وهذا ماكنت أفعله دائما سواء في قراءتي قصيدة لصلاح عبد الصبور أو في رواية لنجيب محفوظ أوفى مسرحية لألفريد فرج. وهو الشيء ذاته الذى فعلته في دراستي لأشعار لمل دنقل، ومن ثم فإن كتابي قد لمس العصب الحساس في أجهزة السلطة فبادروا بمصادرة الكتاب قبل أن يخرج من المطبعة، وصوبوا الهجوم على عنوان الكتاب." أمل دنقل أمير شعرا الرفض" وسألوا: رفض من؟ أو رفض ماذا؟

كان هذا العنوان خلاصة مركزة لكل ما صورته أشعار أمل دنقل الثورية وجسدته في أذهان الجماهير وشباب الجامعات الذين كانوا يتظاهرون بعشرات الألاف وهم يرددون هذه الأشعار. وكان طبيعيا أن تنزعج أجهزة القمع وتقوم بمصادرة الكتاب ونزع غلافه ولا تسمح لطبعته الأولى سنة 1988 بالخروج من المطبعة إلا بعد نزع الغلاف الخارجي والداخلي لإزالة كل أثر لهذا العنوان. لقد وضعت قصائد الشاعر في موازاة الأحداث وأوضحت ما كانت تضمره وتخفيه، فانجلى معنى الرفض ومغزاه. فإذا هو رفض لكل ما هو قبيح ودميم. رفض لفساد السلطة وأجهزة القمع ومصادرة الحريات.

وهى الملامح الواضحة التي انطبعت على وجه النظام السياسي المصري من بداية ثورة يوليو وحكم العسكر حتى الآن، والتي أدت إلى التدهور في جميع نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والإجتماعية والثقافية أيضا. والتي أدت إلى هزيمة 1967، وبددت ثمارنصرأكتوبر1973، وفتحت الباب واسعا أمام المنافقين والأنتهازيين والمهربين وسماسرة الإنفتاح فاستولوا على ثروة الوطن وتركوا غالبية الشعب تعانى الفقر والأمراض

والمؤسف أن النظام السياسي المصري قد فشل حتى الآن وعجز عن التطور والسيرفى طريق التقم وبناء الدولة الحديثة، وإقامة مؤسسات المجتمع المدني من أجل تحقيق العدل والمساواة بين المواطنين وتعزيز سلطة القانون وبدلا من ذلك دخل في تحالفات مريبة مع جماعات الإسلام السياسي ودعاة الدولة الدينية. وكانت المفارقة هي ان هذه الجماعات التي أطلقها السادات لمحاربة خصومه من الناصريين والشيوعيين والأقباط هم الذين قتلوه في يوم احتفاله بنصر أكتوبر.

ورغم هذا فإن خلفاء السادات لم يتعلموا الدرس ولم يتخلوا عن نهجه وساروا في نفس الطريق بالتركيز على ضرب الأحزاب السياسية واضعافها وفتح المجال واسعا أمام التيار الديني للسيطرة على الجامعات ومؤسسات الدولة وعقد الصفقات السرية مع قياداته

من الأخوان المسلمين، مما أدى إلى فضائح الانتخابات البرلمانية الاخيرة، حيث حصل الإخوان على ربع مقاعد المجلس وفشلت الأحزاب السياسية الأخرى بسبب التزوير والبلطجة وشراء الأصوات.

والحقيقة أن ما حدث كان امرا متوقعا بالنسبة لكثير من العقلاء والمثقفين الأصلاء، تنبأت به أعمال أدبية وفنية كثيرة، ربما نذكر فيلم "القاهرة 30" ونهايته الفاجعة حيث نسمع محجوب عبد الدايم يطمئن إحسان شحاتة أو سعاد حسنى بأن شيئا لن يتغير وأن الأوسخ هو الذى يكسب.

فالتدهور مستمر والأوسخ يكسب ولا مواجهة للفساد والفاسدين. وعندما تقرأ أشعار أمل دنقل معي في هذا الكتاب الذى بين يديك، ستجد بانوراما كاشفة تشير إلى مواطن الخلل وأسباب العلل المزمنة. كانت قصيدة (الأرض والجرح الذى ينفتح) سنة 1966، رؤية فاجعة ونبوءة بكارثة وشيكة الوقوع، فلم يكد ينقضي عام على نشرها حتى داهمتنا هزيمة يونية 1967. وبعدها كتب أمل أخطر قصائده التي كرست موهبته كشاعر أصيل وهى " البكاء بين يدى زرقاء اليمامة " ليكشف عن الخلل الخطير الذى أدى ألى وقوع الكارثة.

العجيب أنه تنبأ في نهاية القصيدة الأولى بعقم النظم العربية وعجزها عن القيام بأى دور فعال إذ ينهى القصيدة بالقول:

لم يبق من شيء يقال

يا أرض

هل تلد الرجال؟

وهكذا تتوالى قصائده الواحدة تلو الأخرى لتكشف عن مكامن العجز والإفلاس الروحي المتجسد في عاملين أساسيين هما: التخلف الثقافي والانتهازية السياسية.

وقد قال أحد المفكرين العرب:

"عندما أريد أن أبحث عن الحقائق الأولى في حياة أي بلد، وعن القواعد السياسية القادرة على تفسير توجهاته، فإنني لا أعتمد كتب التاريخ المؤلفة ولا المذكرات السياسية الضافية وإنما أتوجه مباشرة إلى الأدب أسمع من الشاعر والقصاص والروائي أولا، وبعد ذلك يجيء الدور على المؤرخ والسياسي والدبلوماسي .

صاحب هذه المقولة هو الدكتور ثابت العريس المفكر السوري، وكان سفيرا لدولة الوحدة بين (1958-1961) في يوغسلافيا، أوردها الأستاذ حسنين هيكل في مقاله من البوسنة إلى كوسوفو، ثم زاد الأمر وضوحا فقال:

كان رأى ثابت العريس، أنه حين يكتب المؤرخ والسياسي والدبلوماسي فإنه مضطر بحكم طبائع الأشياء إلى أن يظل دائما وراء الظاهر،المرئى والمتحرك – وأما حينما يكتب الشاعر والقصاص والروائي – فإنه يغوص إلى الأعماق ويجوس هناك حول

الكوامن التي يمكن أن نسميها "روح الأمم " وينفذ إلى الخلايا التي تحتفظ وحدها ل "شرايين الحياة" في عمر وطول بقائها، فإذا أردت ان تفهم يوغسلافيا فاقرأ قصة " جسر على نهر أدرينا " التي كتبها، إيفو أندريتش، واستحق عليها جائزة نوبل للآداب فيما بعد 1961م.

هل عرفت الآن عزيزي القارىء لماذا ينبغي أن تقرأ الأعمال الأدبية والشعرية وهذا الكتاب بصفة خاصة.

وبعد نشر هذه الطبعة وفى يوم 29 يوليه 2008 استضافت الجمهورية ندوة في مقرها بشارع رمسيس قدمها الكاتب الصحفي الأستاذ مصطفى القاضي وتحدث فيها الدكتور عبد المنعم تليمة والدكتور مدحت الجيار والأستاذ عبد الغنى داوود والأستاذ محمد عبد الحافظ والدكتور محمد العبد والدكتور عبد السلام الشاذلي ونقلتها قناة التنوير وبعض الفضائيات الأخرى

هوامش:

1-راجع " تعقيب على ملف أمل دنقل" مجلة "أدب ونقد"اكتوبر1985

2 " الجنوبي " – تأليف عبلة الرويني –مكتبة مدبولي القاهرة 1985.

3" التراث الإنساني فى شعر أمل دنقل " د. جابر قميحة –

دار هجر للطباعة والنشر 1987.

4-" البحث عن لؤلؤة المستحيل " – د. سيد البحراوي. دار الفكر الجديد – لبنان 1988.

27 - ملحق الكتاب : مسرحية الوادي الغضبان

هذه مسرحية قصيرة اعددتها عن رواية " الوادي الغاضبان" المقررة على طلبة السنة الثانية فى سنة 1974، وكنت أقوم بتدريسها لطلبة السعيدية الثانوية. وقد قمت بإعدادها دراميا وأخراجها في حفل كبير احتفالا بالعيد الماسي للمدرسة السعيدية في 3 مارس 1974 وشارك في التمثيل أربعة أولاد من السعيدية وأربع بنات من مدرسة الجيزة الثانوية بنات تحت أشراف زميلة من المدرسة كانت تشرف على البنات أثناء البروفات. وكانوا جميعا يدرسون الرواية بالصف الثاني الثانوي.

وهى تمثيلية جميلة ومسلية وممكن لأولادكم أن يقدموها ضمن أنشطتهم الفنية سواء في مدارسهم أو في الكنيسة. هدية لحبايبي الحلوين من جدهم نسيم مجلى مع دعواتي لهم بالصحة وطول العمر.

A Dramatization of some scenes based on The Angry

Valley. Prepared by: Nasim Mijalli

Scene -1- Office of the manager

Owen: You know, sir that Morgan, Mr. Morgan stopped the work. He wants to destroy our plan

Ward Thomas ::I know this, but you can, …

Owen: The men must start the work on that part today. We have a Schedule to keep to.

Ward Thomas: All right, Owen, you can go now and resume your work.

Owen Well, well (at this moment he sees Morgan in the doorway. so he returns back) Now, sir, I can tell you one thing. If this man interferes again with my work, there may be a strike. I don't like it and the men don't like it, there could easily be a strike.

Ward Thomas: Owen, it's fine—just get back to work.

Owen Thank you, sir. (he goes out looking with scorn to Morgan).

Ward Thomas: Morgan, come in. sit down. What's all this about?

Morgan My friend Jack Hughes told me something about an

oll coal mine.

Ward Thomas Who is Jack Hughes?

Morgan An old friend of mine who lives in the hill. He mentioned that a coal mine had been started in this side of the valley and I fear there might be subsidence under the tower building.

Ward Thomas: That's all you have to say. Is it?

Morgan : Yes, I wanted to see you first but I couldn't find you. I wanted to look at the surveys.

Ward Thomas: Never mind that now. Thurston has the surveys. This is not important now. But I want to ask you a question, what's behind all this? what do you mean? Why are you against the project.?

Morgan: I am not against the project.

Ward Thomas: I can't believe that. You told my daughter some ridiculous things about dreams, Thurston and I resented to your fears, too. We let you have a holiday, then you come back and try to destroy a building schedule.

Morgan: I haven't destroyed Owen's schedule. I only stopped the work for a few hours.

Ward Thomas: You should have waited for me.

Morgan: I'm sorry, but the men have other work to do.

Ward Thomas: That schedule is important to Owen. And he and his men are important to the project.

Morgan : The men didn't quarrel with my order.

Ward Thomas: We need to keep the goodwill of those men.

Morgan : I haven't harmed that goodwill.

Ward Thomas I think so. Anyway the work has been started again.

Morgan : I see you have the authority to do that.

Ward Thomas: Yes, I have but I want you to answer a question.

Morgan: Certainly I'll do.

Ward Thomas: You have lived in this town. You must know many people who are against the project.

Morgan : Yes, I know some of them.

Ward Thomas: Are you in fact working for them?

Morgan : No. that's a very stupid question.

Ward Thomas: Then why are you behaving like this?

Morgan : I have tried to explain.

Ward Thomas: You've always seemed a sensible man to me. What has happened. Haven't you been feeling well lately?

Morgan : Of course, there is nothing wrong with my health.
Ward Thomas: You had a bad dream. Gown told me.
Morgan : Oh… that I didn't….
Ward Thomas: Do you believe in dreams?
Morgan : No, I was trying to explain something to her.
Ward Thomas: Have you other strange dreams?
Morgan: No I haven't! What have dreams to do with this? Let's take a look at the surveys. Then we can decide.
Ward Thomas: You worry me. I am not your enemy. I don't want to quarrel with you, David. You are going to be my son in law; the husband of my only daughter. But the project is more important than my feelings. I think you need a rest.
Morgan: Do you think that I'm crazy, sir?
Ward Thomas: Certainly not (he gave a short strange laugh) but you do work hard. I think you need a rest.
Morgan: I don't need a rest.
Ward Thomas: Believe me David. You need some time off? You are a scientist, but you are trying to do everybody's work. Take a few days. Give things time to calm down.
Morgan: I'm making things difficult, so you want me out of the way I won't do it.
Ward Thomas: Yes. You will. That's an order.
Morgan : Oh, if it's an order, I can't do anything else;
Ward Thomas: It's a holiday. Try to enjoy it. When you get back, come and see me at my house. We'll have a long talk.
Morgan; All right, I'll see you then.

Mr. Thurston arrived in the afternoon.
Ward Thomas; Oh, Mr. Thurston, I have been waiting for you all the day.
Thurston: Well, sir. Is there anything urgent?
Ward Thomas: I can't decide. Morgan came and told me some strange things.
Thurston: Oh, Morgan again. He always tells us strange things. I think that he suffers some mental disturbance.
Ward Thomas: Perhaps, but he wanted to check the surveys. He said there might be subsidence under the tower building.
Thurston: Subsidence, eh? It seems ridiculous, doesn't i?

Ward Thomas: Of course but it's better to have a look at the surveys.
Thurston: All right, sir (he handed him some papers) this seems to be the survey file.
Ward Thomas :(Reads through it quickly) have you studied this?
Thurston: No. I haven't studied it closely. That was Denham's work why? Is there anything in the report?
Ward Thomas: No. Not exactly .Have you read it?
Thurston: I must have read it, but I can't remember. I left all Denham's work, what does it say?
Ward Thomas: Nothing definite. It says that the rock on that side of the hill is different.
Thurston: What side? The tower side?
Ward Thomas: It's softer. It may have faults.
Thurston: God! but you say 'may have'.
Ward Thomas: It also talks about the water running off the hill.
Thurston: It's incredible. This means that the tower building may fall (pause) well. we had better do some drills now.
Ward Thomas: And stop all work up there. It would spoil all the schedules.The minister wants us to finish three weeks earlier.
Thurston: And if we still find good solid rock we shall look very foolish.
Ward Thomas: Yes,
thurston like two silly old women afraid of a silly suspiction
Ward Thomas: A crazy young man's suspicion. that's. first without it we wouldn't look twice at this survey. He has a dream he loses a dog .He has suspicions. And we begin to believe in them, are we crazy too.
Thurston: Perhaps. Perhaps not.What are you going to do?
Ward Thomas: I don't brew, I must think seriously about all this.
Thurston: So must I. Then we'll talk about it again. I'll leave the survey with you.
Ward Thomas: Thank you. Thurston.
Ward Thomas picked up the file and began to read it again slowly.

-2- The Singing Kettle Café

Helen at a table, waving to Morgan who stood inside the door

Helen David. (he made his way across the table).
Sit down. You are lucky. I think it's the last seat in the place, I was saving it for a friend but she won't be coming now.
David: Very well
Helen Thurston said that you were still on holiday, where have you been?
David To Aberdeen
Helen Is that a nice place for a holiday?
David No, it wasn't. I only went in for the afternoon, I have been in Tureen for the rest of the time.
Helen: Dating something interesting.
Morgan: Not really. I've been in the library and I spent two days in the offices of the Trewern Mail. I've been reading very old newspapers. See (offers the books) A history of Trewern and Trewern and its History. I'm just talking to the library. They weren't much help.
Helen: Help with what?
Morgan I was trying to find some record of an old mine.
Helen: Why?
Morgan I'm in trouble, I've said some wild things without evidence. I found the old record at last in Aberdean. That's some help. Now I've got to find the mine.
Helen: What kind of trouble, David?
Morgan: Trouble at the project.
Helen Tell me. (he stared at her) I'm sorry. I shouldn't have asked.
Morgan: No, don't say that. But these wild ideas of mine disturb everyone . If you talk about them, you could be in trouble.
Helen: I wouldn't talk about them, David. but I understand, you know best.
Morgan: It's not that, Helen (It really could cause trouble for you) If I can't talk to anyone else, I can talk to you.
Helen: Did Ward Thomas make you resign?
Morgan: Yes. You could say that.
Helen: It isn't fair, is it?
Morgan: It was quite fair. We didn't agree about the work.

Helen: I've heard something about it. But you were right and he's wrong. That's true isn't it? and he wants to keep the whole thing secret. That's not fair. Why do you let him? Do something about it.

Morgan: I'm doing something about it. And he can't talk about the work. The project is secret.

Helen: I don't see it that way. He has all the power and you have none. He can tell his story and every one will listen. No one has listened to you.

Morgan: They will. Helen. Believe me. They will listen in the end.

Helen: Let me help you. I can, if you agree. Frisby is coming to see me tonight. Come and meet him. He can help you. He's told me so.

Morgan: Frisby: No, Not Frisby, do you know what you are doing? Do you know Frisby?

Helen : Not very well, I met him first the other night. But I do know what I'm doing. I'm interested in justice.

Morgan: Frisby doesn't care about justice. He is a dishonest journalist. He wants to stop the project. Keep away from his way.

Helen: You don't want justice. Do you? You'll let Ward Thomas walk over you.

Morgan: Don't be silly Helen. Ward Thomas hasn't really treated me badly. He's frightened about the project.

Helen: If you don't help yourself, someone must help you.

Morgan: I don't need help. Helen.

Helen: I'm sorry. I wanted to help. It seemed a good idea?

Morgan I know. Don't think that I'm not grateful, you shouldn't meet Frisby again. If he hears about any (stands near her) of this, he may make trouble at work for you?

Helen: I'm not worried about the job. I've resigned.

Morgan: Resigned? Why you liked the work so much.

Helen: I like change, too

Morgan: It is not because of me, is it ? that would be silly.

Helen: Why would it be silly? No. I'm a bit bored. I want something different. I'm leaving Trewern.

Morgan: Leaving? Don't do that Helen, I've got used to you.

Helen: :(Smiling) I think I'll go back to London.

Morgan: No, you won't Helen? I want you (At this moment **Gwen** in laugh).

Gwen: Ha, Ha you shouldn't leave him alone.

Morgan :(With surprise) Gwen! when did you come in?
Gwen: Just now. Don't let me interrupt you.
Morgan: Do sit down.
Gwen: No. I won't stay.
Morgan: Have you met Miss lansing? .
Gwen: No. but I've heard about her. How do you do?
You do some kind of work up at the project. Don't you?
Helen: Yes, I'm a secretary. I do some work for Mr. Morgan.
Gwen: That must be very interesting, do you come from Trewern too?
Helen: No, I'm from London.
Gwen: Do you like it here? Do you go out much?
Helen: Quite often, but I'll leave for London.
Gwen: Quite but the hotels here aren't as good as London, are they? How did you enjoy your dinner in the Red House the other night?
Helen: Very much thank you. It was the first time that I had been there.
Gwen Really? I'm so glad, David didn't tell many things about it. I was wondering.
Morgan: where are you going now, Gwen?
Gwen: Oh. I've just a bit more shopping to do.
Morgan: I'll come with you.
Gwen: Please don't let me take you away.
Morgan: You aren't taking me away. The place was crowded and Helen found me a seat.
Gwen: Of course.
Morgan well, we'll go then. Let me carry, your things.
Gwen No, perhaps you'd better not, David. I'm meeting Daddy he thinks that you're still out of town and you are very friendly just now. Don't leave your nice secretary. I'll go alone. Ring me when you have time. Good by Miss. Lansing. So nice to have met you. (She goes and returns)
Morgan: She isn't always like that, you know.
Helen: No? I must be going, too.
Gwen: Another word Mr. Morgan. Take this. (she takes off the ring and puts it on the table) It seems that you need it now.
Morgan: Gwen! why are you behaving like this?
Gwen: I see that Helen, your secretary wants it.
(she leaves quickly)

Morgan :(Staring at her).
Helen: I'm going.
Morgan: Wait a little Helen you must take it. It is for you.

Curtain

عرضت في 3 مارس 1974 فى احتفال المدرسة السعيدية باليوبيل الذهبى لتأسيسها

E-Mail: nasimmijalli@hotmail.com

28 - المؤلف : نسيم مجلى

- من مواليد 10 يولية 1934 بسمالوط محافظة المنيا
- ليسانس آداب فى اللغة الإنجليزية من جامعة القاهرة
- دبلوم الدراسات العليا فى النقد والمسرح من أكاديمية الفنون 1970
- عمل بتدرس الغة الإنجليزية فى المدارس الثانوبة وأكاديية الفنون وجامعة القاهرة
- حصل على جائزة الدولة للتفوق فى الآداب 2013

مؤلفاته

دراسات نقدية:

1- المسرح وقضايا الحرية الهيئة العامة للكتاب 1984
2- قضايا الأبداع والنقد الهيئة العامة للكتاب 1986
3- أمل دنقل – أمير شعراء الرفض المركز القومى للأبداع 1988
4- ابن سيناء القرن العشرين (جراح العظام – محمد كامل حسين) 1988
5- لويس عوض ومعاركه الأدبية الهيئة العامة للكتاب 1995
6- صدام الأصالة والمعاصرة (لويس وشاكر) كتاب الأهالى 1998
7- لطائف الذخيرة وطرائف الجزيرة لأبن مماته – تحقيق وتقديم 2000
8- حنين ابن اسحاق وعصر الترجمة العربية - المجلس الأعلى للثقافة 2006
9 بطرس بطرس غالى وحلم المدينة الفاضلة دار الشروق 2010
10- شخصيات لها تاريخ الهيئة العامة للكتاب 2014
11-دراسات فى النقد والمسرح 2019
12 -ألفريد فرج سندباد المسرح العربي الهيئة العامة للكتاب 2024

المسرحيات:

15-القضية الهيئة العامة للكتاب 1978
16 – المجنونة الهيئة العامة للكتاب 1988
17- لقاء على القنال مجلة آفاق المسرح 1999
18- مأساة طبيب الخليفة مجلة مسرحنا 16يونية 2014 عدد 361
ثم نشرت في كتاب - دار يوحنا الحبيب بمصر الجديدة 2016
19- عيال وفيران – كوميديا عائلية تحت الطبع
20-الفلفوس – رواية دار يوحنا الحبيب للنشر بمصر الجديدة 2020

الترجمات:

21- بريخت الهيئة العامة للكتاب 1972
22- ترجمة عشرين مدخلا فى الموسوعة العربية العالمية الموسوعة بالسعودية..... ...1996

23- الحب عند الفرنسيين مجلة الهلال عددي مايو ويونية 1977

24- الأسد والجوهرة تأليف: وول شوينكا -المسرح العالمي للكويت 1997
25- القديس مرقس وتأسيس كنيسة الإسكندرية –الهيئة المصرية العامة للكتاب 1999
26- فرانز كافكا- تأليف: رونالد جراي- المشروع القومى للترجمة 2000
27- محاكمة سقراط – تأليف: أي. إف . ستون. المشروع القومى للترجمة 2001
28العصر الذهبي للإسكندرية تأليف: جون مارلو - المشروع القومى للترجمة 2002
29- ثلاث مسرحيات لشوينكا (الموت وفارس الملك، عابدات باخوس، والسلالة القوية) المشروع القومى للترجمة 2004

30- كيف نقرأ ولماذا تأليف: هارولد بلوم –المركز القومى للترجمة 2010
31- تتمسكن حتى تتمكن - تأليف: أوليفر جولد سميث. المركز القومى للترجمة 2010
32 مدرسة الفضائح –تأليف: ريتشارد شريدان- المركز القوم 2011
33- هذه حال الدنيا -تأليف: وليم كونجريف – المركز القومى 2012
34- مذكرات سجين- تأليف: وول شوينكا – المركز القومى للترجمة 2013

35- بريخت رجل المسرح- تأليف: ونالد جراي، المركز القومى للترجمة 2014
36- الأسطورة والأدب والعالم الأفريقي" تأليف: وول شوينكا،
المركز القومى للترجمة 2014

مراجعة الترجمات الاتية:

37- مجال الدراما - تأليف: مارتن اسلن مهرجان المسرح التجريبي 1992
38- مسرح الشارع - تأليف: ألان ماكدونالد وآخرين. الهيئة العامة للكتاب 1999
39- مسرحيتان من الأدب النيجيري: - محنة الأخ جيرو
- تحول الأخ جيرو تأليف: وول شوينكا سلسلة إبداعات عالمية
المجلس الوطني للثقافة بالكويت 2004
40-مؤرخون في القاهرة - المركز القومى للترجمة 2008
41 الغنيمة -تأليف: دوي أورتون - المركز القومى -- 2010
41- صورة مصر تأليف: ماري آن ويفر – المركز القومى 2013
42 - مولد النراجيا اليونانية - تأليف: الفيلسوف نيتشه.
تحت الطبع، الهيئة العامة للكتاب

شكرا لله الذى أعاننا على إتمام هذا الكتاب ووصل بنا إلى هذه الساعة .

20 ديسمبر 2025